

إلهام مانع من أجل هوية إنسانية



كتاب
الهدى
السابع
نوفمبر ٢٠٢٥

جميع الحقوق محفوظة لـ "النداء" - ٢٠٢٥

اسم الكتاب: "إلهام مانع.. من أجل هوية إنسانية"

اسم الكاتب: إلهام مانع

توثيق كتاباتها وإسهاماتها خلال فترة إصدار
الصحيفة الورقية (٢٠٠٤ - ٢٠١١)

الناشر: صحيفة "النداء"

إعداد وإخراج:

طارق السامعي

معلومات الاتصال:

موقعنا على الإنترنت: www.alndaa.net

البريد الإلكتروني: info@alndaa.net

شارك في الإعداد: آمال طارق

النشر الإلكتروني:

رياض الأحمدي

تدقيق لغوي:

فائز عبده

الطبعة الأولى (نوفمبر ٢٠٢٥)

رقم الإيداع في دار الكتب اليمنية ()

إلهام مانع

من أجل هوية إنسانية



أ. د. هاجر خنفي*

مقاومة النسيان ونُشْدان الإنسان

تكتب حتى لا ننسى.. هاجس يحضر عبر ثنايا مقالاتها التي بقدر ما تطرحه من قضايا كبرى بالغة التعقد، فإنها تفصّل وتسجّل المنفّلت في غمرة الأحداث العالميّة والأخبار المحليّة. مشاهد تنقلها إلهام المانع بقلم نقدي يفضح الخطابات الزائفة السياسية والدينية التي تعمل على تعزيز فعل النسيان والتضليل والإيهام،

إلهام مانع
من أجل هوية الإنسان

وترسيخ أساطير قديمة بأشكال ومفردات جديدة..

فعل التذكير الذي تمارسه أستاذة العلوم السياسية يدخل في صلب سياسة الذاكرة المضادة، وذلك بسعيها إلى صياغة المعنى الجوهرى الذي يكاد يضيع منا تحت سطوة الخطابات الموهمة بامتلاكها الحقيقة. فعبّر تلك الأحداث والقصص التي تروىها تشكل المانع ملامح هوية الإنسان الجامعة لكل الأطياف والفئات البشرية، تلك الملامح التي تطمسها المعايير الاجتماعية والقواعد الأخلاقية والصور النمطية، تثبيتاً لتراتبية اجتماعية تحكمها علاقات السلطة. فلا يخفى على قارئ حوارات الكاتبة ومقالاتها حضور تيمة القمع التي تقوم عليها العلاقات بين الأفراد، فإما هم/ هن الخاضعون/ ات أو هم/ هن المقاومون/ ات وما يجمع بينهما هو القامع. ومن دوائر هذا القمع الذي أحكمت المجتمعات الأبوية العربية دخلته في شتى المؤسسات ما تتعرض له النساء داخل الأسرة وفي الفضاء العمومي من تجريدهن من مواطنتهن واستلاب لإنسانيتهن. جرائم القمع الناعم باسم القانون والعرف والدين أخطر من الجرائم الجنائية لو كنا نعقل لأنها تقتل إحساس الألم قبل الذبح أو تخدره، فتقتل الإنسانى فيه وتمسخ القاتل والقتيل إلى كائنات شوهاء تذكرنا بغريغوري، بطل كافكا، وقد تحول ذات صباح إلى حشرة ضخمة. هكذا كان المشهد الذي احتلت مركزه امرأة ذبابة «متشحة بالسواد يهشها

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

رجلها كما تهش الدابة الذباب»، فالفرق بين حيوانية الضحية وجلادها أنّ توحش الدابة رهين استمرار ضعف الذبابة، أما الذبابة فإمكانات قوتها كامنة داخلها على غرار تلك المرأة التي حدثت في كيان الكاتبة، وردّت التحيّة وابتسمت رغم سلطة الدابة وعنفها، لذلك تختم المانع مشهدها بتعديل الصورة بعبارة: «لكنها ليست ذبابة».

غير أن الأمل المشع عبر السلام والابتسامة لم يكن كافياً أو مكثفاً ليزيح نبرة الشجا التي تغلب على مقالات ابنة اليمن السعيد، فما أعسر الكتابة عن ضحايا العنف المسلط على النساء، ونحن نساء! كيف يمكن أن نكتب ونحن هادئات عن فاطمة التي سُجنت بتهمة الدعارة وهي في سنّ العاشرة، وعن اغتصاب ثلاثيني لزوجته نجود ابنة الثامنة، وعن قضية فتاة القطيف وجرائم قتل النساء و«الجثث الطافية»، دون أن يخامرنا شعور بالتواطؤ مع المجرم؟ هل سنكون بذاك الهدوء والاتزان لو كنا مكانهنّ؟ كيف يمكن أن نصمّ آذاننا عن صرخاتهن المدوية في أعماقنا ونحن نكتب بوقار الوعاظ ورصانة الحكماء؟ كيف يمكن أن نصوغ خطاباً نقدياً عميقاً عن الأوجاع والآلام دون أن يكون الكلام حمّال كلوم الضحايا؟ لا سبيل إلى ذلك إلا بتولي وظيفة الفضح لازدواجيّة القيم التي تحكم التمثلات الجندرية في المجتمعات العربية، وما الفضح إلا تذكير بتطبيع المجتمع الذكوري مع ما لا يقبله الإنسان على نفسه، تطبيع مع العنف المتأصل في سياسات الجسد المبنية على ثنائية (مذكر / مؤنث). فتسجن الفتاة القاصر حفظاً لحياتها من أب يهددها بالقتل على خلفيّة الشرف، وهو نفسه الذي أجبرها، وهي القاصر، على الزواج من رجل لا تحبّه، لتغتصب بمقابل

«ابتلعه بطنه». ذاك الجسد الواقع تحت الوصاية لا حق له في الحركة إلا بإذن، لا حق له في الظهور إلا بإذن، لا حق له في التعبير إطلاقاً.. وما بين المودة والرحمة اللتين دعت إليهما الشريعة شرطين للزواج، وصورة الزوجة وهي تغتصب كل ليلة تحت عنوان طاعة الزوج بون شاسع.. تلك سياسة الجسد في مجتمعاتنا الإسلامية التي تجعل جسد الأنثى ملكاً للذكر وكأنه يسترد ما كان فرعاً منه وفق أسطورة الخلق المهيمنة على التمثلات الجندرية، ولكن هذه السياسة لا تؤدي إلا لخسران في اقتصاد المتعة ف«كم منكم تمنى لو أن زوجته تعطيه أكثر من التلقي».. هكذا تبدو الجنسانية في النظام الجندري الثنائي قائمة على الاحتفاء بأسطورة الفحولة وشروط تحقيقها وإن كان «كلاهما تعيساً». ولكن هذا النظام يغفل عن هامش جنساني يربك تلك الفحولة المزعومة، ويسخر منها، هو هامش المثلية الذي تلجأ إليه الفروع المسحوقة تحت وطأة الأصل ابتغاء حقها في المتعة، ف«سهل أن تكوني مثلية» مادمت «فاضلة في السرير»، والغريب أن ما يحميك هو المنظومة الأخلاقية التي تحرس الحدود المجالية الفاصلة بين الجنسين، وتمنع الرجال عن اقتحام مجالس النساء الخاصة. ولا شك أن هذا الواقع المسكوت عنه في المجتمعات الأكثر محافظة، كفيل بتأكيد ازدواجية القيم والمعايير التي يحتكم إليها النظام الذكوري منذ زمن الجاحظ وابن النديم والصيمري والتيفاشي. تلك الازدواجية تدعو إلى السخرية من غفلة الرقابة، أو من ضيق أفقها، وهي تخضع لحكم تجاهل رغبات الخدور المحرمة مادامت سرية، ف«من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بسر الله، فإنه من يُبد لنا صفحته نُقم عليه كتاب الله». وخلاصة وقوع الجسد الأنثوي في فخ هذه الازدواجية، أنه لا يعدو أن يكون في أنظار الجميع (رجالاً ونساءً) آلة ملعونة

وشرًا لا بدّ منه، ممّا استوجب حجبهُ وضبطهُ ليكون في خدمة مؤسسة الزواج.

هكذا اختارت المانع أن تفضح ما كان مستورًا، وتذكر بما يبدو منسيًا، وتسلط الضوء على شروخ منظومة الثوابت التي اعتقدوا أنها أبدية، وليس الفضح عندها فعلًا أخلاقيًا انفعاليًا، بل هو ممارسة فكرية هادئة تسعى من خلالها إلى إحداث الصدمات المنبهة، وتمهيد السبيل لطرح البدائل. وأوّل تلك البدائل أن نعيد النظر في محدّدات هويّاتنا لنستعيد القدرة على الانتساب إلى تلك الهوية الجامعة: الإنسان/ المواطن فقط، دون تحميله أعباء ثقافية اجتماعية وأخلاقية يضبطها دينه أو لونه أو جنسه. ولا يتسنّى ذلك إلا بتعامل النخبة الحاكمة مع الإنسان في أوطانها على أنّه مواطن «يقف مع غيره من المواطنين متساويًا أمام القانون، بغض النظر عن هويّته دينية كانت أو مذهبية أو عرقية أو لونية أو نوعيّة (جندريّة)»، على حدّ تعبير المانع.

ولا يخلي ذلك الفرد من مسؤوليته في بناء المسار نحو إنسانيّته، فتؤكد المانع على أنّ ذلك يقتضي تغيير بوّابة علاقتنا بالمقدّس عامّة، أو بالعمل على إحياء الأفق الروحي فينا، وذلك بإيمان لا تقيده حدود الشرائع الدينية، لأنّه بذلك فقط نسترجع تلك الكرامة الموطوءة، ونخلص أجسادنا من سطوة ما يجوز ولا يجوز، ونستعيد الحقّ في التفكير وتقرير المصير. ذاك واجبنا نحو إنسانيّتنا المهدورة الذي يذكرنا بدعوة فتحي المسكيني إلى: «أن نجرؤ على تنصيب الإنسان في مكانه من علاقتنا بأنفسنا العميقة». فالطريق إلى الإنسان فينا هو

طريق الإيمان الذي تكون الأديان جميعها مطاياها، وهو ذاته الطريق إلى الله. وقد اختارت إلهام المانع أن يكون الإسلام طريقها دون أن تزج بنفسها في قيد الهوية الإسلامية وما تقتضيه من تكاليف تحنّطه، بل تجرده من طابعه الشمولي، وتمنعه من أن يكون إسلامًا إنسانيًا.

قد تختلف معها في تطرّفها الإنسانيّ، وتصف تصوراتها البديلة بالطوباوية أمام واقع متأزم وخائق جدًّا إلى حدّ يكاد يكون سرياليًّا، لكن يكفيها اتخاذ القرار بعدم الصمت، بل أن تكون صوت «كل من لا صوت له». ولا يمكن لقارئ هذه المقالات إنكار أنها تخوض عبر الكتابة مغامرة إعادة ترتيب العالم الذي تدّعي جلّ المؤسّسات حفظ نظامه، وتتجاهل ما تحدّثه في الإنسانيّة من فوضى وخراب. وتسلك الكاتبة في تلك المغامرة مقاربة روحانية تتخطى عبرها الحواجز العرفيّة والدينية وحتى القانونيّة التي سرقت شعلة السعادة من الإنسان، أو إنّها بإيجاز تسعى إلى العبور نحو أعماق الذات الإنسانيّة. تلك المقاربة التي تمنح من يدرك فلسفتها شعورًا بالسلم الداخلي، هي الحلّ الفريد، فقد تكون الطريق الذي يمكن الجميع من اللقاء في ذلك الأفق الإنسانيّ الذي لا يعترف بحدود جغرافيّة أو لغويّة أو اجتماعيّة أو دينيّة أو نوعيّة.

فكم علينا أن ننتظر حتّى نبلغ ذلك الأفق؟

* أستاذة جامعية تونسية، باحثة في الشأن النسوي والدراسات الجندرية، من أعمالها كتاب «إشكاليات الخطاب النسوي العربي في النصف الثاني من القرن العشرين»، ودراسات منشورة في مجلات محكمة وكتب جماعية.



● إلهام مانع

إلهام مانع: فوز بن شمالان كان سينتج نسخة من "الحالة الجزائرية"

■ "النداء" - علي سالم المعبقي:

قالت جامعة سويسرية من أصل يماني، إن فوز مرشح المعارضة فيصل بن شمالان، لو كان حصل، لأدى إلى نفس التدخل الذي جوبهت به الجبهة الإسلامية الجزائرية.

وقالت إلهام مانع، أستاذة السياسة في جامعة زيورخ السويسرية: "لو فاز بن شمالان لحدث نفس التدخل الذي حدث في الجزائر عندما فازت الجبهة الإسلامية بالانتخابات، رغم اختلاف الظرف والجوهر في الحالتين". لكن مانع اعتبرت انتخابات ٢٠ سبتمبر



إلهام مانع
من أجل هوية الأسبوع

الماضي خطوة إيجابية وحراكاً حقيقياً.

وقالت إنه حتى ولو كان الرئيس علي عبدالله صالح قرر أن يتخلى عن السلطة في حال فوز مرشح المعارضة، ليصبح بذلك نبياً، فإن أقوىاء في مواقع متنفذة لن يدعوه يتخلى، لأن مصالحهم مرتبطة بوجوده أساساً.

وانتقدت مانع، في حوار تنشره "النداء" في عددها القادم، موقف جميع الأحزاب السياسية من ترشيح المرأة، مشيرة إلى أن نتائج انتخابات ٢٠ سبتمبر المحلية والرئاسية كانت سيئة على المرأة "أصبحت المرأة ككرة في ملعب يلعبون بها جميعاً، والكل يزايد عليها".

وتساءلت عما إذا كان حزب الإصلاح سيقبل وصول حزب علماني أو اشتراكي إلى السلطة، مؤكدة أن تحالف اللقاء المشترك كان خطوة هامة جعلت المعارضة ذات وزن ويحسب حسابها قياساً بما هي عليه المعارضة في الدول العربية الأخرى. كما كان "دخول الإصلاح في المشترك هاماً بالنسبة لتطور الأحزاب الدينية التي تتخذ الإسلام السياسي جوهراً".

وأضافت الباحثة في الشؤون السياسية: لا أعتقد أن الولايات المتحدة ستقف موقفاً معارضاً لوصول المعارضة اليمنية إلى السلطة، إلا إذا كان في هذه المعارضة قوة من الممكن أن تقف موقفاً معارضاً لمشاركة اليمن في الحملة الدولية ضد الإرهاب".

ولفتت إلى أنه، ومع تجربة الولايات المتحدة في العراق، سادت وجهة نظر أمريكية مفادها أنه من الأفضل التحالف مع القوى السائدة حالياً، لأنها أفضل الشرين.

● "النداء"، العدد ٧٧، الأربعاء ١٨ أكتوبر ٢٠٠٦



(٢-١)

إلهام مانع لـ "النداء":

مستقبل الديمقراطية في اليمن يفترض القطيعة مع نهج الإسلام السياسي

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

” يحلو للبعض تشبيهها بنوال سعداوي
يمينية، وهي فعلاً أثارت جدلاً، لا سيما
لجهة آرائها حول الحجاب وحقوق
المرأة. لكن الباحثة إلهام مانع تبدو أنموذجاً
مائزاً للمرأة، وبخاصية تخلق تكوينها ذاتياً
تشتغل على حقل السياسة والديمقراطية،
كما تتعاطى كتابة الرواية.

وربما عيشها في ثماني دول (راجع
الإطار) هو ما جعل منها امرأة
كوزموبوليتانية، قبل أن تستقر في
سويسرا، وتحصل على جنسيتها.
في حوارها مع "النداء"، تحدثت
إلهام مانع بعقل منفتح تحليلي، لكن

كذلك بروح المنتمية إلى أمة عربية مثخنة بصنوف
المعاناة وشتى النكسات. وهي تنقلت بالحوار على أكثر من
بويرة، بدءاً من تقلبات السياسة والمجتمع في اليمن، وليس انتهاء بالحالة
الإقليمية والدولية وما تواجهه الجاليات العربية في الغرب.

■ حوار: علي سالم

■ في ضوء انتخابات ٢٠ سبتمبر، كيف تقيمين أوضاع حقوق المرأة في اليمن؟

— لا بد بطبيعة الحال أن نميز بين ما هو موجود نظرياً وما هو موجود في الواقع. إذ على
الرغم من أن الدستور والقوانين الموجودة يمكن أن تُقرأ بأكثر من وجه، لكن القراءة المتواجدة
حالياً هي قراءة لصالح المرأة، أن ترشح المرأة نفسها للرئاسة. عندما تُقرأ النص الدستوري

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

■ السلطة دعمت
السلفيين لضرب
الإصلاح، والمشارك
تحالف إيجابي
أُرسلباً على المرأة
والجميع تلاعب بها

■ أنا علمانية
واحترام الدين
يكون بجعله بعيداً
عن التسييس

■ أجهزة الأمن
والمخابرات قائمة
على الولاء للرئيس
والتحديد والإدماج
من لوازم سياسة
بقاء السلطة

في هذا الصدد، تجده يتحدث عن رجل. رغم ذلك تم التغاضي عن هذه المسألة لصالح المرأة، وهذا لحسن الحظ. ولكن كيف يتم تطبيق ذلك على أرض الواقع؟ هنا المفارقة، إذ تشعر أنها بالفعل ورقة سياسية يتم اللعب بها من قبل كافة الأطراف المتواجدة على الساحة السياسية. السلطة والمؤتمر الشعبي العام موقفه هلامي، فهو وإن أظهر تأييداً للمرأة، لكنه تأييد هلامي انتهازى، من حيث استخدامه للمرأة كورقة للحصول على الكسب الخارجي.. أداة من أدوات السياسة الخارجية. إلا أن هذا بشكل أو بآخر يصب لصالح المرأة. والسؤال هو: ما الذي نتج عن هذا التسييس لورقة المرأة؟ نجد أن الحزب الاشتراكي لديه موقف مبدئي مؤيد للمرأة ناتج لتاريخه وفكره.

■ كافة الأحزاب متهمة من قبل المرأة.

- عندك حزب الإصلاح موقفه مازال غامضاً. هو لديه موقف مبدئي يبدو أنه غير مؤيد لمشاركة المرأة. إلى الآن لم يحسم حزب الإصلاح قضية مشاركة المرأة، كما لم يرشح نساء إلى المجالس المحلية، وهذا أمر سلبي بشكل كبير. الأحزاب السياسية عندما تعاملت مع موضوع المرأة جنت على حق المرأة. كان من المفترض على أحزاب اللقاء المشترك أن تتحمل مسؤوليتها كمعارضة، وتقدم مثلاً جيداً، لكنها لم تفعل ذلك. أصبحت المرأة ككرة في ملعب يتلاعبون بها جميعاً، والكل يزايد عليها. لهذا لم تفز في الانتخابات المحلية الأخيرة سوى ٣٥ امرأة.

قارنها بما كان عليه الأمر في السابق ستجد تراجعاً.

ما هو جيد في انتخابات ٢٠ سبتمبر الماضي هو الحراك بالنسبة للمرأة في حد ذاته. حيث بدأت تأخذ مواقف وشرعت بالتحرك. منظمات المجتمع المدني بدأت تسعى إلى أن تكون قوة ضغط.

■ لكن الانتخابات الأخيرة بدت أقل ديناميكية، لا سيما الانتخابات الرئاسية، إذ يرى البعض أن نجيب قحطان الشعبي عاد في نسخ جديدة من المرشحين.. إلى أي مدى فعلاً تشهد التجربة الديمقراطية في اليمن نضوجاً؟

- إذا تحدثنا عن التجربة الديمقراطية بشكل عام، وتغاضينا عن مسألة المرأة، أرى أن ما حدث كان حراكاً حقيقياً، خطوة تحسب إلى الأمام رغم ما شابها من سلبيات، ورغم ما يمكن أن يكون قد تم من تلاعب. ذلك أن إمكانية التلاعب موجودة، من قبيل التلاعب بالسجلات، حيث أموات كثيرون اقترحوا، هذه إمكانية واردة. إلا أنه، ورغم ذلك، فإن الحراك الحقيقي حدث عندما تحالف الفرقاء، وأعني على الأخص الحزب الاشتراكي والتجمع اليمني للإصلاح اللذين قررا مع أحزاب اللقاء المشترك أن يتحولوا إلى كتلة معارضة. هذه الخطوة كان لها أهميتها القصوى نتيجة أنها تحولت إلى معارضة فعلية، معارضة يحسب حسابها، حيث لم يكن لأي من هذه الأحزاب متفرداً أي تأثير فعلي، لكن عندما التقت هذه الأحزاب فيما بينها، وتغاضوا عن خلافاتهم وهي كثيرة، صار لديك معارضة.

المشكلة في البلدان العربية بصفة عامة، هي عدم وجود معارضة فعلية قادرة على منافسة الحزب الحاكم. هنا على الأقل في اليمن، حدثت خطوة إلى الأمام، والسؤال هو: إلى أي مدى سنصل بهذه التجربة إلى غايتها، وهي التداول السلمي للسلطة؟ هل هناك فعلاً إمكانية لتنازل الرئيس علي عبدالله صالح؟ لو حدث مثلاً، أن بن شمالان كسب في الانتخابات، هل كان علي عبدالله صالح سيتنازل عن الحكم؟ هذا هو السؤال. حتى لو أراد (الرئيس صالح) أن يتنازل عن الحكم، وأصبح نبياً، وقرر التخلي عن السلطة، ونحن نعرف أن زمن الأنبياء انتهى، ولا نعرف رئيساً عربياً تخلى عن السلطة طواعية سوى سوار الذهب في السودان، ودفع ثمن ذلك غالياً، حتى لو قرر الرئيس صالح أن يفعل ذلك، لديك مجموعة من الرجال الأقوياء في مواقع متنفذة لن يدعوه يتخلى، لأن مصالحهم مرتبطة بوجوده أساساً.

■ هل مستقبل الديمقراطية متعلق بأشخاص؟



- لديك معارضة بدأ يحسب حسابها. ماذا ستفعل هذه المعارضة في المستقبل؟ هذا يظل هاماً جداً، المسألة معقدة بطبيعتها.

■ على من -إنن- يعول في مسألة الديمقراطية، لا سيما في ظل استمرار ثقل العسكر والقبيلة مقابل ضعف المجتمع المدني؟

- عندما تلقى نظرة على التجارب الديمقراطية في البلدان الأوروبية، هذه البلدان العريقة في الديمقراطية، كم سنوات أخذت حتى ترسخت؟ مئات السنوات.

مشكلتنا أن عملية التنمية والتطور الذي يحدث، يحدث بوتيرة متسارعة إلى حد ربما لا

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

تسمح البنية المتواجدة باستيعابها. هذه مشكلة. وعدم الاستيعاب هذا يؤدي إلى احتمال نكسة. فيصل بن شملان لو كان كسب لقبول بتدخل مثلما حدث في الجزائر، رغم اختلاف الظروف والجوهر في الحدثين، ذلك أن البيئة لم تكن مهية لتقبل النتائج التي ستمخض عنها صناديق الاقتراع.

■ ما جرى في الجزائر تم بما يشبه توافقاً خارجياً. طبيعة الحركة التي نجحت في الانتخابات كانت تثير مخاوف الغرب. لكن الحالة اليمنية مختلفة، فلم يعد بإمكان المجتمع الدولي في الوقت الراهن أن يوافق على التراجع عما تفرزه صناديق الاقتراع.

- ما حدث في الجزائر مرتبط أساساً بأن هذه القوى الإسلامية توصف بالمتطرفة. وهي كانت متطرفة في كثير من مواقفها. وكان الخوف، على ما أشار تقرير التنمية البشرية العربي لعام ٢٠٠٤م حول الحقوق والحريات، أشار إلى ما يطلق عليه انتخابات مرة واحدة. هذا نوع من "البُعْبُع" الذي يستخدمه الكثير من الحكام العرب، أنه إذا تركنا للإسلاميين المجال للدخول في الانتخابات سيفوزون بنسبة كاسحة، وستكون انتخابات مرة واحدة، تمكنهم الأغلبية التي يحصلون عليها - وهذا ما كان يُخشى حدوثه في الجزائر - من تغيير الدستور وتغيير هوية المجتمع بأسره. هكذا كان الخوف. عندك هناك مصالح مرتبطة أساساً وعضوياً بين الجزائر وأوروبا، وبخاصة فرنسا. كان هناك أكثر من عامل مرتبط بالحدث الجزائري. اليوم في اليمن تقول الولايات المتحدة إنها تدعم الديمقراطية. هذا صحيح؛ الرئيس جورج بوش حدد للسياسة الخارجية الأمريكية أسساً، ومنها نشر مفاهيم الديمقراطية في العالم العربي، باعتبار أن مثل هذا سيؤدي إلى تغيير الدفة لغير صالح الفكر الإسلامي المتطرف، هذا نظرياً، ما حدث مع الوقت، وما حدث في العراق أدى، ربما، إلى إعادة نظر الإدارة الأمريكية. تجد ذلك عملياً وليس على صعيد الأقوال. وجهة النظر هذه تقول: من الأفضل التحالف مع القوى السائدة حالياً، لأنها أفضل الشرين، فإذا كان علينا أن نترك الساحة للعمل الديمقراطي في إحداث تغيير يصل بالإسلاميين إلى الحكم، فإن ذلك قد يضر بمصالحنا. في ما يتعلق باليمن تحديداً هناك ظرف بالغ الخصوصية يتعلق بمشاركة اليمن الفعالة في الحرب الدولية ضد الإرهاب، وهذا مهم جداً، ذلك أن الولايات المتحدة لا تفعل شيئاً إلا لمصلحتها، وهذا أمر طبيعي. كل الدول تبني سياساتها بما يخدم مصالحها. في ما يتصل باليمن مسألة الحرب ضد الإرهاب هامة، كما أن مشاركة اليمن فيها هامة، ولا أعتقد أن الولايات المتحدة سوف تقف

موقفًا معارضًا من وصول المعارضة اليمنية إلى السلطة، إلا إذا كان في هذه المعارضة قوى من الممكن أن تقف موقفًا معارضًا لمشاركة اليمن في الحملة الدولية ضد الإرهاب.

■ معنى ذلك أنه، وفي ظل استمرار ما يسمى باللقاء المشترك، المنصوية فيه أحزاب دينية متهمّة، غريبًا على الأقل، بدعم الإرهاب.. هل يعني ذلك أن الإدارة الأمريكية ستبقى داعمة لحزب المؤتمر الحاكم؟

- لا يمكن لي أن أتحدث بلسان الولايات المتحدة الأمريكية. كان هناك عدة تصريحات للسفير الأمريكي بهذا الشأن، لكنني أعتقد أن ما حدث بالنسبة لتحالف اللقاء المشترك كان حراكًا صحيحًا. وأعتقد أن دخول حزب التجمع اليمني للإصلاح في هذا التحالف هام جدًا. وهو هام جدًا كذلك بالنسبة لتطور الأحزاب الدينية. لأنه إذا ما أمكن تحول الأحزاب السياسية التي تتخذ من الإسلام السياسي جوهرًا وأساسًا إلى أحزاب عادية مثل غيرها من الأحزاب: تقبل بالآخر أيًا كان، وتقبل أن تكون طرفًا من أطراف متعددة على الساحة السياسية، تكون بذلك قد وصلت بالعملية السياسية إلى مداها الطبيعي.

أما إقصاؤها إلى المرحلة التي تدفعها إلى العنف، هنا تبدأ المشكلة. ما يحدث الآن تطور رائع. والسؤال هو: هل هذا التطور يعكس فعلًا رغبة بالقبول بصناديق الاقتراع مهما كانت؟ فعندما يصل الحزب الاشتراكي مثلاً أو أي حزب علماني إلى السلطة، هل سيقبل التجمع اليمني للإصلاح بذلك رغم أن مثل هذا الفكر الاشتراكي أو العلماني لا يتفق مع مبادئه؟

■ لكن ما يؤخذ على تحالف اللقاء المشترك هو عكس ما تتحدثين عنه. صحيح أن مثل هذا الأمر يخرج الأحزاب الدينية من تقليديتها، لكن ما حصل هو عكس ذلك. بالفعل هي انفتحت إلى حد ما على الديمقراطية، غير أن ذلك ترك أيضًا آثارًا سلبية على بعض أحزاب التحالف. فعلى سبيل المثال: يرى مراقبون أن الاشتراكي تراجع عن بعض المبادئ والقضايا، مثل مناصرة المرأة، فهناك نساء اشتراكيات اعتبرن أن الاشتراكي منذ تحالفه مع أحزاب دينية راح يقدم تنازلات على حساب قضايا مبدئية من قبيل التضحية بالمرأة..

- (مقاطعة).. إحنًا دائمًا نستعجل النتائج. المسألة مسألة تطور. هناك مسار لا بد أن يأخذ مداه. ما نراه اليوم هو عملية مخاض، ما سوف تتمخض عنه؟ هو السؤال.

أعتبر تحالف اللقاء المشترك خطوة إيجابية، نتأجه على المرأة كانت سيئة. علينا أن نسمي الأشياء بأسمائها. مؤكد أن الحزب الاشتراكي تراجع، ربما تجاوزاً مع موقف التجمع اليمني للإصلاح من ترشيح المرأة، والتجمع اليمني للإصلاح لم يرشح أية امرأة، وهذا يحسب ضده في ما يتعلق بقضية المرأة. لكن رغم ذلك سيكون من الأجدي أن نترك لهذه التجربة مساحة. ربما تتبلور. انظر مثلاً وضعية الأحزاب السياسية في بلدان أخرى: في سويسرا على سبيل المثال هناك أحزاب مازالت تحمل اسم "المسيحي الديمقراطي"، وكانت هناك أحزاب أخرى راديكالية، وهذه كانت تأخذ موقفاً متشدداً من الأحزاب المسيحية. الحزب المسيحي الديمقراطي تاريخه يعود إلى ١٨٤٨، والحزبان الراديكالي والمسيحي كانت مواقفهما متناقضة، الأول ليبرالي والآخر يتخذ من الدين جوهرًا. اليوم، ورغم أن الحزب المسيحي مازال ينظر إلى كثير من القضايا من منظور محافظ وأكثر تقليدية، لكن مسألة الدين عنده محسومة: الدين منفصل عن الدولة. انظر كم أخذ من الزمن. فحتى العام ١٩٧٠م كان هذا الحزب وغيره يتخذ من بقاء المرأة في البيت مبرراً لعدم إعطائها حق التصويت. هذا في سويسرا حيث لم تعط المرأة حق التصويت إلا في العام ١٩٧٠. وحتى العام ١٩٨٠ كان قانون العائلة في سويسرا يعطي للرجل الحق في تحديد المكان الذي تعيش فيه زوجته. الرجل صاحب الأمر.

■ طبيعة التكوين الثقافي والاجتماعي لمثل هذه الأحزاب الدينية تفترض ذلك، وهي في نهاية المطاف مصيرها أن تنمو وتتطور. لكن ما يثير الانتباه هو أن يكون هناك حزب تقدمي ثم يتراجع عما كان عليه.

- هنا يأتي دور الصحافة، والتقييم الذاتي من داخل الأحزاب نفسها، لمناقشة الأخطاء التي وقع فيها الحزب، وما هي الخطوط الحمر التي لا يمكنه تجاوزها. لكل حزب الحرية في أن يتحالف مع من يشاء. لكن لديك مواقف مبدئية مثل الموقف تجاه المرأة. مثلاً: الحزب الاشتراكي لديه في هذا الجانب موقف معروف. لكن الموقف المبدئي بصفة عامة لا ينبغي تجاوزه أو التنازل عنه من أجل أن نحصل على مكسب مرتبط بالسلطة أو للحصول على مواقع قوة في السلطة. أعتقد أن صوت الصحافة والمراجعة الذاتية هامة حتى يمكن لهذه التجربة أن تتبلور. من كان يصدق أن تجمع الإصلاح والحزب الاشتراكي يجتمعان مع بعض، هل نسيت عملية التكفير التي حدثت من قبل؟

■ هناك مصالح سياسية تحكم ذلك، هذا أمر بديهي، فمن الطبيعي أن تلجأ الأحزاب



- وُلدت في مصر، ودرست الابتدائية والإعدادية والثانوية متنقلة ما بين: مصر، اليمن، الكويت، والمغرب، حيث كان والدها محمد علي مانع سفيراً لليمن.

- حصلت على البكالوريوس في العلوم السياسية بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف من جامعة الكويت.

- عملت لمدة ثلاث سنوات معيدة في قسم العلوم السياسية بجامعة صنعاء، وسكرتيرة للجنة أعضاء بعثة التدريس بمكتب رئيس الجامعة.

- حصلت على منحة فولبرايت الأمريكية. وهناك حصلت على درجة الماجستير بامتياز. كما التقت بالشخص الذي أصبح زوجها،

التي في المعارضة إلى مثل هذه التحالفات. لكن ما هو غير مفهوم أن تتخلى أحزاب ذات نزعة علمانية أو يسارية عن بعد أو جانب هو من طبيعة خصيبتها.. ما هو تفسيرك لمثل هكذا تراجعات تشمل الحقوق السياسية للمرأة وعملها سواء في القضاء أم في غيره، بل إن ما أطلقت عليه أنت مسمى "الهلامية" صار يغشى جميع الأحزاب تقريباً، ويصل إلى تراجعات مجتمعية على ما هو عليه انتشار الحجاب في محافظات جنوبية لم تكن تعرف ذلك؟

- (تضحك).. كان هناك مد ديني إسلامي سياسي، مثل هذا التوصيف مهم، فنحن لا نتحدث عن الدين، هناك إسلام، وهناك صور وقراءات متعددة له. إذا ما نظرنا مثلاً إلى ما كانت عليه حال الممارسة الدينية في مصر في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي، للاحظنا أنها كانت تعكس الوجه الليبرالي الذي كان قائماً آنذاك. الدين يعكس روح

المجتمع بوجه أو بأخر. ما حدث منذ سبعينيات القرن الماضي في إطار المنافسة بين مصر والمملكة العربية السعودية، بين مد قومي ناصري ومد سعودي محافظ، أدى إلى بروز ما يسمى بتيار الإسلام السياسي. كل هذا حدث طبعاً ضمن الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. هذا المد الديني الإسلامي الذي نشرته المملكة العربية السعودية بقدر كبير من الحماس والتمويل والدعم والتغطية الإعلامية، والذي وفرت له الولايات المتحدة غطاء في سياق حربها، آنذاك، ضد الاتحاد السوفياتي، باعتبار أن الدين سيواجه الفكر الشيوعي الاشتراكي الملحد، على حد اعتقادها، كل ذلك ترك بصماته على مجتمعاتنا العربية كافة. لو كنت في المغرب خلال السبعينيات وشاهدتها اليوم ستندهش، وذلك أيضاً في مصر. النقاب، الحجاب، كل هذه الصور أصبحت بارزة للعيان. وكذا أسلوب الخطاب: لم يعد الإسلام ذلك المتعدد والثري، بل صار محصوراً بلون واحد سلفي قائم على التكفير.

وهو سويسري كان عمل في مكتب البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بصنعاء.

- خلال دراستها للدكتوراه في جامعة زيورخ السويسرية، عملت صحفية في القسم العربي بالإذاعة السويسرية (إنفوسويس) وترقت إلى منصب نائب رئيس تحرير.

- بعد انتهائها من دراسة الدكتوراه التحقت بالعمل في جامعة زيورخ، ومازالت تعمل فيها أستاذة لمادة السياسة والديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

- صدر لها عدد من المؤلفات، ومنها:

■ الأحزاب والتنظيمات السياسية في اليمن.

■ السياسات الإقليمية في الخليج.

■ سياسات البقاء: دراسة تطبيقية على المملكة العربية السعودية.

- كما نشرت لها بحوث في عدة دوريات فرنسية وألمانية.

- تكتب الرواية، وصدر لها "صدى الأنين"، وتستعد لإصدار رواية جديدة بعنوان "بلا خطيئة".

- تكتب مقالات في عدد من المواقع الإلكترونية، ومنها: "يوميّات امرأة عربية" على موقع شفاف الشرق الأوسط.

- عدا الدول العربية الأربع والولايات المتحدة، عاشت في ألمانيا وإيران، وتستقر الآن في سويسرا التي تحمل جنسيتها.

اليمن لم تكن بطبيعة الحال بعيدة عن كل ذلك، حيث كان اليمن مسرحاً لهذا النفوذ والتغلغل الوهابي سواء بدعم مباشر من قبل المملكة العربية السعودية إما من طريق التعليم والمناهج والمعاهد العلمية، هكذا سموها، وهي في الحقيقة معاهد دينية، وإما من حيث من طردوا خلال حرب الخليج، والذين يقدرّون، على تفاوت الإحصاءات، بنحو المليون. مليون شخص عاد بثقافة وبيئة وفكر ترعرع عليه وتشربه في مجتمع سلفي مختلف، ثم جلبه إلى المجتمع اليمني. تجد ذلك اليوم في عدن.

كيف كانت عدن قبيل الوحدة؟ وكيف كانت الألوان في عدن قبيل الوحدة؟ وكيف أصبحت اليوم؟ الأسود أصبح هو الطاغى. هذا الأمر اكتسح الشمال والجنوب على حد سواء. المرأة التي كانت تخرج بالثوب الملون، باتت الأسود يحتل كل تفاصيلها بشكل لا يسمح بتبيان أي جزء منها. الفكر، أي فكر، يستهدف أول من يستهدف المرأة، هذا ما نلمس نتائجه اليوم على الشارع وغيره. طفلة لا تتجاوز السنوات الست تجدها مغطاة بالسواد والحجاب. واقع كهذا سحب نفسه على الانتخابات وعلى المستوى السياسي. هناك خطأ قاتل تقع فيه السلطة اليوم. إنها لكي تضرب الإصلاح، تتجه إلى شيوخ السلفية وتدعمهم، اعتقاداً منها أنها بذلك ستضرب الإصلاح، لكنها في الحقيقة تضرب مجتمعها في الصميم. مثل هذه السياسة سترتد على السلطة ذاتها. هذه المسألة معروفة رأيناها في مصر مع أنور السادات، ونراها في أكثر من نموذج. التجربة تفيد بأن من تتحالف معه سيرتد عليك، لأن لديه مصلحة، لديه فكراً ورؤية. معروف على السلطة اليمنية اعتمادها سياسة البقاء. بالنسبة لها سياسة البقاء في السلطة هامة. تفعل ذلك بأسلوب هلامي انتهازي. انتهازي بمعنى أنه مادام هناك مصلحة سأسعى إليها بأي من الطرق والوسائل بصورة ميكافيلية أو سمها ما تشاء. نتائج ما تفعل نجدها على صورة الشيخ الذي أفتى بعدم جواز التصويت لغير المرشح علي عبدالله صالح. إنه شيخ من شيوخ السلفية.

خطاب شيوخ السلفية يقول إن الديمقراطية كفر وإلحاد. هذه لعبة خطيرة ويجب التنبيه إليها. إنها لا تضرب الإصلاح، بل تضرب المجتمع.

■ مثل هكذا تناقض حاصل، يأخذنا إلى ما نسب إلى الشيخ عبدالله الأحمر زعيم تجمع الإصلاح، من تصريحات تفيد أن علي عبدالله صالح مرشحاً للرئاسة.

- (مقاطعة).. لكن شوف عائلة الشيخ الأحمر لم تفعل ذلك، هي أمسكت بالعصا من منتصفها.

الشيخ عبدالله الأحمر يقول إن مرشحته علي عبدالله صالح، ونجله حميد الأحمر يعمل على دعم وتمويل بن شملان.

■ أنا لا أتحذّر عن أسرار، بل عن زعامات. عبدالله الأحمر هو زعيم حزب تجمع الإصلاح المعارض، كيف يفهم مثل هذا؟

- هي لعبة البقاء. لو كان كل هذا يوجه لصالح اليمن لقلت لك ما فيش مشكلة.

■ لكن مثل هذا لا يصب في مصلحة اليمن ولا في مصلحة التطور الديمقراطي.

- هنا المشكلة. لكن لا ينبغي دعم القوى السلفية التي تعرف أنها تقف والديمقراطية على النقيض، هي وحقوق الإنسان، ولا أقول المرأة ككائن له الحق في التفكير له إرادة.. قوى السلفية تقف وهذه الإرادة والحرية وحقوق الإنسان على طرفي نقيض. من الخطأ دعم مثل هذه القوى.

خلال زيارتي لليمن ذهلت، حيثما ذهبت إلى مكتبة أو غيرها ألقى منشوراتهم. أنا لا أدعو إلى منع كتب القوى السلفية. لكنني أدعو إلى تشكيل خطاب موازن. حيث لا تترك لهم الساحة هكذا. من يتحدث اليوم يجابه بالتكفير.

■ معنى ذلك أن السلطة تحولت من دعم الجماعات الوهابية إلى دعم القوى السلفية.. أي أن لعبة توظيف الدين مازالت قائمة.

- نعم، لعبة توظيف الدين لعبة دائمة. نحن جنينا على هذا الدين بتسييسه. انظر مثلاً إلى تجربة الحزب الاشتراكي ما قبل الوحدة، ستجد أنهم عندما لم يتمكنوا من القضاء على الدين بالصورة التي رأتها أدبياتهم، ماذا فعلوا؟ حولوه إلى دين اشتراكي من خلال توظيف الدين باعتباره ديناً إسلامياً يحث على العدالة وتوزيع الثروة.

■ حدث هذا على صعيد المنطقة العربية برمتها في ما عرف باليسار الإسلامي.

- أنا درست ذلك في رسالتي لنيل الدكتوراه. حيث تجد أن الخطاب المستخدم انطوى على توظيف سياسي للدين. كافة الأنظمة العربية وظفت الدين بصورة أو بأخرى بغرض إدامة مصالحها. إلا أنها حين فعلت ذلك جنت على الدين.

الدين هو علاقة بين المرء وربّه. ويتوجب إخراجّه من السياسة، لأنّه لا مستقبل لمجتمعاتنا

العربية دون أن نفصل بين الدين والسياسة، بدون العلمانية، والعلمانية لا تعني القضاء على الدين، بل احترامه وتركه في حيزه الروحاني. دون الوصول إلى مثل هذا الفصل بين الدين والدولة لا يمكن إحراز تقدم. كافة الدول التي عمدت إلى الفصل بين الدين والدولة مثل تركيا حققت تقدماً ملحوظاً نشهده اليوم. في المقابل انظر ما نحن عليه.

■ مجتمع تقليدي مثل اليمن برأيك إلى أي مدى يتجه أو يتوفر على الحد الأدنى من إمكانات العلمنة؟

- السؤال مرتبط أساساً بـ"لم لا يتقبلها؟"، لقد تقبلها في جنوب اليمن، ومارسها. وكذا في تونس، وفي تركيا. هذا لا يقضي على الدين إطلاقاً. المسألة متعلقة بالمصطلحات. إذ إن الكلمات المستخدمة تستخدم بمعانٍ مختلفة. حينما اشتغل الإسلام السياسي بشكل حثيث منظم متواصل ومنهجي، اشتغل على المصطلحات. وأول ما بدأ، بدأ بالمصطلحات المتعلقة بالعلمانية والحرية والمرأة... الخ. وعندما تحدث عن العلمانية تحدث عنها باعتبارها شراً مستطيراً.

أنا علمانية، لا أنكر ذلك، بل بالعكس أنا فخورة وسعيدة. عندما أقول مثل ذلك سوف أقابل على ضوء مثل هذا التوجه باعتباري ملحدة. وهذه مشكلة التوظيف للمصطلحات. فإذا ما أردنا أن نخرج هذا المجتمع من الحالة التي هو عليها، فيجب أن نبدأ نشتغل بشكل منهجي منظم. نشتغل على المصطلحات، ونبدأ أول ما نبدأ بالمنهج التعليمية. ذلك أن المناهج السائدة لا تربّي على التفكير. المجتمع اليمني وكل المجتمعات قابلة للتغيير. ليس لدينا مناعة ضد التطور. لنترك لليمن الفرصة وسنشهد كيف يتطور. الإنسان إنسان في كل مكان. المسألة هي كيف نخلقه. أعتقد أن مجتمعاتنا قادرة على النهوض.

■ لا شك في أن كل الجماعات البشرية لديها هذا الاستعداد، لكن ما قصدت إليه هو إلى أي مدى يسهم النظام السياسي الاجتماعي والوعي العام في اليمن، في ذلك؟ العلمانية لا تهبط من السماء، بل تحتاج إلى دفع وتحفيز على مختلف البنيات، لا سيما وأن العلمنة هي المداك والمرادف للديمقراطية؟

- ما لدينا الآن لا يسمح. لسبب واحد هو غياب الرؤية. إذا لديك قيادة تملك رؤية واضحة، فإنها ستقدر على تحقيق التغيير. كل المجتمعات التي تغيرت كان لديها قيادة مؤمنة بالتغيير،

ولديها رؤية واضحة عملت من أجلها. بإمكانيات اليمن المتواجدة يمكن إحداث تغيير خلال عشرين عاماً. فقط اشتغل على الأجيال برؤية واضحة وشفافية. مشكلتنا في اليمن مركبة أساسها الفساد. والفساد لا يسمح برؤية واضحة. الفساد معناه غلبة المصالح على الرؤية الواضحة.

الآن هناك قرارات يجب أن تؤخذ. والقرارات الصعبة لا يتخذها إلا من يؤمن بها. حتى الآن نحن لا نحوز على هذا. أنا مؤمنة بقدرتنا على الحلم، وأن يترجم هذا الحلم على أرض الواقع. والسؤال هو: أين الرؤية؟

أنا مش شايفة رؤية إلى يومنا هذا. قارن بين ما هي عليه سلطنة عمان اليوم وما نحن عليه.

■ يعني ذلك أنه لا توجد إرادة سياسية.

- سلطنة عمان كانت عايشة في القرون الوسطى. انظر أين هي اليوم. شوف البنك الدولي في أي مصاف وضعها.. في الدول المتوسطة، وبعدها كانت ضمن أكثر الدول فقراً وتخلفاً. كانت هناك رؤية واضحة ومرحلية. ورغم أن التجربة العمانية يصعب وصفها بالديمقراطية، لأن السلطان قابوس مازال مهيمناً كاب؛ إلا أن هناك مراحل ورؤية توجّهان المجتمع العماني نحو وجهة محددة. مثل هذه الرؤية ليست لدينا.

نحن نسير من سيئ إلى أسوأ. رغم وجود ما يمكن ملاحظته على البنية التحتية مثل ازدهار المجتمع المدني، وحرية صحافة تحسّدتنا عليها دول الخليج. عدا ذلك لا يوجد. الفقر ينتشر، ٤٢٪ من السكان في اليمن يعيشون تحت خط الفقر. ما يقارب نصف المجتمع. ثم تريدنا أن نتحدث عن العلمانية.

■ لكن، وبالنظر إلى أهمية الإرادة السياسية، تجربة الجنوب على ما ذكرت أنت اجترحت شوطاً صوب العلمانية رغم انتشار الفقر؟

- صحيح، لكنها تجربة استبدادية.

■ أين مكن الأزمة إذن؟ هل في طبيعة الجمهورية أم في المجتمع أم في هيمنة العسكر والقبيلة على ما يرى البعض؟

- ليس ذلك فقط.. القبيلة اليوم هي أساس الوحدة الاجتماعية، هي الأساس في ما يتعلق بالمناطق، فمن هو المهيمن هنا: هل القبيلة أم غياب الدولة؟

من الناحية السياسية هناك محور، وهناك أطراف المحور، والمركز هو الأساس. في هذا المركز هناك مراكز قوى، الرجال الأقوياء. لم تعد القبيلة -قبيلة- مهيمنة. أنت لديك رجال أقوياء: الشيخ الأحمر رجل قوي، مركز قوي، صحيح أنه يمثل القبيلة، لكنه منسلخ. هو وغيره من مراكز القوى مرتبطون بنواة السلطة. هؤلاء هم من يحكمون. والسائد ضمن مراكز القوى هو سياسة البقاء. ومعناها: أنا سأخذ كل ما يلزم حتى أبقى في السلطة. هذا يعني أنني أسيطر على الأجهزة الأمنية العسكرية المخبرانية. أطعمها وأجعل رؤوسها موالين لي جميعهم: صاحب القرابة أو المنتمي للقبيلة وصاحب الولاء الحزبي. إذ تجد أن كل المسيطرين على الأجهزة الأمنية وغيرها مرتبطون بالولاء للرئيس. تضيف إلى ذلك تحديد القوى الوطنية. لديك هنا عنصران: السيطرة على الأجهزة الأمنية العسكرية المخبرانية، ثم هناك تحديد المعارض بشرائه أو إخفاء صوته، إما من طريق الرشوة أو من طريق تقديم وظيفة كبيرة أو تعيينه في مجلس. سياسة التحديد هذه ظلت منذ الثمانينيات تسير على قدم وساق، لكنها برزت بكثرة بعد تحقيق الوحدة. التحديد والإدماج لازمة من لوازم سياسة البقاء. كل هذا يتم من أجل إدامة البقاء في السلطة. والمشكلة أن ذلك يتناقض جوهراً مع مصلحة الوطن. فمادمت تسخر موارد الدولة للتحديد والولاء، فإنك لن تستطيع أن توجهها بالفعل نحو قنواتها الأساسية. وفي ظل استخدام مثل هذه الأساليب يصبح الفساد كينونة الدولة وماهيتها بحيث يتعذر القضاء عليه. مشكلتنا مركبة. رغم ذلك أظل أقول: إذا ما كان لديك رؤية اشتغل عليها. بامتلاك الرؤية والاشتغال عليها يمكن التغلب على هكذا وضع.

■ طالما وأن القوى النافذة بهذا الحجم وهذا التأثير، كيف يمكن إذا تحقيق التغيير؟

- هذا صعب جداً. مادام التحليل بهذه الصورة قل لي أنت كيف.

■ معنى ذلك أن لا مستقبل للديمقراطية في اليمن؟

- لا.. أنا بطبيعتي متفائلة.

■ على أي أساس يقوم تفاؤلك؟

- لأنني مؤمنة بالإنسان اليمني. سأظل أؤمن بالإنسان، وأنا قادرون، إذا أردنا. مشكلتنا

أننا عندما نتكلم، نتكلم ورؤيتنا متجهة نحو اللي فوق. لم لا ننظر إلى تحت؟ ليه ما نبصش للي تحت؟

■ وما له! نبص للي تحت.. هل ذلك يعني أن هنالك إمكانيات شعبية للتغيير؟

- الإمكانيات الشعبية موجودة. لذلك أقول إن هناك فرصة في اللقاء المشترك أتمنى أن يتم استغلالها. فمتى ما خلقت معارضة ستحصل على تنازلات. والمهم كيف يمكن أن تجبر هذه القوى لصالح هذا الوطن بدون تنازل عن المبادئ. جميعنا قوى وطنية بصرف النظر عن الانتماء الفكري. ما يتمناه المرء هو أن يكون الوطن هو هدفنا جميعاً.

■ صورة المعارضة لدى كثيرين هي معارضة هشة تعكس ما عليه المجتمع من هشاشة وتشردم، إلى أي مدى يصح الرهان على المعارضة؟

- أنا لا أراهن على الإنسان. نحن في أزمة، هذا صحيح. وصحيح أيضاً أن المسألة معقدة ولا تبعث على الأمل، لكن ما حدث مع تأسيس اللقاء المشترك سأظل أعتبره خطوة إيجابية. ردة فعل السلطة تظهر بأن ما حدث كان حراكاً، خطوة إلى الأمام لا ينبغي أن ننظر إليها بأنها مظلمة أو سلبية.

● "النداء"، العدد ٧٨، الأربعاء ٨ نوفمبر ٢٠٠٦

(٢-٢)

إلهام مانع لـ "النداء":

الرئيس والأحمر يسعيان إلى توريث الحكم لأبنائهما، وانتظار اليمن على باب مجلس التعاون الخليجي سيطول



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

” تناول الجزء الأول من هذا الحوار مجريات الساحة اليمنية، وما شاب العملية الانتخابية الأخيرة من إقصاء للمرأة وملايسات بدا كأنها تضرب التحول الديمقراطي في الصميم، خصوصاً من ناحية بعض المحاولات الرامية إلى إحلال مفهوم "الدولة الإسلامية" عبر أطر وأشكال تأخذ مسميات عدة. وفي هذا الجزء -الثاني والأخير- نتطرق إلى الباحثة إلهام مانع لعديد قضايا من قبيل: تظاهرات توريث الحكم، وبروز النزعات الطائفية، وحال العلاقة اليمنية السعودية، وإمكانية انضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي، والتدويل الذي آلت إليه القوى الدعوية اليمنية المتطرفة.

■ حوار: علي سالم

■ هناك من يرى أن الفاعلية مازالت للقوى التقليدية، وأن الغد هو لجيل جديد من القوى التقليدية، وأن ما يجري من تباين ما بين السلطة والمعارضة يجري ضمن بنية تقليدية واحدة: علي عبدالله صالح يريد توريث الحكم لنجله من باب السلطة، والشيخ الأحمر يريد توريث نجله من باب المعارضة؟

- صحيح ما فيش فائدة.. "غطيني يا صفة!" لكنني أعود وأقول إنه إذا ما أمنت بالإنسان واشتغلت، ذلك وبحكم عادتي في النظر إلى ما يحدث من منظور تاريخي، فإن من غير المحتمل

إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

ألا نشهد نحن أو أولادنا التغيير المنشود. لكن الأمل ربما بقي في الأحفاد.

المنطلق هو: كيف نخلق هذه الأجيال؟ مثلاً حين تلاحظ الأجيال التي أنتجتها المعاهد الدينية ستجد أننا مازلنا نعاني اليوم من أثرها. فلم لا نشتغل على هذه الأجيال طبقاً لمناهج علمية وذات هدف؟ لاحظ ما هي عليه مناهج التعليم وبالذات المرتبطة بالدين ستجد أي دين الذي تخلقه في أذهان الناشئة وأي فكر تحشوهم به، والطريقة التي تعلمهم بها التفكير. إنه تعليم يكرس السمع والطاعة. والأمل قائم على الاشتغال على الأجيال. وطالما بقينا على ما نحن عليه: حالنا الهلامي والفوضوي، فلن نصل إلى الهدف.

أنا معك أنه ما فيش فائدة إلا أنني أظل أقول بأن ثمة أملاً في الاشتغال على الأجيال.

■ من الذي سيشغل على هذا؟

- المجتمع المدني والأحزاب وعندك السلطة أيضاً فلا ينبغي أن نفقد الأمل إلى هذا الحد. نتمنى أن الكل يشتغل، أفراداً وجماعات، بحيث يمكن تشكيل عملية ضغط، المهم أن يكون هناك تحديد أهداف واضحة. هل المعارضة تريد الوصول إلى السلطة؟ تريد الوصول للسلطة لتكون فقط في السلطة تحشو جيوبها أم تريد أن تغير؟ وماذا تغير؟ وماذا نريد أن نغير ونعرف ماذا نغير فلنبدأ بتشكيل قوة ضغط بشكل ممنهج. ليس الأحزاب وحدها فالمجتمع المدني يلعب دوراً كبيراً. منظمات المجتمع المدني في اليمن باتت شعلة. ما مدى تأثيرها؟ هنا السؤال.

■ وماذا بشأن التعويل على المطلب الدولي في إجراء إصلاحات في المنطقة؟

- أنا مقتنعة أن هناك رغبة دولية فعلاً في الإصلاحات، رغم أن الولايات المتحدة باتت مدركة أنها وضعت نفسها في مأزق؛ ما حدث يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١م كان لحظة مفصلية. قد تصادف الكثير من نظريات المؤامرة، لكن ما حدث كان فعلاً صدمة جعل الولايات المتحدة تستفيق. عد إلى خطابات بوش بعد الحدث. في أحدها يقول: "لقد دأبنا على دعم الديكتاتوريات، لن نفعل هذا بعد اليوم". لكن المأزق الأمريكي وحاجة الإدارة الأمريكية إلى شركاء في مكافحة الإرهاب يبقونها على صلة بهذه الأنظمة. عندما دخل الأمريكان العراق لم يكن لديهم رؤية أو خطة لما بعد الحرب، فكانت هذه المأساة التي نراها وعليهم أن يتحملوا مسؤوليتها وأن يقفوا أمام المسألة. بسبب هذه التعقيدات التي اعترضتهم لم يصلوا بالدفع نحو الإصلاحات إلى

مداه. لقد باتوا كالواقف بين نارين. رغم ذلك ستجد هناك نوعاً من الضغوط تحدث خلف الكواليس وأعتبرها شيئاً إيجابياً. لكنني أعود وأقول: لا ينبغي أن نتوقع من الأجنبي أن يدعم قضايانا. ولنا أن ننظر في هذا إلى ما يحصل في العراق: عند دخول العراق توقعنا التغيير لكنه لم يحدث بل حصلت الكارثة. ليس هناك من يفكر بمصلحتنا، أو يدافع عنها. سوانا.

■ ثمة من يرى أن ما يجري في العراق هو اقتتال داخلي كان سيحدث بقي الاحتلال أو انتهى؟

- ما لم يتوقعه أي من المراقبين هو أن تدخل الولايات المتحدة العراق دون خطة لما بعد الحرب. ديك تشيني قالها بأنهم سوف يُستقبلون بالزهور والورود. هذا التوقع كان ساذجاً لأن هناك ما سمّيته "أعراض الحالة الضاغطة" في العراق: مجتمع متعدد كانت الأقلية فيه هي التي تحكم بالحديد والنار وباللعب بالتناقضات القائمة فيه وعلى حساب تلك الأقليات المتواجدة فيه سواء من الأكراد أو من الشيعة. التناحرات موجودة أساساً. الولايات المتحدة لم تخلق هذه التناقضات والخلافات؛ هي كانت موجودة لكن كان مُتَكَتِّماً عليها، الحالة الضاغطة، البلاد كانت موضوعة على نار حامية وهي مقفلة ظلت تتفاعل وتضغط، ما كان ينبغي أن تفتحها هكذا حتى تنفجر في وجهك. الخطأ الذي وقعت فيه الولايات المتحدة بعد الاحتلال هو حل الجيش. حتى في ألمانيا النازية لم يحل الجيش. أنت عندك دولة مترامية الأطراف يتوجب عليك حكمها لا أن تحل الجيش ليتحول إلى عدو لك. ما كان من المتوقع أن تدخل الولايات المتحدة من دون أن تدرك أبعاد هذا المجتمع. لقد كان محتملاً أن تصل الحالة العراقية إلى هذه الدرجة طالما لم تتخذ الإجراءات اللازمة لتلافيها. بالفعل ما يحدث الآن هو حرب أهلية لكنني لم أفقد الأمل بعد فيما يتعلق بالعراق. سمني إن شئت مجنونة. فما زالت هناك أشياء كثيرة تحدث على أرض الواقع من قبيل منحى التقارب وطرح المصالحة الوطنية. مثل هذه المحاولات قد تثمر وربما يأتي اليوم الذي يتعب فيه العراقيون من قتل بعضهم بعضاً.

■ هذه التجربة الصادمة للولايات المتحدة في العراق هل يمكن أن تحد من ضغوط الإدارة الأمريكية بشأن إحلال الديمقراطية في المنطقة..؟

- السؤال هو: هل الديمقراطية تظل بالفعل محوراً أساساً للسياسة الخارجية الأمريكية؟

■ هناك رغبة دولية
بإجراء إصلاحات في
المنطقة لكن لا ينبغي أن
نتوقع من الأجنبي دعم
قضايانا

■ لم نصل بعد إلى
مستوى الاستفادة من
ثمار العولمة، وعلى
المسلمين الذين لا
يستطيعون التأقلم مع
قيم الغرب الذهاب إلى
إيران أو السعودية

■ الزعم بأن ديننا هو
الأفضل سيبقى مشكلة،
ولا نريد أن تخرب
الجمعيات الإسلامية
حياة العرب والمسلمين
في الغرب

فربما أتى رئيس ديمقراطي ليعيد النظر في هذه السياسة. ما أعتقد أنه هو أن الولايات المتحدة أدركت أن بقاء الحال على ما هي عليه ليس في صالحها. إنها بذلك تفرز أجيالاً غاضبة من هذا الوضع القائم، غاضبة من النظام السلطوي، من الفقر ومن انعدام الثقة بالمستقبل. هذا الغضب يمكن أن يجري توجيهه من قبل الجماعات المتطرفة. انظر إلى من يدعم الأنظمة الحاكمة في المنطقة، المملكة العربية السعودية من الذي وفر لها الغطاء الأمني الذي يجري تحت مسمى التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والسعودية؟ الغضب إذن سيوجه لمن يقوم بمثل ذلك. أعتقد، وهذه قناعتي، وهي ترتبط بمادة درستها وهي الديمقراطية في الشرق الأوسط، هناك قناعة وتوجه لدى الولايات المتحدة بأن بقاء الأمر على ما هو عليه أمر غير مستحب. لكن السؤال هو: هل هذا التغيير سيتم عبر الشكل التصادمي الذي بدأه الرئيس بوش، أم سيتم بأسلوب تدريجي مفاده ألا نعمل على زعزعة هذه الأنظمة؟ لأن زعزعة استقرارها يمكن أن تؤدي إلى نتائج وخيمة. لو نظرت إلى ما يمكن أن يحدث للمملكة العربية السعودية، لو حدث أن انفصمت الوحدة القائمة بين الأقاليم السعودية فسيكون هناك إقليم شرقي مستقل سيتحول تلقائياً مع إيران. وحينها سيكون هناك المثلث أو الهلال الشيعي الذي حذر منه ملك الأردن. وهذا أمر لن تغض الولايات المتحدة

عنه الطرف. إليك التحليل الذي توصلت إليه ومفاده أن تتجه الولايات المتحدة في مثل هذه الحال إلى توفير ضغط ودعم للقوى الداعية للإصلاح وفي الوقت نفسه تدفع هذه الأنظمة إلى التغيير. لكن هذا نمط السلحفاة. لذا أقول: لا ينبغي أن تنتظر دعماً من الأجنبي! لا تتوقع أن يأتي الآخر ليتبنى قضايك! ابحث عنها في ذاتك. المشكلة الأساسية هي أنه إذا كانت الولايات المتحدة تتصور أنها بدعم مجموعات هلامية صغيرة لها ستحدث تغييراً، فإن من الاستحالة حدوث هذا التغيير.

التغيير الفعلي لا يحدث إلا إذا نبع من الداخل لا أن يفرض من الخارج. الغضب الذي نوجهه نحو الولايات المتحدة يفترض أن نوجهه نحو حكامنا، لا نفجرهم، بل نقاوم مقاومة سلمية وندعو إلى التغيير. التغييرات التي حدثت في أمريكا اللاتينية لم تأتِ بدعم من الخارج رغم أنها كانت تدرج ضمن إطار الحرب الباردة، مع ذلك أتى التغيير من الداخل.

■ لا يبدو أن مطلب الديمقراطية يتعلق بطبيعة الإدارة الأمريكية أكانت جمهورية أم ديمقراطية، بل هو شرط مرتبط بطبيعة انتشار السوق الرأسمالية منذ انتفاء أحد المعسكرين، وسواء وقعت أحداث ١١ سبتمبر أم لم تقع..؟

- ١١ سبتمبر كانت جوهرية بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية.

■ لكنها أيضاً أفضت إلى نكسة للحريات الديمقراطية؟

- صحيح. ومن هنا انعدام المصادقية. الولايات المتحدة التي تحدثنا اليوم عن الحقوق والحريات نرى في الوقت ذاته ما تفعله مثلاً في السجون غير القانونية حيث تعتبر نفسها فوق القانون وكذلك بالنسبة لما يحدث على صعيد الحريات. لهذا لا ينبغي أن نعول على الولايات المتحدة. لقد دأبنا على تحميل الآخر نكساتنا.. الغرب والاستعمار وغيرها من الشعارات الهاذية بأن الغرب يريد أن يقضي علينا وعلى ثقافتنا في الوقت الذي لا نعمل نحن لأنفسنا شيئاً.

■ لكننا نعلم أن الولايات المتحدة لاتزال فاعلة، أليست هي التي وقفت وراء تدعيم وانتشار الإسلام السياسي؟ فما زالت دول المركز هي اللاعب الأكبر في صوغ سياسات وتوجهات الدول الطرفية..؟

- طيب وأين المشكلة؟!



● الشيخ الأحمر



● الملك عبدالله



● الرئيس صالح

■ السعودية لا يسعدها أن ترى اليمن قوة إقليمية والشك تجاه اليمن سيظل قائماً، والعلاقات بينهما حلقة مفرغة لا تحصد سوى الهواء



■ المشكلة أن الرهان على الداخل وحده في إحداث تغيير قد لا يحظى بالنجاح في ظل وجود ممانعة خارجية. أليست الشعوب العربية في السعودية والخليج وغيرها هي التي ظلت لعقود لا تحرك ساكناً وبقيت الأنظمة على حالها؟ وما نشهده من حراك باتجاه تفعيل الشورى وطرح قضايا المرأة لم يكن ليحدث لو لم تكن

هناك ضغوط خارجية على هذه الأنظمة..؟

- هل هذه الشعوب طالبت بالتغيير؟ ما أود قوله أن الضغوط مادامت لصالح حقوق الإنسان والمرأة فلم لا نجبرها لصالحنا مادامت موجودة؟ الوقت مواتٍ لمثل هذه الإصلاحات. هناك رغبة دولية في إحداثها. لكن لا ينبغي أن تتشائم أو أن تقول لي: ما فيش أمل في التغيير إلا من خلال دعم خارجي.

الوقت مواتٍ للتغيير. دولة عظمى أو غير عظمى.. إذا ما كان هناك شعب أراد فلا بد أن تحترم إرادة هذا الشعب. السؤال هو: ماذا تريد أن تغير؟ هل تريد تحويلها إلى دولة إسلامية؟ فتلك مصيبة. مع احترامي فإن فكر الإسلام السياسي الوهابي كما يطرح اليوم في الساحة هو فكر لا يؤمن بالإنسان باعتباره إنساناً. إنه فكر جوهره فاشي. ببساطة استبدادي. أعود وأؤكد أنني لا أتحذّر هنا عن الدين حتى لا يخرج الحديث عن سياقه.

اليمن بلدي، وما أتمنى لها هو أن يصبح الإنسان كائنًا له احترامه، بحيث لا أجد الفقراء مرميين في أروقة مستشفى الثورة وغيره، بينما من لديه واسطة أو فلوس يحصل على الاستشارة، فيما يرمى بالفقراء في الأروقة.. لم أنسَ منظرًا، شاهدته العام ١٩٩٣م، إذ كنت برفقة والدي: كان رجلٌ مسكين يدور بطفلة وهو يصرخ: "والله لو كنت كافر! منذ أمس وأنا هنا"، والبنت بدا شكلها كأنها تحتضر. مثل هذا مجتمع يفرز مثل هذه التناقضات لا يستحق البقاء. إنه مجتمع ظالم غير عادل. ما أتمناه هو أن يحصل الإنسان في هذا المجتمع على القوت والمسكن؛ لكن يجد فيه أيضًا الإرادة. إذا أردت أن تعمل ستجد. لا ينبغي أن تفهمني غلط! أنا هنا لا أدعو إلى النظام الاشتراكي. ما أدعو إليه هو أن يكون هناك مجتمع يتوفر على كرامة مواطنيه. هل سويسرا أفضل منا سوى بالعمل الدؤوب وأنهم يبنون حياتهم وعملهم على الجدية؟! عادة ما أصادف الرئيس الفيدرالي راكبًا بجانبي على "الترام" لا حواليه موكب ولا ألف حارس، راكبًا وسط العاصمة برن مثله مثل أي مواطن يتمشى. عندما تجد مجتمعًا على هذه الحال فاعلم أنهم يعملون صح.. الإنسان هو الإنسان في كل مكان. لاحظ اليمني حينما يغادر بلده كيف تفتح له الفرص عكس ما هو عليه في الداخل.

■ باعتقادي أن الأمر يتعلق بمساق تاريخي..؟

- هي مسألة تطور، فقط نؤمن أن مصيرنا بيدنا. ليس هناك قدر، نحن الذين نختار مصيرنا.

■ ما يلاحظ وبدأ يبرز مؤخراً هذا الانبثاق والانتعاش للعرقية والعصبية والطائفية والتمذهب، نشاهد هذا في العراق والسعودية وغيرها كما برز في ما شهدته هنا صعدة.. ألا يشكل ذلك عائقاً أمام التوجهات نحو الديمقراطية؟

- هذه التناقضات تظهر في أوقات الأزمات وفي أوقات الفقر واللحظات الصعبة! ما حدث مع الحوثي؟ تعلم أساساً أن السلطة لعبت دوراً في دعم حركة الحوثي بهدف أن تضرب أحزاباً دينية. هي لعبة، لكن نتائجها كانت وخيمة. لكن ليس من الأفضل أن ننظر إليها من منظور ديني، علينا أيضاً أن ننظر إلى الوضع الاقتصادي، وسنجد أن هذه المطالب كانت تأخذ صورة دينية، لكنها تعبر عن مطالب اجتماعية، تدافع عن مصالح، تريد أن تحصل على مكانة. ما حدث في العراق هي الحالة الضاغطة فتحت قبل أوانها فانفجرت في الوجه. ولا تتوقع سوى أنها تنفجر. وعلى هذا يجب مسالة الولايات المتحدة عما حدث ويحدث. أليس هناك خبراء مجتمعات في ما يمكن أن تسفر عنه التناقضات؟! السعودية واحد من المجتمعات التي تحمل تناقضات كثيرة. هي لم تتخذ الأساليب الصدامية في القمع، لكن الوهابية في أجهزة الأمن السعودي تمارس نفس الأسلوب، وهو قمع الهوية: الهوية الشيعية، الهوية الإسماعيلية، الحجازية، الصوفية، والشافعية. هذه الهويات تواجه بالقمع. وهؤلاء ليسوا صامتين، بل إنهم في حراك، تجد ذلك على مواقع الإنترنت، وتجده في أكثر من صورة. ما يخفف من وطأة هذه التناقضات حالياً هو ارتفاع سعر البترول، وهذا لحسن الحظ. ذلك أن السعودية منذ أواخر الثمانينيات ونهاية التسعينيات كانت تواجه إمكانية الإنهيار لأن أساسها قائم على مبدأ غير صحيح. توحيد السعودية قائم على مبدأ: مذهبي هو الأصح. تتذكر ماذا حصل مع الملك عبدالعزيز عندما استولوا على المناطق الشرقية، وما الذي كان الوهابيون يريدون فعله. مذابح حصلت وهذه الأشياء لم تنس، مازالت محفوظة في الذاكرة، وتجدها الآن في القراءة التي يعمد إليها الكثير من البحاثة من السعوديين الشيعة. إذ يعيدون قراءة التاريخ وفقاً لمنظورهم. مي يمانى تعيد قراءة التاريخ من المنظور الحجازي. هذه عبارة عن صرخات استغاثة تظهر من حين إلى آخر. لكن النفط هو الذي يحول دون بروزها بشدة.

إذا لم تنتهز المملكة العربية السعودية الفرصة المتاحة لها حالياً من خلال هذا الفائض من النفط، بحيث تعيد تشكيل المجتمع بالشكل الذي يمكنه أن يعترف بالتناقضات الموجودة،

ويعود المذهب الوهابي إلى موقعه باعتباره مذهباً من بين مذاهب عديدة، وليس المهيم؛ إذا لم تنتهز السعودية هذه الفرصة فما إن ينفد النفط فإن التناقضات ستطفو من جديد.

■ إزاء هكذا تناقضات على صعيد كل بلد، برأيك إلى أي مدى يمكن أن تنجح تجربة التكتلات الإقليمية مثال مجلس التعاون الخليجي، وعلى ضوء مسعى اليمن للانضمام إلى هذا المجلس؟

- مجلس التعاون الخليجي أنشئ بهدف سياسي وقرار أمريكي سعودي. ما نجح فيه المجلس ليس سياسياً ولا عسكرياً. بل نجح في التعاون الاقتصادي التجاري مثله في ذلك مثل الجامعة العربية والأمم المتحدة. انتظار اليمن للانضمام إلى المجلس مرهون برضا المملكة العربية السعودية. لكن إقصاء اليمن من مجلس التعاون الخليجي ليس من مصلحة دولة، لأن الخليجين لا يريدون منطقة متوترة على حدودهم. الدعوات الخليجية المتكررة حول تهيئة اليمن شيء جيد؛ لأن عملية التهيئة هي أمر إيجابي، لاحظنا ذلك على عمليات تهيئة الدول التي انضمت إلى الاتحاد الأوروبي؛ إذ وضع الاتحاد الأوروبي عدداً من الشروط، وهو ما اضطر الدول الراغبة في الانضمام إليه للالتزام بهذه الشروط. ما أتمناه أن يلعب مجلس التعاون نفس الدور الذي لعبه الاتحاد الأوروبي مع الدول الأخرى من حيث تأهيله اقتصادياً للدول التي انضمت إليه.

المشكلة أن مسألة انضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي مسألة مُسيّسة مرهونة برضا الأخت الكبرى: السعودية.

■ لكن إدماج اليمن في المجلس ربما كانت رغبة أمريكية!

- أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية بالفعل كانت مأساوية، رغم ذلك كانت لها فوائد خاصة فيما يتعلق باليمن. فمن ناحية أخذت السلطات اليمنية تنقلب على التيار الديني، ومن ناحية سياسية اتخذت الحكومة اليمنية خطوات كان من المفترض أن تتخذها منذ زمن بعيد، مثل فرض سيطرة الدولة على الأطراف. كانت الدولة دائماً غير متواجدة، وما زالت غير متواجدة، لكنها بدأت تتخذ بعض الإجراءات التي من شأنها فرض هيمنة الدولة. من ناحية السياسة الخارجية ظلت اليمن مبعدة عن الولايات المتحدة بحكم الضغط السعودي. العلاقات اليمنية الأمريكية كانت تمر عبر القناة السعودية، وبشروط سعودية. بعد حرب الخليج الثانية وموقف

اليمن من الحرب المؤيد للعراق خسر اليمن الكثير، لكنه في المقابل لأول مرة يجد نفسه وحيداً، دون الأخت الكبرى. وأيضاً في مواجهة مع الولايات المتحدة، لكن سياسة البقاء التي تنتهجها السلطة الحاكمة في اليمن، وجدت في الديمقراطية وسيلة لجلب الدعم الخارجي. حيث بدت انتخابات أبريل ١٩٩٣م، كأن اليمن البلد الأكثر ديمقراطية في العالم العربي، ناهيك عن شبه الجزيرة العربية، ومع استعداد اليمن للمشاركة في الحرب الدولية ضد الإرهاب أخذت عزلة اليمن تتقلص بحيث أصبحت العلاقات اليمنية الأمريكية لأول مرة مباشرة ولا تمر عبر قنوات الأخت الكبرى. كما باتت الولايات المتحدة تدرك طبيعة البيئة الاجتماعية في اليمن، وهي بيئة ملائمة لتخليق متطرفين وإرهابيين. فالفقر والأمية تربة خصبة لنمو وانتشار الخطابات المتطرفة.

كما أدى دخول اليمن في علاقات مباشرة مع الولايات المتحدة إلى تقديم الولايات المتحدة الدعم لليمن، وهو ما نأى باليمن عن الضغوط التي كانت تمارسها المملكة العربية السعودية.

دور السعودية في إضعاف الدولة في اليمن لا ينسى. منذ سبعينيات القرن الماضي ظل دور السعودية غير داعم لليمن كدولة، بل كان مضعفاً للدولة في اليمن. نوع من علاقة الحب والكراهية كانت قائمة بين السعودية والنظام في شمال اليمن. كان الدعم السعودي لليمن الشمالي منصباً بهدف أن يواجه الشمال الجنوب، لا أن تقف الدولة على رجليها. مطلب السعودية كان أن تبقى الدولة في شمال اليمن ضعيفة.

■ وهل تغير المطلب الآن؟

- أعتقد. لكن هذا لا يعني أن المملكة العربية السعودية سوف تسعد برؤية اليمن كقوة إقليمية مزدهرة. هناك دائماً شكوك سعودية تجاه اليمن.

■ هناك من يقول بمخاوف سعودية من أن تكون اليمن معبراً للدمقرطة والتغيير في المجتمع السعودي..؟

- كان هذا في البداية، أما الآن فلم تعد اليمن هي الوحيدة، هناك البحرين والكويت، وهذه أصبحت مسرحاً لحراك سياسي حقيقي بضم المرأة إلى العملية الانتخابية كمرشحة. لكن الشك تجاه اليمن قائم، وسيظل كذلك، لا سيما في ضوء الموقف الذي اتخذته اليمن

من حرب الخليج الثانية والداعم للعراق. وهذا الموقف اليمني لم يأت من فراغ، كان ردة فعل على السياسات السعودية التي كانت تتخذ ضده. العلاقات اليمنية السعودية حلقة مفردة لا تحصد سوى الهواء. مع ذلك يمكن التغلب على كل هذا، وأمامنا في التاريخ الأوروبي العلاقات المتوترة التي كانت ما بين دوله لا سيما فرنسا وإيطاليا وألمانيا وبريطانيا، إذ ظلت الحروب الناشبة هي القائمة بين هذه الدول، لكنها تجاوزت تاريخها الدموي، وصارت ما هي عليه اليوم.

■ لكن من الواضح أن ملف الأنظمة الداعمة لصدام حسين أغلق، نلاحظ ذلك من خلال الموقف الأمريكي من اليمن، كما استجدت معطيات جديدة على العلاقات اليمنية السعودية خصوصاً بعد اتفاقية جدة الحدودية، على ضوء هذا: هل هناك، في تقديرك، إمكانيات فعلية لانضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي؟

- ممكن ذلك، لكن انتظار اليمن على باب مجلس التعاون الخليجي سيطول إلى أن تتأهل (تضحك).

■ حتى ولو كانت هناك رغبة أمريكية؟

- (بانفعال) نحنا فاكرين أمريكا هي الله!!

■ لا، لكننا نعلم دورها الكبير والمؤثر..

- (مقاطعة) شوف! شوف اللي عملته في دعمها لأيمن نور! شوف اللي عملته الولايات المتحدة لدعم هؤلاء وما فعلته السلطات المصرية. مصر سجنّت أيمن نور خمس سنوات رغم أن وزيرة الخارجية الأمريكية ألغت لهذا السبب زيارة لها إلى مصر.

مصر مدركة ببساطة أنها تظل حليفاً استراتيجياً للولايات المتحدة الأمريكية. منطقتها تجاه الإدارة الأمريكية هو: افعلي ما شئت لكنك لن تستطيعي أن تغيري النظام، فالبديل هم الإخوان المسلمون. والولايات المتحدة تعرف طبيعة الإخوان المسلمين وخطابهم بشأن الحرب على الإرهاب، المسألة في النهاية مصالح. والولايات المتحدة مهما كانت قوتها تظل محدودة. رأينا ذلك عند دخولها العراق، فلم يتحالف معها سوى عدد من الدول الهامشية باستثناء أستراليا وبريطانيا.

■ هل يعني ذلك أن الإدارة الأمريكية يمكن أن توافق بأن يبقى الحكم فردياً وأن يورث حسني مبارك الحكم لنجله جمال؟

- حينما سئلت كونداليزا رايس حول توريث السلطة إلى جمال كان ردها: "هذا شأن داخلي". جمال مبارك ومجموعته هم من يشاركون في منتدى دافوس وهناك يلتقون قيادات دولية. ما قصدت إليه هو ألا ننظر إلى الولايات المتحدة بصورة مثالية. نعلم المواقف التي اتخذتها السعودية بعد أحداث ١١ سبتمبر. صحيح أن السعودية اتخذت الكثير من المواقف الداعمة لحرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب، لكنها مع ذلك لم تتحرك قيد أنملة في ما يتعلق بالحريات، عدا انتخابات البلديات. هناك حدود لما يمكن للولايات المتحدة أن تصنعه.. المهم نحن نتأهل وأختنا الكبرى ترضى عنا (تضحك).

■ حتماً سترضى! ذلك أن طبيعة السوق الرأسمالية تفترض مثل هذه الاندماجات، مع السوق المعولة، صار الاندماج متطلباً اقتصادياً..؟

- ممكن أن تجبر مثل هذا الاندماج لصالحك من عدمه. نعلم ما اتخذته الصين والهند في هذا الجانب: وظفتا الاندماج لصالحهما. والآن يجري الحديث عن القوة العظمى الصاعدة. ذلك أن العولمة سلاح ذو حدين. لقد جبرت الهند المتاح في هذه السوق فأصبحت الأولى في مجال تقانة الاتصالات. وكل بلد إما أن يستغل الفرص التي تفرزها السوق العولمية أو أن يغدو هو محل استغلال من قبل دولة أخرى. وهناك مساحة مشتركة للمصالح. المهم أن نستطيع الوقوف عليها ونستفيد منها.

العولمة ليست سيئة، ونائجها يمكن أن تكون وخيمة إذا لم يجر التعامل معها بشكل جيد. النتائج تكون وخيمة بخاصة على القوى المستضعفة في أي مجتمع. نحن لم نصل بعد إلى مستوى الاستفادة من ثمار العولمة. علينا أولاً أن نقف وننهض.

■ عودة إلى أحداث ١١ سبتمبر، ما هي التأثيرات التي تركها الحدث على أوضاع العرب والمسلمين في الغرب، باعتبارك من حملة الجنسية المزدوجة؟

- في سويسرا ربما كان التأثير الأساسي أنهم انتبهوا إلى أن هناك من يسمون مسلمين، وأن هؤلاء يعيشون بين ظهرائهم. وبدأ الاهتمام ينصب على معرفة: من يكون هذا الآخر؟ وهل هو بهذه الخطورة بالفعل؟ ما الذي يدفع هؤلاء إلى قتل أنفسهم؟ هناك في سويسرا

وسائل إعلام متعددة. وهي تنطق بثلاث لغات: الألمانية، الفرنسية، والإيطالية. في المناطق التي تتحدث الألمانية حيث أعيش هناك صحف صفراء اتخذت من قضية المسلمين وسيلة للكسب، من طريق اللعب على هاجس الخوف بتخليق صورة المسلمين على شكل "بُعْبُع" بالتركيز على المساوي. وحدث أن مثل هذه الصحف كانت تتجه إلى مسلمين سياسيين وإلى أئمة مساجد معروفين بوهابيتهم، ثم يحدثوهم عن الشريعة والرجم، فما يكون من هؤلاء الأئمة سوى الدفاع عن رجم الرجل والمرأة باعتباره جزءاً من الشريعة الإسلامية، وهكذا كان يجري استغلال آراء هؤلاء لتشويه صورة المسلمين، مع أن الرجم غير موجود في الشريعة.. مع ذلك كان هناك وسائل إعلام جادة، حيث كانت تقدم أصواتاً مختلفة ورؤى متعددة عن الإسلام. في الوقت نفسه حدث أيضاً حراك داخل الجاليات المسلمة، أنا شخصياً انخرطت ضمن مجموعة أسسنا منتدى من أجل إسلام تقدمي. كما بدأت تظهر ضمن الجالية الإسلامية أصوات متعددة، حيث أخذ يبرز التنوع. قبل ذلك كان هناك أفراد بالخطاب من قبل ممثلين لتيار إسلامي سياسي معين.

الآن أصبحت الجالية مفتوحة الساحة على الجميع بحيث وجدت أصوات عديدة تبرز وتؤكد أن الهوية الإسلامية أكثر تعقيداً من حصرها في إطار أو صوت واحد.

أنا عربية، الدين مهم بالنسبة لي من جانب روحاني. أنا إنسانة أولاً عربية ثانياً مسلمة ثالثاً. الخطاب بدأ يتغير بتغير وتعدد الأصوات. وفي الوقت نفسه أعداد المسلمين أخذت تتزايد. هناك نوع من الخوف سببه الصحافة الصفراء، وأيضاً التاريخ، لا سيما ذلك المتعلق بلحظات التصادم بين العالمين. هناك غياب في معرفة الآخر لدى الجانبين.

نحن هنا نتكلم عن الغرب، مع أن الغرب متنوع. وفي المقابل كان الأوروبيون داعمين للبنان أثناء حرب إسرائيل عليه أكثر من دول عربية. مواقف سويسرا من حرب لبنان كانت مواقف مشرفة. المطلوب خلق جسور للتواصل لتغيير صورة هذه الثنائية لدى الجانبين. ولا ننسى أن هناك مسؤولية يتحملها المسلمون أنفسهم. تتحدد هذه المسؤولية في أن مجتمعاً لا تؤمن بقيمه غادره. على من لا يستطيع أن يعيش أو يتكيف مع المجتمعات الأخرى مثل المجتمعات الغربية، أن يذهب إلى المملكة العربية السعودية أو إيران. هناك قوى إسلامية ترفض الاندماج تماماً، وتعتبر المجتمع الأوروبي الذي تعيش فيه كافراً.

■ هناك مبدأ نشر الدعوة عند مثل هؤلاء؟..

- هذه هي المشكلة. مشكلة الجيل الثالث من المسلمين أنهم لا يعرفون من هم، الجيل الأول كان مهمهم أن يأتوا ويستقروا. الجيل الثاني والثالث أخذ يبحث عن الهوية. وفجأة تأتي أحداث دولية تجعلهم يكتشفون أنهم لا ينتمون بالفعل إلى هذه الثقافة وهذا المجتمع. أصوات التطرف تأتي من هذا التيار. ثقافة الكراهية تنمو وتعشش جراء جهل مثل هؤلاء بتاريخهم وثقافتهم مما يسهل تسييسهم وجرهم إلى التطرف. هناك خطاب متطرف ينبغي مواجهته حتى داخل المجتمعات الأوروبية أيضاً.

■ ألم تشهد سويسرا موجة عداة عنصرية؟

- في سويسرا لم يوجد مثل هذا. حدث فقط نوع من النقاش فجره بعض المسلمين الذين يريدون بناء مساجد ووضع منارة عليها. وكان مشاكل المسلمين كلها اختفت ولم يتبق سوى المنارة والهلال. هناك مشاكل عداة عنصري لكنها موجهة أساساً ضد الأفارقة. تمييز على أساس اللون. لكن هناك أيضاً بعض التردد من قبل السويسريين إزاء المسلمين. أنا كثيراً ما أستخدم وسائل إعلام عديدة وأشارك في ندوات وأمس دائماً نوعاً من الخوف. لا يعرفون من يكون هذا المسلم، ويريدون أن يعرفوا. عندما يتعرفون على أفكارهم لا يجدون مشكلة. لكنهم ما إن يسمعون صوتاً آخر متشدداً حتى يقعوا في حيرة. لا يدرون مع من يتعاملون. ليس هناك مشكلة في أن يحافظ الإنسان على هويته ويكون مندمجاً. الاندماج لا يعني الذوبان. للأسف بعض الأسر المسلمة ترفض، تعزل نفسها، وترفض التعااطي مع الاندماج، لدرجة أن البعض من المسلمين يرفض إرسال أطفاله في رحلات مشتركة تنظمها المدارس. ما يحدث في اليمن ليس غائباً عن أوروبا حيث الفكر المغلق حاضر في الجاليات الإسلامية في أوروبا.

■ لكن المشكلة تبقى في المنحى التبشيري في فكر الجماعات الإسلامية وما يترتب على ذلك من نزوع إلى العنف؟

- من هنا يأتي دورنا نحن. بأن نقول: لا، الدين لله، جانب روحاني. الإيمان بأن ديننا هو الأفضل سيبقى مشكلة بالنسبة لنا. الأديان الأخرى هي أيضاً تزعم لنفسها الأفضلية، ولكن ربما بأدوات مختلفة. لكن مشكلة التبشير غالباً ما تتم بدعم مالي. فإذا ما كانت الحكومة السعودية كفت عن دعم العمل الخيري التبشيري، إلا أن بعض العائلات الغنية والجمعيات والمؤسسات الدينية مازالت تعمل بشكل نشط في مجال الدعوة.

لا نريد منهم أن يخربوا حياتنا هناك. نحن لا نبحث عن صدام. الحوار هو الأساس بين الشعوب والحضارات. وكل موقف وسلوك يصدر، يجري توظيفه هناك من قبل القوى اليمينية المتطرفة، واستغلاله في رسم صورة سلبية للمسلمين باعتبارهم جماعات متخلفة.

القوة اليمينية في الغرب وكذا في العالم العربي والإسلامي ليس من مصلحتها وجود حوار بين الشعوب والثقافات، ومسؤوليتنا أن نعي لمثل هذا ونتصدى له.

نحن اليوم في لحظة حرجة توجب على كل منا اتخاذ موقف واضح. ليس بمقدورك أن تبقى محايداً، ولا ينبغي عليك أن تكون كذلك. إنها لحظة حرجة، وبخاصة بالنسبة لتاريخنا نحن كمجتمعات عربية، ليس هناك عالمان، بل نحن جميعاً في عالم واحد.

● "النداء"، العدد ٧٩، الأربعاء ١٥ نوفمبر ٢٠٠٦



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

امرأة ذابابة!

إلهام مانع

الأسود، لون الحياة. لون امرأة بلا حياة. لون مفروض.
مفروض عليها، كالأجل.
دعوني أقص عليكم حكاية، حكاية جرت وقائعها في
اليمن قبل نحو شهر ونصف. أقصها عليكم لدالتها.
علنا نشعر. علنا نتحرك.

حدث ذلك في مساء رمضاني. عدت إلى صنعاء
من زيارة بحثية إلى عدن. كنت وحدي، واختصاراً
للوقت استقلت طائرة، وبعد الوصول بحثت
في المطار عمداً عن تاكسي "راحة". خدمته
راحة فعلية، بخاصة إذا كنت امرأة تحتاج
إلى التنقل والعمل في أمان ودون إزعاج.
وجدت سيارة تابعة للشركة، فأعطيت
السائق العنوان. شاب لا يزيد عمره عن ١٩
عاماً. شاب يماني اضطر إلى ترك مسقط رأسه، السعودية،

لأنه لم يتحمل إهانة رجل شرطة له، رد عليه، وحمل رده على ظهره
مع قرار ترحيله. أوصلني إلى باب بيت أبي. وهناك سألته أن يقدم لي إيصالاً
بالمبلغ الذي دفعته. كان هذا ضرورياً بالنسبة لي. ربما لأننا تحدثنا طوال الطريق، ربما لأنه
شعر أنني أفهم أحاسيس غربته، بعيداً عن وطن أحبه، وغريباً في وطن يحبه. أو ربما لأنه



إلهام مانع

من أجل هوية الأسبوع

ببساطة إنسان مخلص في عمله، وجدته يفتح باب السيارة وهو يقول: لا يوجد لدي إيصال هنا، لكن انتظريني سأجلب لك إيصالاً من سيارة أخرى. وقفز من السيارة، ترك الباب مفتوحاً، والسيارة بمفاتيحها، وجرى إلى الشارع الرئيسي، شارع الزبيري.

شارعنا مسدود بحجرين إسمنتيين ضخمين، وأهل حارتنا طيبون، لذا لم يكن هناك داع للقلق، لكنني لم أرغب في ترك سيارته مفتوحة هكذا والدخول إلى بيتنا. كان خيراً، والخيرون يضربون بالصُرم هذه الأيام. قررت لذلك أن أفعل شيئاً غريباً على عاداتنا اليمنية، وأظنها أيضاً عادات شبه الجزيرة العربية. قررت أن أقف أمام الباب. أقف أمامه أنتظر. وقفت أمام الباب.

وقفت كما أنا. شعري ملفوف إلى الخلف، قميصي طويل الأكمام، وجولتي طويلة. لكن وجهي سافر، وشعري حاسر. وقميصي أزرق سماوي فاتح، مبتهج كالسما.

وقفت أنتظر، غير خجلة. لا أوارى جسدي، لا أداري وجهي. أقف وأنا واثقة من نفسي. هذه أنا. أنتظر شاباً يريد أن يسدي لي معروفاً. ثم اصطدمت عيناى فجأة بشيخ، ليس شيخاً جليلاً، تنحني له ولعمره تقديرًا واحترامًا. بل شيخ عابس. عابس. يحرق في وهو غاضب. شيخ عابس، ينظر إليّ وهو غاضب، ومعه امرأتان مشرشفتان، ترتديان الأسود من أعلى رأسيهما إلى أخمص قدميهما، لا يتبدى منهما سوى العينين. تلحقان به وهما تهرولان. يمشي أمامهما وهما تسابقان الأسود وراءه. وسمعته يغمغم بالفاظ لا أفقهها، لكنني عرفت معناها. كان يرفع يديه مشيراً إليّ، وحروف تتساقط على الأرض من شفثيه، لتجتمع في كلمات متقطعة "هذه المرة (المرأة)... وقحة.. شوفين (انظرن) كيف تقف...". يقول ذلك وهو يزمجر وينهر المرأتين، يهشهما كما يهش المرء الذباب، ثم يشير لهما بيده بقوة أن امشيا بسرعة، يقول ذلك وهو يحرق فيهما، عيناها تنفثان ناراً، كأنهما تسببتا في وقوفي أمام الباب، كأنهما نزعتا عن شعري الحجاب، وأزاحتا عن صفحة وجهي النقاب، وزرعتا في نفسي الثقة، ألا أوارى جسدي، ولا أداري وجهي، وأقف كما أنا واثقة من نفسي. ملعونتان لأنهما تنتميان إلى الصنف النسوي، مثلي، امرأة. لكنني امرأة لا تخجل من جسدها. هل كان أباهما؟ جدهما؟ أم زوج إحداهما؟ فالقانون في اليمن يتيح لابن الستين الزواج ببنت التاسعة، هل تعرفون هذا المصائب؟ لكن هذه قصة سأعود إليها بالتفصيل لاحقاً في المقال القادم. كما أن القانون يتيح لهذا الرجل أن يهش ابنته أو زوجته كما يهش المرء الذباب. امرأة ذبابة! بلا إرادة! يقول لها:

امشي، فتمشي. يقول لها تحركي، فتتحرك. ثم يقول لها قفي، فتقف. هو لسانها، هو عقلها، هو إرادتها. شاعت أم أبت. امرأة ذبابة! متشحة بالسواد. يهشها رجلها كما تهش الدابة الذباب. يهشها رجلها هكذا أمام الملاء، بلا احترام، بلا تقدير، ذبابة، بالنسبة له، هي ذبابة، لا قيمة لها، وهي تسمع وتطيع، تصغي وتطأطي، تجري وتلهث، فهل لها من مغيث؟ لم أعبأ له. تجاهلته، فقد اعتدت على العداوة من غيره، فما الجديد معه إذن؟ لكنني حدثت فيهما، في المرأتين. بحثت عن عينيتهما. إحدهما نفرت مني. أما الأخرى فلا. فوجئت بها تنظر إليّ هي الأخرى. تركتها تتفحصني. تحديق في كياني الواقف أمامها. ونظرت إليها بعينين مبتسمتين، ثم سمعت نفسي وهي تمر وصاحبته معها بجانبني، سمعت نفسي أحييهما بتحية اليمين "السلام عليكم". خرجت الكلمتان من فمي. هكذا. دون أن أدري. والغريب أنني قلت العبارة وأنا متوجلة.. خائفة. أدركت وأنا أوطن نفسي على تقبل تجاهلها للتحية، أنها إن فعلت ستؤلمني.. كثيراً. أن يلعنني هو، فهذا مفهوم، أما هي فلا. أشحت بوجهي، وأنا أقول لنفسي "لا عليك". لولا أنها ردت. ردت. سمعتها ترد علي، هامسة، مستحبة، كأنها متوجسة، وهي تقول "وعليك السلام". أدت وجهي إليها، نظرت إليها، ووجدت عينيها مبتسمتين. واتسعت ابتسامتي وأنا أتابع شبحها وهو يختفي وراء شيخها العابس الغاضب.. الدابة.

كانت سرنا. تحية سلام، تواطأنا بها على السلام، بيننا. تمتعت وأنا أنتبه لسائق السيارة المخلص يعود جارياً وفي يده الإيصال "وعليك يا أخت السلام، أفضل السلام". كانت امرأة. متشحة بالسواد. لكنها ليست ذبابة.

● "النداء"، العدد ٨٢، الأربعاء ٦ ديسمبر ٢٠٠٦

مصيرها بيده!

إلهام مانع



فاطمة ولياء!*

فتاتان يمينتان.

التقيتهما في رحلة بحث ميدانية.

لكل منهما قصة،

لكل منهما حكاية ومصير.

ومعهما تتبدى ملامح قصة المرأة اليمنية،

ونظيرتها في شبه الجزيرة العربية، والمرأة

العربية بصفة عامة!

فاطمة فتاة ترعرعت في منطقة ريفية

في المناطق الوسطى من اليمن، من أسرة

فقيرة. والداها لم يتحصل على أي قدر من

تعليم، ووالدتها توفيت وهي في التاسعة من

عمرها.

ولياء ابنة المدينة، أسرتها ميسورة الحال، والداها من عدن،

مثقفان حاصلان على شهادات عليا من جامعات أوروبية عريقة، وانتقلا للعيش

في صنعاء بعد الوحدة اليمنية.



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

فاطمة أجبرها والدها على الزواج وهي في التاسعة من عمرها.
في التاسعة من عمرها. أراد والدها أن يتزوج بعد وفاة أمها، فقدم فاطمة هدية لعائلة زوجته الجديدة،

هي ومهرها الذي ابتلعه بطنه.

وفاطمة لم تكن ترغب في الزواج.

فاطمة الطفلة أرادت أن تلعب.

فاطمة الطفلة أحبت أن تتعلم.

فاطمة الطفلة لم تفهم معنى الزواج.

فاطمة الطفلة لم تعرف معنى الجنس بين الرجل والمرأة.

أرادت أن تلعب، أحبت أن تتعلم، أرادت أن تحيا، فرفضت الزواج.

ضربها أبوها،

ضربها،

ضربها،

حتى صمتت.

فتروجت،

وهي في التاسعة،

واغتصبها زوجها، ابن الثلاثين، ليلة نحرها.

ولأنها كرهته بدأ يضربها هو الآخر.

كانت تلجأ لأبيها فيضربها ويعيدها من جديد إلى زوجها ذاك الذي يضربها.

فطفح بها الكيل يوماً، وهربت

هربت إلى عدن.

وقبضوا عليها وهي في العاشرة من عمرها... بتهمة الدعارة!

في العاشرة من عمرها!

حكم على فاطمة بالإيداع في إصلاحية لمدة ستة أشهر، لكن عدن أيامها لم تتوفر فيها

إلهام مانع

من أجل هوية السابح

إصلاحية للأحداث، فأودعوها السجن!

طفلة في العاشرة أودعوها السجن!

ثم زادوا وحكموا عليها بالسجن ثلاث سنوات أخرى حمايةً لها! حماية لها من أبيها الذي رفض استلامها بعد انتهاء مدة الحكم الأولى.

التقيت فاطمة في دار الإغاثة الاجتماعية في محافظة عدن، وهو مركز الإغاثة الوحيد في شبه الجزيرة العربية لرعاية النساء -أو بالأحرى الطفلات- السجينات المفرج عنهن وضحايا العنف العائلي.

التقيتها وهي تتهيا للبدء في دراستها الثانوية.

هذا عن فاطمة.

لمياء قصتها قصة أخرى.

لمياء قصتها قصة فتاة تُشرع أمامها الأبواب دون قيود.

طفلة يحبها أبواها.

لم تُبتَل بالفقر، لم تُبتَل بموت الأم، لم تُبتَل بجهل وجشع وأنانية الأب.

ابنة، يؤمن والداها بحقها في العلم، في الحياة، حقها في أن تكون! أن تكون كما تشاء يوماً ما.

تدرس في مدرسة خاصة تهيئها لعلوم المستقبل، وللحديث بأكثر من لغة، عربية وأجنبية.

فالمدارس العامة في اليمن لا تُخرج سوى أنصاف متعلمين... يا للأسى.

تتلقى دروساً في الموسيقى،

وتستمع إلى أمها كل ليلة وهي تقص عليها حكاية جديدة.

وتدري أنها يوماً ما ستدرس في جامعات أوروبية، كي تكون مؤهلة للعمل في أي بقعة من العالم.

وتدري أنها يوماً ما ستختار شريك حياتها بإرادتها الحرة.

دون إكراه، دون فرض، ودون ضرب.

التقيت لمياء في بيت والديها في صنعاء، بيت أسرة تحب ابنتها.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

لمياء قصتها قصة ما كان ممكناً لفاطمة، لكنه لم يكن أبداً متاحاً لها.

والتنافر الحاد بين مصيريهما يحدد لنا ملامح قضية المرأة اليمنية خاصة، والعربية بصفة عامة.

مصير المرأة أسيرٌ لنوعية الأسرة التي تنتمي إليها، ومستواها التعليمي والاقتصادي. هكذا ببساطة.

ومصير المرأة وهي طفلة يرتبط جوهرياً بموقف الأب، أو الأخوة والأعمام في حال موته، منها.

هذا هو المحك.

فالفقر لا يعني الحكم على المرأة بالدفن حية.

يكفي أن يحب الأهل ابنتهم ويؤمنوا بها،

كي تنجح إذا كانت مؤهلة لذلك.

لا، المحك هو موقف الأب.

هل يحبك أبوك، أم يراك مصيبة ستجلب على رأسه العار؟

هل يعتبرك كياناً كاملاً يجب احترامه، أم لا يرى فيك سوى بقرة يعلفها إلى أن يفتح الله

عليه بشارٍ يقدم له السعر المناسب؟

أي نوع من الآباء أبوك؟

هذا هو السؤال، لأنه السؤال الذي سيحدد مصيرك.

فمصيرك في النهاية بيده.

والمأساة في هذا السؤال أنه إذا كنتِ مختلفة، إذا كنتِ مستقلة، إذا كان عقلك يتفجر حيوية

وإرادة، إذا أردت أن تحيي، أن تكوني أنتِ، أنتِ لا إمعة، وكان أبوك من النوع الثاني، فإنك لا

محالة ستعانين.

ستواجهين الهول كي تكوني.

وغيركِ دُفنت وهي حية.

وغيركِ ضُربت حتى صمتت.

وغيرك اغتصبت ليلة نحرها.

والمأساة الأكبر في هذا السؤال: أن الدولة تبدو كما لو كانت غائبة. رفعت يدها، وهي، كما الأب، جزءاً من المشكلة.

عندما يتعلق الأمر بقصة فاطمة فإن الدولة في اليمن تتحمل مسؤولية زواجها في سن الطفولة، الدولة هي المسؤولة هنا.

الدولة هي التي عدلت قانون الأحوال الشخصية الذي أصدرته دولة الوحدة عام ١٩٩٢، والذي حدد السن الأدنى لزواج الفتاة بخمسة عشر عاماً في نص واضح: "لا يصح تزويج الصغير ذكراً أو أنثى دون بلوغه خمس عشرة سنة".

عدلته عام ١٩٩٩ بناءً على إصرار من القوى الإسلامية والمحافظة، وبصمت ولامبالاة من الحزب الحاكم، لتتحول المادة إلى: "عقد ولي الصغيرة بها صحيح، ولا يمكن المعقود له من الدخول بها ولا تزف إليه إلا بعد أن تكون صالحة للوطء ولو تجاوز عمرها خمس عشرة سنة".

والد فاطمة اعتبر أن التاسعة سن صالحة للوطء.

وغيره سيعتبر السابعة سنًا صالحة للوطء.

وسواء كانت سن الوطء التاسعة أو السابعة أو العاشرة، فإنها، وفقاً للمعايير الدولية، يتم تصنيفها ببساطة على أنه "اغتناب لطفلة"، لا يوجد تسمية أخرى لها.

ولأن المسألة تتعلق بعملية اغتناب للطفولة يحق لنا أن نتساءل عن سبب إصرار القوى الإسلامية والمحافظة على تشريع هذا الانتهاك؟

هنا يتبدى لنا الطابع السياسي لقضية المرأة. لكن هذا موضوع المقال القادم.

* الأسماء مستعارة

● "النداء"، العدد ٨٤، الأربعاء ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلاميات

صور الرئيس

إلهام مانع

تقول الحكاية إنه إثر سقوط نظام الرئيس صدام حسين وتكالب بعض المواطنين العراقيين على نزع صورهِ والدوس عليها وعلى تماثيله بأرجلهم، أصدر الرئيس اليمني علي عبدالله صالح أمراً. ونفذ أمره على الفور.

أمر الرئيس اليمني علي عبدالله صالح بنزع صورهِ هو من الشوارع.

صورهِ التي تناثرت هي الأخرى في كل زاوية من زوايا اليمن.

أزعجته صور المواطنين وهم يهللون ابتهاجاً.

أزعجته صور المواطنين وهم يشفون غلهم بالدوس على صور الرئيس بأحذيتهم.

أزعجته صور الفرح بزوال الرئيس. أزعجته.

فأمر بنزع الصور.

قلبي رجاله الأمر.





كان ذلك في عام ٢٠٠٣.

بعد ثالث انتخابات برلمانية من عمر الوحدة اليمنية.

ويقول البعض إن تلك الحكاية شائعة.

شائعة، تناقلها الناس في اليمن.

فقد انتهبوا فجأة إلى اختفاء صور الرئيس،

واستغربوا لاختفائها بين ليلة وضحاها.

استغربوا الأمر.

ثم تذكروا أن قبل الليلة، وقبل ضحاها، شاهدوا على شاشات التلفزيون صور بعض

العراقيين وهم يُسقطون تمثال من كتف على أنفاسهم لعقود طوال.

ربطوا بين الأمرين.

فقرر البعض إنها شائعة.



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

لكن من حكاها لي لا يقص الشائعات.

سمعتها منه وأنا في اليمن، بصفتي صحافية آنذاك تنقل وقائع تلك الانتخابات كمندوبة عن موقع سويس إنفو العربي التابع لهيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية.

كان ذلك في عام ٢٠٠٣.

والإنسان بطبعه يهفو إلى النسيان.

خصلة جُبل عليها الإنسان:

أن ينسى أن كل شيء إلى زوال،

ينسى أن كل إنسان، كان ما كان، سيذوق الموت،

يلاقيه،

ثم يندثر في أروقة النسيان.

ذلك طبع فُطرت عليه النفوس،

ضرورة تمكننا من البقاء،

كي نتمكن من الحياة.

لكن تلك الفطرة تتحول إلى لعنة، عندما تتمكن من نفس الحاكم.

تلك الفطرة تتحول إلى كابوس، عندما تكون سلطة الحاكم مطلقة،

لا يقيدوها دستور،

لا تقيدوها سلطة تشريعية أو قضائية،

في الواقع لا يقيدوها سوى الموت.

وفي حالة حكامنا العرب، تلك خصلة تأصلت في نفوسهم،

رضعوا من حليبها،

وفُطموا عليها،

ثم دأبوا على الاستنشاق من هوائها.

كلهم بلا استثناء،

يظنون أنهم باقون إلى الأبد في سدة الحكم.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

كلهم بلا استثناء،
يظنون أنهم الرب،
في بلدان لا رجال ولا نساء فيها.
كلهم بلا استثناء،
يظنون أن كلمتهم حق،
رأيهم الصواب،
نزواتهم القانون،
وأن الله سبحانه،
ربي وربكم،
وربهم،
اختارهم هم تحديداً،
هم لا غيرهم،
كي يحكموا،
كي يتجبروا،
كي يغلوا،
هم لا غير.
كلهم بلا استثناء.
ولأن الأمر كذلك،
مرت الأعوام،
ثلاثة تحديداً.
ثلاثة أعوام كانت كافية كي يزول الأثر.
أثر صور المواطنين وهم يدوسون على وجه الرئيس المخلوع.
تماهت معالم الصور،

ثم تداخلت،

ثم تلاشت مع الوقت،

فلم يبق منها من أثر سوى صور العنف القائم في العراق،

فنسي الدرس.

وكرت السبحة.

انتخابات جديدة في اليمن،

انتخابات هامة،

انتخابات رئاسية وقف فيها الرئيس مع منافس له،

منافس اختارته معارضة بدأت تلتقط أنفاسها وتحدد موقعاً لها في الخارطة السياسية،

منافس جدّي هذه المرة،

ليس إمعة.

منافس خشيت منه حاشية الرئيس إلى المدى الذي دفعها إلى دفع المليارات من الريالات

ثمناً لصور الرئيس.

صور الرئيس،

نفس الرئيس،

ترتفع في الزوايا والأروقة،

صوره وهو يبتسم،

صوره وهو يكشر،

يضحك،

أو يصغي جاداً،

يرفع يده محيياً جمهوراً لا نراه،

ينحني على طفل أو طفلة يقبلها،

يتحدث برفق مع مسكين عجوز.

صور الحاكم،

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

كل صورة يرتدي فيها زيًا،
زي برسالة،
زي عسكري يمثل خلفيته،
زي يماني يمثل أصالته،
وزي أوروبي: بدلة تعكس قدرته على الحوار مع العالم.
صور الرئيس،
ملونة،
زاهية.
دفعت الدولة ثمنها،
ثم دفعت النخبة، سياسية أو قبلية أو اقتصادية،
ثمن اللوحات التي ارتفعت بعد انتخابه.
انتشرت من جديد،
توالدت من جديد،
وارتفعت من جديد،
تعلن مولد عهد قديم،
تخرج لسانها
لنا،
متحدية،
وتقول: إن الإنسان بطبعه،
يحب النسيان.

● "النداء"، العدد ٨٦، الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠٧



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

"لا تنسينا!.."

إلهام مانع

"لا تنسينا!.."

كم مرة قلت لي هذه الجملة؟
ثلاث مرات.

قالها لي عراقيون وعراقيات التقيتهم صدفة خلال
زيارتي الأخيرة إلى اليمن.

قالها لي من حدثني في مكتبة دار القلم، أو
من استوقفني أمام بلدية صنعاء، أو من زارني
مرحبة بقدومي وفي يدها حلوى عراقية.

عراقيون وعراقيات، من خيرة العقول،
دفعتهم الحرب دفعا إلى مغادرة بلادهم.
شردتهم.

"لا تنسينا!.."

ذكرتني الجملة بعبارة أخرى قلت للصحافي السويسري كريستوف بلات، الذي زار العراق



إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان



قبل الغزو الأمريكي لها، واتخذها عنواناً لمقالة له نشرتها صحيفة am Sonntag NZZ الأسبوعية الناطقة باللغة الألمانية، في فبراير ٢٠٠٣. "اذكروا العراقيين بالخير!". تلك كانت العبارة التي احتفظ بها من زيارته، وعبر عنها بصدق في مقاله.

هل نذكرهم بالخير اليوم؟ أم نسيناهم؟

دعوني أصغ السؤال بطريقة أخرى: هل لاحظتم ما يجري حولنا في العالم العربي اليوم؟ إذا لم تلاحظوا أنصحكم بالانتباه:

من قبل قليل لنا إننا مسلمون، أو بالأحرى أن ديانتنا الإسلام (لن أدخل الآن في نقاش حول مفهوم الهوية، فأنتم تعرفون أن الهوية لدي هي الإنسان، لكن هذا موضوع آخر). وعندما قيل لنا ذلك، لم ننتبه كثيراً إلى التفاصيل.

ديانتنا هي الإسلام، وأركانها خمسة، أليس كذلك؟

ليس فعلاً. فالسؤال الذي نطرحه اليوم بلا مواربة: إلى أي مذهب تنتمي؟

هل أنت سني أم شيعي؟ إلى أية طائفة تنتمي؟

أصبح هذا هو السؤال!

هل لاحظتم ذلك؟ هل لاحظتم كيف تحولت الصحف الرسمية السعودية والمصرية إلى منابر للدفاع عن المذهب السني؟ أو كيف أصبح الشيخ يوسف القرضاوي يخصص خطب الجمعة التي يلقيها من قطر لتمجيد صحابة الرسول، ثم يغمز بمن "يشتموه"؟ هل لاحظتم كيف أصبح الحديث اليوم عن الخوف من "التشيع" في البلدان "السنية"؟

أخشى أيها الأعزاء إننا تحولنا من جديد إلى مخالب في معركة ليست معركتنا.

خلال الحرب الباردة جذدت المملكة السعودية مقدراتها الوهابية لمواجهة المد الشيوعي. وكانت الحصيلة: الأفغان العرب، ومد الإسلام السياسي الذي نعائش واقعه مرّاً اليوم.

حدث ذلك بالتعاون مع الولايات المتحدة.

اليوم تقف الولايات المتحدة في مواجهة مع إيران الشيعية.

مواجهة سياسية.

لا أزعم أنني أؤيد إيران فيها.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

على العكس من ذلك.

فموقفي مبدئي حاسم ضد مفهوم الدولة الدينية، إيرانية كانت أم سعودية.

لكن المشكلة أن الولايات المتحدة في مواجهتها مع إيران، وبسبب الكارثة التي تسببت فيها سياستها غير المدروسة في العراق، وجدت نفسها تضطر إلى اللجوء إلى حليفها "القديمة"، السعودية، ومعها "الدول الصديقة" في المنطقة، ولتذهب الديمقراطية ومن يدعو إليها في البلدان العربية إلى الجحيم.

الحليفة "القديمة" ومعها الدول "الصديقة" لهم أيضاً مصلحة في مواجهة المد الإيراني في المنطقة، خاصة وأن الأخيرة لا تخفي رغبتها في "تزعم" العالم الإسلامي، كما أنها تشد بخيوطها كثيراً من القوى السياسية العربية، ولتثير من جديد مخاوف "العرب" من المد "الفارسي".

هي قصة صراع قديم، تمتد جذوره في ماضٍ لا نعيه اليوم، لكننا نستشعر توابعه رغم ذلك.

لذا لم يكن غريباً أن تهب الحليفة القديمة بحماس للعب الدور نفسه، نفس الدور الذي قامت به قبل ثلاثة عقود.

دور المصدر لأيديولوجية مناهضة لجبهة "الشر" الجديدة.

من قبل كان "الإسلام السياسي" هو الأيديولوجية المستخدمة لمواجهة الفكر الشيوعي "الملحد".

اليوم أصبح "المذهب السني" هو الأيديولوجية المستخدمة لمواجهة "الفكر الشيعي" المتطرف.

وكلاهما في صورته السعودية أو الإيرانية متطرف.

ونحن، أيها السادة، نحن من يسقط في شبكة العنكبوت هذه، غير مدركين.

لعبتهم السياسية ليست دينية.

هدفها القوة والمصلحة.

لا دخل لله فيها.

هم يحددون أهدافها، وهم يضعون استراتيجيتها.



لا دخل للإيمان فيها.

ورغم ذلك نجد أنفسنا اليوم نسأل: "هذا شيوعي؟ بل هذا سني؟ إلى أية طائفة تنتمي؟ وفي أي مسجد تصلي؟ إياك والصلاة في مسجد للشيعة؟ ابتعد عن مسجد السنة؟". نحن من يقول ذلك.

كنا نقول ذلك في الماضي همساً.

اليوم نقولها جهاراً، بلا حياء، بلا خجل.

لسنا مسلمين إذن!

بل شيعة، بل سنة،...

ولأننا نفعل ذلك نسيناهم.

نسيناهم!

نسينا العراقيين، ونسينا العراق.

لم نأبه لدمائهم وهي تسيل.

لم نعبأ بأطفالهم وهم يقتلون.

ولم نهتم بوطنهم وهو يتمزق.

كانهم ليسوا منا.

أتعرفون لماذا؟

لأن أكثر من سبعين في المائة من العراقيين شيعة!

هذا هو السبب ببساطة.

ألا نخجل؟

لو كانت الأغلبية سنية، وحدث لها ما يحدث للعراقيين اليوم، لقامت القيامة ولم تقعد..

لكنها ليست كذلك.

ولذلك نصمت، نصفر، أو نشخر، أو نبصق، لا يهم؛ هم ليسوا منا.

إلهام مانع
من أجل هوية المسلمين

ولذا، يا للخزي! لم نعبأ كثيراً بما فعله صدام بهم.
ولذا، يا للعار! لا نعبأ كثيراً بمصيرهم بعد صدام اليوم.

"لا تنسينا!.."

أنا لم أنس.
لم أنس أنهم عراقيون،
ليسوا سنة، ليسوا شيعة، ليسوا أكراداً..
بل عراقيون.
وعراقيون سيقون.
ليتهم هم لا ينسون!

كما لم أنس أن ديانتنا هي "الإسلام"، ليست شيعة، ليست سنية.
وحبذا لو أعدنا هذه الديانة إلى موقعها الطبيعي، إلى الحيز الروحاني لا غير.
حبذا لو أبعدناها عن السياسة، حتى لا تصبح إمعة لأولي الأمر.
ثم أخرجناها من واقعنا اليومي، حتى لا تصبح قيئاً مضمناً.
ثم ألغيناها من لغتنا الخطابية، حتى لا تتحول إلى مضغة تلوكها الألسن.
حبذا لو نظرنا إلى بعضنا البعض،
ونقول: هذا إنسان وذاك إنسان،
وليؤمن هذا أو ذاك بما يشاء.

● "النداء"، العدد ٩٠، الأربعاء ١٤ فبراير ٢٠٠٧

هكذا تحدث!

إلهام مانع

هكذا تحدث شيخنا الجليل.

وليته ما فتح فمه.

ليته أغلقه، وسكه بالضبة والمفتاح.

لكن ما لم يقله كان أكثر إفصاحاً.

الشيخ الذي أعنيه هو الشيخ عبدالمجيد الزداني، رئيس مجلس شورى حزب التجمع اليمني للإصلاح.

وحديثه أدلى به إلى الصحفي سامي كليب في برنامج "زيارة خاصة" الذي بثته قناة الجزيرة الفضائية يوم الجمعة الموافق ٢٣ فبراير ٢٠٠٧.

تحدث الشيخ عن أمور كثيرة، وصمت عن أمور أخرى. وعندما صمت كان صمته كلاماً!

إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

رفض على سبيل المثال أن يدلي برأيه عن أسامة بن لادن.

قرر ألا يتحدث عنه، لا بالخير، ولا بالشر.

وإن كان يميل إلى الحديث عنه بالخير.

يميل كثيراً..

أعمى من لم يرَ الحرج الذي أصابه.

ويقول: "ليذهب إليه من يريد أن يعرف أسبابه ويسأله".

ألا يستحي شيخنا؟

كل هذا الدمار، هذه الدماء، ولا ينتقد؟

كأن بن لادن لم يتسبب بالمصائب لمنطقتنا؟

هل نسيتم السبب؟

هل نسيتم البداية؟

هل كانت الولايات المتحدة ستهاجم أفغانستان، ثم تجد العذر لغزو العراق لولا تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية؟

وهي إرهابية إخوتي.

لا صفة لها غير ذلك.

ثلاثة آلاف مدني، بين طفل وامرأة ورجل، قُتلوا بلا ذنب. قُتلوا وهم آمنون.

فهل نسمي ما حدث عملاً إنسانياً؟

لم تكن هناك حرب أفغانستان حتى نغضب منها.

لم تكن هناك حرب العراق حتى نحقد على من سيرها.

ولم تكن قضية فلسطين الهدف من تحرك بن لادن، بل ببساطة: إخراج "القوى الصليبية والصهيونية من أرض شبه الجزيرة"، يعني: إزالة القواعد العسكرية والقوات الأمريكية من السعودية. كان هذا حديثه آنذاك.

هل نسيتم هذا؟

لا تنسوا الأسباب.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

لا تنسوها.
فمقدرتنا على فعل ذلك عجيبة.
كما لا تنسوا البدايات.
لأننا إن فعلنا تهنا.
البداية كانت مع ذلك العمل الإجرامي.
وشيخنا صامت.
شيخنا محرج.
شيخنا لا يريد أن يرفع صوته ناقدًا.
ألا يستحي؟

شيخنا الجليل تحدث أيضًا عن المرأة، وعندما فعل تمنيت لو أنه صمت، لكني مع ذلك كدت
أبتسم.
كدت.

لنستمع إليه وهو يرد على سؤال الصحافي القدير: "هل حضرتك مع أن تصبح المرأة وزيرة
أو سفيرة؟".

الشيخ: "أسألك سؤالًا، لماذا لم تنتخب امرأة رئيسة للجمهورية في الولايات المتحدة منذ
٣٠٠ عام؟".

يقاطعه سامي كليب قائلاً: "يبدو أنها ستنتخب" (يقصد ترشح هيلاري كلينتون للرئاسة).
لكن الشيخ يصمم: "لا، لا، أسألك عن ٣٠٠ عام. المرأة يفترض أن تتزوج أو يحكم عليها
بالتبتل؟ ما رأيك في هذا؟".

رد عليه الصحافي القدير بالقول: "تتزوج إذا شئت".

شيخنا الجليل لا فض فوه، رد قائلاً: "لا، لا بد أن تتزوج، مش إذا شئت. لا بد أن تتزوج
المرأة لأن الله خلقها لذلك. إذا حملت المرأة وإذا ولدت وإذا أرضعت، اليوم في بريطانيا يعطون

المرأة سنة للإرضاع، لما لا يعطونها للرجل؟".

حسنًا.

كما قلت لكم، كدت أبتسم.

أبتسم لأن الإناء ينضح بما فيه. وعقلية الشيخ الجليل تظهر ببساطة أنه لا يعرف من العالم الكثير.

وهو أمر مفهوم من شخصية صقلتها بشكل رئيس تجارب (تكفيرية) عايشها في السعودية (الحركة الوهابية) وأفغانستان (الأفغان العرب) ثم اليمن (الأفغان اليمينيين).

هو لم يعرف من العالم غير ذلك. كما لم يعايش من الفكر إلا فكرًا جهاديًا عنيفًا يقسم العالم إلى معسكرين: واحد للمؤمنين وآخر للكافرين. وداخل المعسكر الأول تقف المرأة دائمًا في الخلف، تسمع وتطيع وتنجب.

هل نلومه إذا كان يرى العالم من خرم إبرة؟

زد على ذلك أن الغرب لديه نموذجان: الولايات المتحدة، وبريطانيا.

هو لا يعرفهما أيضًا في الواقع. كل ما يعرفه هو ما قرأه عنهما. وما قرأه لا يكفي.

ولو قرأ أكثر، لو سافر أكثر، لو اختلط بالبشر أكثر، بتنوعهم وثرائهم الفكري؛ سيرى أن النموذج في مشاركة المرأة السياسية ليس الولايات المتحدة (أليس من الغريب أن يعتبرها الشيخ النموذج وهو الداعي إلى دمارها؟!)، ولا بريطانيا. بل الدول الإسكندنافية.

هناك يتقاسم الرجل والمرأة السلطة بالمساواة. والسلطة هنا تعني: التشريعية والتنفيذية والقضائية.

هناك لا يهم إذا كان الحاكم رجلًا أو امرأة.

كلاهما إنسان.

وكل منهما يعمل كخادم لشعبه عندما يصل إلى السلطة.

وكل منهما قادر على أن يبدع وينتج.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

ليساً عدوين لبعضهما.

ليساً في حالة تنافس.

ليساً في معركة على أحدهما أن ينتصر فيها ويقود الثاني.

بل شريكان.

رجل وامرأة.

إنسان وإنسان.

وهناك يحصل الرجل كما المرأة على إجازة أبوة، سنة كاملة أو أكثر لو أراد.

معلومة جديدة يا شيخنا الجليل؟

والرجال يأخذون تلك الإجازة مبتهجين.

هل اندهشت أيها الجليل؟

فالطفل هناك شأن يتعلق بالأسرة، بالأم كما الأب.

لأن الأسرة هناك كما الزواج مسألة شراكة.

يتعاون فيها الرجل والمرأة، فردان عاقلان بالغان راشدان، على الحياة في درب مشترك،

باختيارهما!

بإرادتهما الحرة.

فليس بالقهر تتزوج النساء يا شيخنا العزيز.

لا هنا، ولا هناك.

لكن شيخنا لا يعرف ما المرأة.

لا يعرفها بالغة راشدة.

لا يعرف ما الجمال في قوتها.

لم يجرب مرة أن يراها كإنسان،

مثله.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

مثله؟

شيخنا لا يرى فيها سوى ما يخيفه،

ما يخشاه،

ما يهابه.

ثم لا يرى فيها سوى ما يؤكد عادات بدوية أبوية متسلطة،

وبالية (هكذا يجب وصفها إخوتي)،

لا علاقة لها بالدين ولا بتفسيره،

ربي وربكم لم يقل: "على المرأة الزواج شاعت أم رفضت"،

ربي وربكم لم يقل: "لا يجوز للمرأة أن تقود الرجال الأجانب"،

فشيوخ وعلماء أجلاء كثيرون، من السنة والشيعة، قالوا: "بل يجوز لها فعل ذلك"،

والفكر العاقل الحر يقول: "بل هي قادرة على فعل ذلك".

ألا نغني صباح مساء ببليquis ملكة سبأ؟ بأروى ملكة اليمن؟

ألا نفخر نحن اليمنيين بأمة العليم السوسوة؟

هل نسيته يا شيخنا الجليل؟

لكنك بالتأكيد لم تنس رؤوفة حسن؟

معك حق. لا داعي لفتح الملفات القديمة.

أذكرك بها لأننا نرفع رأسنا في الخارج بها أيضاً.

هل قرأت لابتسام المتوكل؟ أو لأروى عثمان؟

عليك أن تقرأ لهما.

لكني أعرف أنك لا ترى الجمال في الشعر،

كما تنفر من الكلمة عندما تخرج عن إطارك الفكري.

تلك نماذج عندما وجدت الفرصة نبغت وأبدعت.

إلهام مانع

من أجل هوية السابح

وغيرهن كثيرات.

ودورنا أن نهبي للمرأة اليمنية الفرصة كي تبذل وتتحيا.

لا أن نضع في طريقها العراقيل.

ألا يكفي الفقر والجهل حتى نزيد عليهما فكرًا باليًا؟

لكن شيخنا يقول: "هكذا يقول الله، هكذا يقول الرسول، وعليكم السمع والطاعة".

ويرفع صوته وهو يقول.

ويبهر وهو يقول.

وشيخنا هو الذي يقول.

شيخنا هو الذي يقول.

لا الله ولا رسوله.

تنزه الله تعالى عما يقول.

إذن:

هكذا تحدث شيخنا الجليل.

عندما صمت تمنيت أنه لم يصمت.

وعندما تحدث تمنيت لو أنه سكت.

وكلاهما،

حديثه وصمته،

كانا مخزيين.

● "النداء"، العدد ٩٢، الأربعاء ٢٨ فبراير ٢٠٠٧

إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

امراتنا القوية!

إلهام مانع

عيدُنا يحتفي العالم به يوماً،

ثم ينساه.

كأنه جاء كي نبكي عليه!

نتحدث كثيراً في الثامن من مارس عن أوضاع
المرأة المتدنية والتمييز ضدها.

نتحدث كثيراً.

نرفع أصابعنا، ثم أيدينا، ثم حناجرنا
وأصواتنا معها، منبهين، محذرين، قلقين.

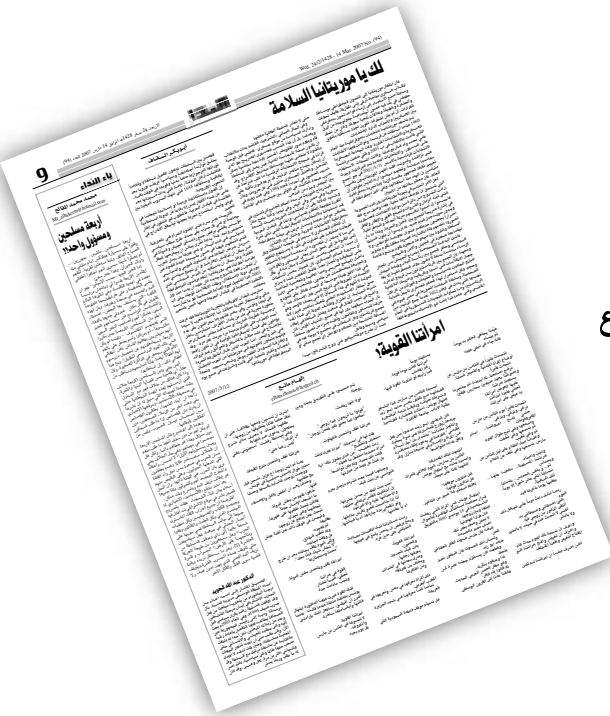
مسكينة امراتنا.

عليها العوض امراتنا.

تعاني كثيراً امراتنا.

يا عيني على امراتنا.

نتحدث كثيراً يوم الثامن من مارس.



إلهام مانع

من أجل هوية الأسبوع

نرغي، ونرغي، ونرغي.
حتى تبج أصواتنا.. أمام الميكروفونات.
ونسَمعها وهي تبج طوال اليوم،
ثم نسمعها وهي تخفت،
ثم وهي تغيب،
وعندما يحل الظلام على ليل الثامن من مارس، نسمعها وهي تكف عن الكلام.

واجبٌ وأديناه.
امراتنا المسكينة... دافعنا عنها... وبحماس.
ثم... وبنفس الحماس... ننساها.
ننساها اثني عشر شهرًا إلا يومًا.
تلك المسكينة،
يكفيها يومًا نذكرها فيه.

ربما لذلك دأبتُ دومًا على تجاهل ذلك اليوم.
أهنيءُ أصدقائي وصديقاتي به.
أُتلقى الزهور من زوجي فيه.
لكني لا أتحدث عنه في حينه، لا بالخير ولا بالشر.

وأعرف أن تسمية ذلك اليوم حدث هام.
وأعرف أن تغيير واقع امراتنا هو المفتاح لتغيير واقعنا المتخلف.

لكن أعرف أيضًا أن امراتنا لم تكن مسكينة يومًا.

امراتنا كانت دومًا قوية.

رغم المصائب.

فما رأيكم لو تذكرنا القوة فيها؟

أمسية الثامن من مارس هذا الشهر قضيتها مع المفكر، نصر حامد أبو زيد وشريكة حياته ورفيقة دربه الدكتورة ابتهاج يونس، أستاذة الحضارة الفرنسية بكلية الآداب، جامعة القاهرة.

كان الدكتور أبو زيد مدعوًا من قبل جامعة زيورخ للمشاركة في ندوة بحثية، وانتهاز منتدانا "منتدى من أجل إسلام تقدمي" الفرصة كي يدعوهُ لإلقاء محاضرة عن المرأة والإسلام في جامعة بازل. وقد وافق كدأبه متواضعًا.

انتبهت لتلك المصادفة.

الثامن من مارس، اليوم العالمي للمرأة، وأمسية عشاء مع ابتهاج يونس.

كانهما كانا على ميعاد.

هل تذكرون موقفها؟

هل تذكرون قوتها؟

لعلكم نسيتم، فلا ضير من التذكير.

ابتهاج يونس هي المرأة التي رفضت قرار محكمة استئناف القاهرة للأحوال الشخصية في ١٤ يونيو ١٩٩٥ بالتفريق بينها وبين زوجها.

كان قرارًا كهنوتيًا.

لا يمكن وصفه بغير ذلك.

أصاب مصر بالصدمة.

هدفه كان خرس صوت الفكر العقلاني الحر.

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

ولسان ذلك الصوت كان الدكتور نصر حامد أبو زيد.

وقطعه كان يستلزم جعله عبرة لمن يتعظ.

لذا وصفوه بالمرتد،

وهو مفكر العصر العربي الحديث.

ثم قالوا إنه كافر،

فكأننا عدنا إلى القرون الوسطى.

ثم صمموا على التفريق بينه وبين زوجته.

لولا أنها رفضت!

"قولوا ما تريدون. هذا زوجي".

"احكموا كما يحلو لكم. فنحن زوجان".

امراتنا تقف وتتحدى الكهنوت.

قلت لها في أمسينا: "امرأة غيرك كانت ستخاف وتخضع".

ردت بغضب: "من الذي يقول ذلك؟ أية امرأة مصرية ستفعل ما فعلته".

قالت ذلك بحدة. ولم يكن تواضعاً.

بل عنت كل كلمة من عبارتها.

وجدتها فيما بعد تترنم بزجل بيرم التونسي عن بنت البلد:

"أحب بنت البلد من حسن عشرتها،

إن اشتكيت الفَلس ترهن لي حلتها،
والا حنانها عليه والا غيرتها،
أنا إذا خاصمت العدو تفرش ملايتها،
ولو تكلمني مرة جارتها، أه يا هبشتها، أه يا عضتها.."

رَدَدَتْ أستاذتنا تلك الكلمات بصلاية، ودمعُ يرفض أن ينحدر يلمعُ في عينيها.
فأخذتني على حين غرة.
امراتنا القوية،
والحنون،
بنت البلد الجدعة،
يعرفها رجلها،
ويدرك معدنها في الشدائد،
ويخاف من غيرتها،
ومن أظافرها.

تلك المرأة نعرفها في مصر، ونعرفها في المغرب العربي،
تماماً كما نعرفها في شبه الجزيرة العربية.

هل نسيتم موقف فاطمة السعودية التي أثرت أن تسجن، ومعها طفلها، على أن تنفذ حكماً
ظالماً بتطليقها من زوجها؟
طلقها قضاة، لا نعرف بأي شرع يحكمون، بدعوى عدم الكفاءة.
وهي ببساطة رفضت: "اسجنوني، لكني لن أتركه".
"ليس رغماً عني".

امراتنا تقف وتتحدى شرع القبيلة.

كما لم أنسَ زوجة أخ عزيز، سُجن قبل سنين طوال لأسباب سياسية في تونس،
ووجدت زوجته الشابة نفسها وحدها مع طفلها،
وحدها بعد أن انفض الأهل والأصدقاء عنها،
خافوا كلهم من بطش الدولة.
ما أضعف الإنسان حيناً.
فكانت تحمل طفلها على ظهرها،
تحملهما وهي تجري،
تبحث عن يدافع عن زوجها،
وتبحث في الوقت ذاته عن لقمة عيش طفلها.
لم تهجره،
ولم تطلب الطلاق،
بل وقفت بجانبه.
وإلى اليوم تقف بجانبه بعد أن خرج.
"لا تخشَ شيئاً، فأنا معك".
"محنة وسنجازها".

امراتنا تقف وتتحدى بطش الدولة.

القوة في امرأتنا.
تُعطي، عندما تختار.
وتحب، مادامت حرة.

تلك القوة عبرت عنها الدكتورة ابتهاج يونس بلباقة مذهلة عندما قالت: "عندما أقرر أن أتطلق، سأفعل ذلك بإرادتي". قالتها وابتسامتها ساخرة.

امرأتنا القوية.

لا تنسوها في الثامن من مارس.

واذكروها،

كل يوم بعده.

● "النداء"، العدد ٩٤، الأربعاء ١٤ مارس ٢٠٠٧



طريق التنوير!

إلهام مانع

هل تذكرون عندما قلت لكم في مقال سابق إنني كدت أبتسم من حديث شيخنا الزنداني؟ قلت لكم: "كدت أبتسم". لم أقل: "ابتسمت من حديثه"، بل قلت "كدت". و"كدت" تضيفي على الفعل بعداً غير كامل. وكان اختياري للفظ متعمداً.

لم أبتسم ساخرة، لسبب بسيط، هو إدراكي أن ما يقوله الشيخ الزنداني يلقي صدى شعبياً واسعاً.

فكر الشيخ السلفي، وهو فكر ظلامي يعيدنا قهراً إلى قرون ماضية، لا يؤمن بالإنسان، ولا يحترم إرادته، كما لا يؤمن بقبول الغير أياً كان هذا الغير، ناهيك عن أنه لا يقبل بالمرأة إلا إذا كانت مكفنة، تسمع وتطيع، ولا تملك قرار نفسها. هذا الفكر يتفشى ويلقى القبول على أرض الواقع من قطاعات واسعة من مجتمعنا. وهذه القطاعات الشعبية لا تفعل ذلك لأنها تريد أن تكون ظلامية التفكير.



أغلبُها يعيش على سليقته.

أغلبُها طيب القلب.

تفعل ذلك لأنها تعتقد أن ما يقوله الشيخ، من الدين.

تعتقد ذلك جازمة.

وشعوبنا، يمنية كانت أم عربية، ضعيفة أمام من يرسل لحيته، ويتحدث باسم الدين. ترتعش أمامه، وتنتظر الكلمات أن تخرج من بين شفثيه كي تصدق.

شعوبنا تحب الله،

تبحث عنه بصدق،

وتريد أن ترضيه،

الله لا الشيخ.

ومادام الشيخ يقول: "هكذا قال الله"، أفلا يجب عليها السمع والطاعة؟

هل نلومها هي؟

بل نلومه هو، ونواجه فكره، ذاك الذي ينشره بأموال كثيرة وعزيمة لا تكل.

هي معركة فكرية، نتائجها ستحدد من نكون، وما نكون.

لكن كيف ندخلها؟

هذا هو السؤال، وهو سؤال كما لا يخفى عليكم، سبق أن طرحه على أنفسهم أسلاف لنا في القرن التاسع عشر، وحاول البعض الرد عليه في بدايات القرن العشرين، ثم انقطعت ألسنتهم، فلم نسمع لهم حسًا بعد ذلك.

لكنه سؤال لا نستطيع أن نتفاداه أكثر من ذلك.

سؤال أصبح الرد عليه واجبًا، لأنه ببساطة سيحدد مصيرنا: "إما أن نكون وإما لا نكون".

والرد عليه يستلزم أن نضع إصبعنا على موطن الجرح. وجرحنا في الوطن!

الوطن لا غيره.

مشكلة الوطن أنه لم يكن أبدًا وطنًا لنا.

كان ولا يزال وطناً أعرج، يمشي بين بين، لا يحمي حقوق مواطنيه، لا يسعى إلا متعباً إلى تنمية واقع مجتمعه، ولا يعبر في الواقع إلا عن طموحات أقلية تبتلع ثرواته ولا تترك للغالبية إلا الرذاذ.

وطن أعرج.

نمشي معه خائفين.

نمشي معه غير آمنين.

نمشي ونحن ندعوه أن يرحم، فلا يرحم.

لم يعرف أبداً النهضة التي كان الحالمون يمتنون أنفسهم بها.

لم يعرف أبداً الإصلاح كما أراده المصلحون.

لم يعرفه لأنه ببساطة عندما بدأ أجهض!

بدأ في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، مع شيوخ من أمثال الشيخ محمد عبده، ومفكرين من أمثال طه حسين، حاولوا أن يضعوا أسساً جديدة لفكر عقلائي.

ثم لم يكملوا حديثهم.

صمتوا.

أو أصمتوا.

مد الفكر "القومي" كان كاسحاً،

هديراً أصم الأذان.

فكر يقوم على مبدأ "عريقي"، يقول بـ "عروبة" مواطنيه، شاؤوا أم أبوا، ويفرضها عليهم كأساس للمواطنة.

لم يؤمن بالحرية، ولم يؤمن بالإنسان.

بل آمن بنفسه.

فصدقته الشعوب فرحة.

كان زمن الأحلام. هل نسيتم؟

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

نحلم حتى وإن كان الحلم ضريباً:

"سنكون شعباً واحداً، ونحيا رافعي الرؤوس، ونحتل موقعنا من جديد بين الأمم الراقية"،
هكذا كان الحلم.

لكنه كان حلم هرولة.

لم ينجح في الواقع إلا في تأصيل نمط الاستبداد في أنظمتنا السياسية. تحولت كلها إلى
ملكيات، جمهورية كانت أم وراثية.

يا خيبة الإنسان!

وخرجنا من مرحلته لاهئين، مذهولين، صفر الأيدي.

وأفقنا على فراغ سارع الإسلام السياسي إلى ملئه.

اليوم ومع انتشار مد الإسلام السياسي، نستشعر وخز الفراغ الذي نعيشه فكراً.

نستشعره لأن فكر النهضة الذي كان يجب أن يُترك لمساره كي يتطور، أجهض.

جنين لم يكتمل.

وطننا مازال مسخاً مشوهاً لا يعرف ما هويته.

وطننا مازال أعرجاً، يمشي بين بين، لا هو مدني ولا هو ديني.

وطننا مازال يبحث عن الفكر الذي يؤسس لوجوده.

وشعوبنا ممزقة تريد أن تحيا، ولا ترى أمامها إلا فكراً يدعوها إلى الموت وهي حية.

وواجبنا أن نقدم لها البديل.

والبديل لا يمشي أعرج.

بل على قدمين.

مساران متزامنان يلتقيان ليقدما البديل:

الأول يستلزم فرضاً فصل الدين عن الدولة.

كي تكون دولتنا مدنية، محايدة، قادرة على حماية حقوق مواطنيها، كي تتعامل معهم على

قدم المساواة، يجب أن تكون علمانية.
فالدولة ليست كياناً إنسانياً كي نقول: "دين الدولة هو الإسلام"، بل مؤسسة هدفها حماية حقوقنا.

تمعنوا في الكلمات:
"مؤسسة وهدفها حماية حقوقنا".
وكي تحمينا عليها أن تتعامل معنا من موقع محايد.
مطلب لا يعيب.
ليس فيه ما يُخجل.
لأنه ببساطة يعيد الدين إلى موضعه الطبيعي، إلى الحيز الشخصي.
تؤمن به أم لا تؤمن، ذاك شأنك الخاص.
والدولة تحمي حقك في أن تكون كما تشاء.

ذاك المسار الأول.
المسار الثاني يوفر الأساس الفكري للأول، فهو الذي سيحدد مصيرنا في الواقع، بدونه لن يكون للأول معنى.
بدونه سيتكرر ما حدث في تونس، فهي علمانية، لكنها مستبدة رغم ذلك.
والسبب ببساطة، أن نمط الاستبداد، الأصيل في أنظمتنا، قائم جوهراً على تراثنا الفكري الذي ظل عصياً على النهضة.
لا يكفي أن نعتمد إلى فصل الدين عن الدولة، ثم تؤسس كيانك المجتمعي في الوقت ذاته على فكر ديني لم تمسه يد الإصلاح.
إصلاح الدين هو المسار الثاني.
وإصلاحه يجب أن يكون جوهرياً.
يدخل إلى اللب.
لا يكتفي بالقشور.
لا يكتفي بالترقيع والترميم.
بل يبدأ بطرح الأسئلة الجوهرية.

يبدأ بالبحث في طبيعة النص الديني نفسه، قرآنياً كان أم سنياً، والفصل بينه وبين الإيمان بالله، كي نتمكن من دراسته والبحث فيه ضمن إطاره التاريخي، دون خوف، دون رعب، ودون شبح التخويف بأننا ننال من المقدس.

لا إصلاح حقيقياً للدين دون مواجهة هذا البعبع.

بدونه لن نتمكن من وضع أساس فكري جديد يحترم الإنسان وإرادته.

بدونه نظل نلف وندور حول أنفسنا، كما نفعل منذ قرون، نخشى أن نواجهه، ونفسح المجال في الوقت ذاته للفكر الديني السلفي، بكل جهله وخرافته، كي يزيحنا هو من وجهه، ويستفرد بالعقول.

وقد كاد أن يفعل.

و"كاد" يضيفي على الفعل بعداً غير كامل!

وطن أخرج.

وبعبع يخيفنا جميعاً.

الوطن نبنيه كي نتنفس فيه.

والبعبع نصرخ فيه: "لست سوى بعبع" رغم الفرع.

نسعى إليهما حافين،

نسعى إليهما مخلصين،

بالعقل، بالفكر، وبالكمة،

كي نحيا،

كي نحيا،

ولو بعد قرون.

● "التداء"، العدد ٩٧، الأربعاء ٤ أبريل ٢٠٠٧



يا عار اليمن!

إلهام مانع

ما الذي يجمع بين الناشطة الحقوقية والكاتبة اليمنية
حنان يحيى الوداعي، وبين مركز الإغاثة لرعاية المرأة في
عدن؟

فنزورة؟

لعلها نكتة؟!

الأخرى أنها فضيحة.

يا عار اليمن!

الناشطة حنان يحيى الوداعي اختطفها
عدد من رجال الأمن في صنعاء يوم ١٧
مارس ٢٠٠٧، وهي في طريق عودتها من
عملها.

أخرجوها من سيارتها بالقوة، وأدخلوها بالقوة
في سيارة خاصة.

سيارة لا تحمل أية إشارة بتبعية لجهة رسمية.
كل ما دل على هويتهم كان تلفوناً لاسلكياً يمسك به أحدهم.



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

"تلفون لا سلكي؟".

صولجان القوة، وعصا القهر.

رمزهما.

وكان كافياً لبث الذعر في نفوس من وقفوا صامتين وهي تُختطف أمامهم.

خطفوها هكذا!

فعلوا ذلك في وضح النهار.

فعلوا ذلك أمام أعين رجال الشرطة والمارة.

ووقف هؤلاء مدهوشين، مذهولين، و... خائفين.

يا خزي الرجال!

كانت تصرخ بهم أن "أنجدوني من هؤلاء!".

وهم؟

مرعوبون.

يا حمية الرجولة!

كمموا فمها وهي تستنجد بالشرطة والمارة.

وهم؟

صامتون كالجثث.

يا عار اليمن!

تسألوني: لم اختطفوها؟

سؤال وجيه لو تعلمون.

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

لم تجد جهات الأمن (أي أمن هذا الذي يختطف نساءنا الناشطات في وضوح النهار؟ الأخرى أن نسميها جهات ترهيبية) أي رد مقنع على هذا السؤال.

كل ما تفتقت به قريحتهم هو أنه "وصلهم بلاغ مجهول بكونها دخلت السفارة الإيرانية"، وهي السفارة التي تقع بالقرب من مقر عملها في المنظمة السويدية لحقوق الطفل.

وماذا لو كانت قد دخلت السفارة فعلاً؟

هل هناك قانون يمنع اليمني من دخول أية سفارة أجنبية؟

ولأن ما تفتقت به قريحتهم حري بفتق قرحة أي عاقل، فقد اضطروا أسفين على ما يبدو إلى إطلاق سراحها بعد ساعتين من اقتيادها إلى السجن المركزي بصنعاء.

لكن الهدف الفعلي تحقق.

رسالة أرادوا أن يبعثوها بالبريد المستعجل لكل من يعمل في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان: "الكل مستهدف، ولا أحد مصون".

حتى المرأة اليمنية التي ظلت أخلاق اليمن تمنع رجال الأمن (عفوًا! رجال التهيب) من التعرض لها (طبعًا باستثناء من تنتمي إلى فئة الفقراء المستضعفين والسجينات المهمشات) حتى هذه المرأة ليست بعيدة عن أيديهم. "خافوا! هو أجدى لكم"(!).

وما دمنا نتحدث عن الفئات المستضعفة فالأجدر أن نتحول إلى الشق الثاني من السؤال، إلى مركز الإغاثة لرعاية المرأة في عدن.

هل تعرفون أن هذا المركز هو الأول من نوعه في شبه الجزيرة العربية؟

هو لا يقدم فقط مكاناً تلوذ به النساء المعنفات (أي من يتعرضن للضرب والتكسير في بيوت أسرهن)، بل يزيد على ذلك بأنه يوفر حياة كريمة للسجينات السابقات، وأغلبهن فتيات في عمر الزهور، تعرضن للاستغلال من ذويهن، أو للزواج في سن الطفولة، أو للتغريم من أصحاب النفوس المريضة.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

فتياتنا.

بناتنا.

ضحايًا مجتمعنا.

لسن "مجرمات".

لسن "ساقطات".

بل ضحايا.

في عمر الربيع، ويبحثن عن فرصة جديدة في الحياة بعد السجن والبهذلة، ويوفرها أول مركز من نوعه في شبه الجزيرة العربية، بالتأهيل والتدريب والرعاية النفسية.

أفلا يحسن بنا أن نقدم لهذا المركز كل الدعم والرعاية؟

أفلا يجب، وهو التجربة التي نشير إليها بزهو في أوروبا، وأنا أول من تفعل ذلك، أن نسعى إلى إنجاحه؟

"بالطبع لا".

هذا هو الجواب الذي نسمعه جهارًا.

"لا".

"بل نعمل على إفشاله"، و"ندكه دكًا على رأس من يعيش فيه".

لعنة الله على النجاح، ومن يسعى إلى النجاح في أوطاننا.

ومن الذي يعمل على إفشاله؟

من الذي يسعى إلى إغلاق المركز؟

أمن عدن!

لا غيره.

هذا "الأمن" يبدو منزعًا من المركز.

وأكثر انزعاجًا من طلب مديرتة استخراج بطاقات هوية لنزيلات المركز.

نزليات، تمت محاكمتهن أمام محاكم يمنية، وحكم عليهن بالسجن، كيميئات. ثم عندما

إلهام مانع

من أجل هوية الأساقفة

تحاول مديرة المركز استخراج بطاقات هوية لهن، يقف أمن عدن متسائلاً: "هل هن يمنيات؟". سؤال كفيل بفتق ما تبقى من قرحتنا.

يتساءل هذا "الأمن" ويتأفف، ثم يرفض مصمماً، رغم أن محافظ عدن أصدر أوامره باستخراج بطاقات هوية لنزيلات المركز.

أصدر المحافظ أوامره، و"أمننا" يرفض،

و"أمننا" يلعن سنسفيل المركز، ويسعى إلى إغلاق المركز.

وأكد أجزم أنه حتى لو أصدر وزير الداخلية أو رئيس الجمهورية أمراً بمنحهن بطاقات هويتهن، فإن "أمننا" سيتجاهل الأمر كأنه لم يكن. إذن!

ما الذي يجمع بين الناشطة الحقوقية والكاتبة اليمنية حنان يحي الوادعي ومركز الإغاثة لرعاية المرأة في عدن؟

لا شيء سوى كلمة من ثلاثة أحرف: الألف، والميم، والنون نُصِفَها صفًا، ثم نجمعها، ونلفظها في كلمة تزرع الخوف في قلوبنا.

"أمننا" فوق القانون.

"أمننا" خارج مؤسسة الدولة.

يكسر ظهر الدولة.

لا يعني له الحق شيئاً.

لا يعني له القانون شيئاً.

ويقول إنه يحمي القانون!

أسألكم بالله! عن أي "أمن" يتحدثون؟!

● "النداء"، العدد ٩٨، الأربعاء ١١ أبريل ٢٠٠٧

إصلاح الدين؟

إلهام مانع



ما الذي نعنیه بمطلب إصلاح الدين؟
أظنه سؤال القرن الحادي والعشرين في بلدان العالم العربي.

ولعله كان سؤال قرون مضت، لولا الصمت ولولا الخوف.

مطلب تطرقت إليه في يوميات سابقة، وأعود إليه من جديد.

فطريق التنوير لن يُمهد دونه.

دعوني أحدد ملامح إصلاح الدين كما أراه.

ولكم أن تتفقوا معي أو لا تتفقوا.
هذا شأنكم.

لكن رجوتكم ألا تشككوا في نيتي.
هدفه هو إصلاح الدين، لا هدمه.
انتبهوا.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

فهناك فرق بين الأمرين.
وحديثي يأتي دائماً من داخل دائرة الإسلام، لا من خارجه.
فتمعنوا في ما أقول،
ثم فكروا فيه.

القول بإصلاح الدين يعني الاقتناع أولاً بأن أي دين قابل للتطور.
كالشجرة.
تنمو وتترعرع، أو تجمد وتتخشب.
ليس حجراً.
ليس صلداً.
بل شجرة.
نسقيها، أو نُميتها.

تلك القناعة تعود إلى سبب بسيط، هو أن كل الأديان، من إسلامية أو مسيحية أو يهودية
أو هندوسية... الخ، جاءت وهي تحمل بصمة زمانها.
نزلت في فترة تاريخية معينة.
وعبرت في كثير من تعاليمها عن واقع تلك المرحلة.
لأنها كذلك، لم يتضمن أي منها مفهوماً لحقوق الإنسان كما نراه اليوم.
كلها، على سبيل المثال، لم تتعامل قط مع المرأة على أنها نداء للرجل، أو أن لها حقوقاً
مساوية للرجل داخل الأسرة.
كانت كلمة الطاعة هي السائدة في رؤية العلاقة بين الزوج وزوجته، مع الاقتناع بالطبع
أنها واجبة على المرأة لا الرجل.
وفي الواقع سيكون من الغريب أن نتوقع من هذه الأديان أن تأتي بمفهوم لم يتطور في
شكله الحالي إلا في منتصف القرن العشرين. فالاتفاقية الخاصة بحقوق المرأة السياسية لم

تصدر إلا في عام ١٩٥٢، على حين اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة في عام ١٩٧٩.

البشر يتطورون.

ومفاهيم حقوق الإنسان التي توصل إليها العقل البشري أكبر دليل على هذا التطور.

أما الأديان فقد جاءت أساساً كي تنظم العلاقة بين الفرد والله.

وصممت عن مفاهيم لم تعرفها في حينها.

المشكلة تبدأ عندما نقف موقفًا معاديًا من هذه المفاهيم بدعوى أن الدين لم يأت بها.

وتصبح المشكلة مصيبة عندما نجادل بأن ديننا، وحديثي هنا عن الإسلام تحديدًا، جاء بهذه المفاهيم قبل أربعة عشر قرنًا، ونحن ندري أنه لم يأت بها في الواقع، ليس عندما يتعلق الأمر بالمرأة، بغير المسلم، بالملحد، أو بالعبودية.

كلتا القراءتين لا تتماشيان لا مع المنطق ولا مع الواقع.

المنطق والواقع يقولان إن الدين إنما جاء ليقنعنا بمبدأ الإيمان بالله في فترة تاريخية محددة.

وأن ملامحه لا تخرج بحال من الأحوال عن الواقع الاجتماعي والتاريخي لتلك الفترة. ولذا سيكون من الصعب أن أطلب من النص أن يقدم لي مفهومًا سابقًا على عصره.

هذا المدخل يفترض جوهراً أن نكف عن القول إن النصوص المقدسة جاءت تامة جامعة، وإنها توفر لنا إطاراً تنظيمياً لكافة شؤون حياتنا.

نكف عن ترديد هذه العبارة لأنها ببساطة غير صحيحة.

فالنصوص القرآنية لم تقدم لنا رؤية واضحة لا لحياتنا السياسية ولا الاقتصادية، وما قدمته من رؤية اجتماعية، إنما تتماشى مع مجتمع المدينة في القرن السابع الميلادي، لا مجتمع القرن الواحد والعشرين.

من المهم أن نكف عن ترديد تلك العبارة، وأن ندرك أن تكرارها إنما بدأ مع ظهور مد الإسلام السياسي. في السبعينيات لم نكن نتحدث عن نظام إسلامي تام جامع.

كنا نتحدث عن الاشتراكية والقومية العربية.
لا تنسوا التاريخ.
فما أحوجنا إلى دروسه اليوم.
متى ما كففنا عن ترديد عبارة أن الإسلام جاء تاماً جامعاً لكل تفاصيل حياتنا، نتحول إلى الدين بعقولنا.
عقولنا.
أخشى أيها الأعزاء أنه لا مفر من استخدامها.
وعندما نفعل ذلك، نفصل بين مبدأ الإيمان بالله عز وجل، وبين التشريعات التي جاء بها الدين في الفترة التاريخية لتأسيسه.
هذا ضروري.
إيماني بالله، عز وجل، وبرسالة نبيه، لم يتزحزح مع رفضي لمبدأ تعددية الزوجات.
تعددية الزوجات كانت ممارسة تاريخية.
وإيماني بالله عز وجل وبرسالة نبيه، لم يتغير عندما اعتبرت أن قطع يد السارق عقوبة يجب رفضها اليوم، لأنها لا تتماشى مع ما نعرفه اليوم عن إمكانية تأهيل اللص وإعادة إدماجه في المجتمع.

إذن، نفصل بين مبدأ الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وبين تعاليم الشريعة.
ونبدأ في تحديد منظومة فكرية جديدة لتلك التشريعات.
منظومة تضع إرادة الإنسان كمحور لقراءاتها، ثم تتعامل معه ككيان عاقل حر.

تأملوا.

إنسان.

نحترمه.

له إرادة.

إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

نحترمها.

عاقل.

وحر.

وحريته مسؤوليته.

إرادة الإنسان هي المحك.

وهذه الإرادة هي التي يجب أن يتمحور حولها مفهوم إصلاح الدين.

لا إصلاح بدونه.

إصلاح الدين الذي لا يقوم على احترام إرادة الإنسان لن يصلح منه شيئاً.

إصلاح الدين الذي لا يتعامل مع الإنسان على أنه فرد بالغ راشد قادر على اتخاذ قراراته دون وصاية، لن يغير فيه شيئاً.

وإصلاح الدين الذي لا يؤمن بحق الإنسان في اختيار الدين الذي يريده، لن يخرج عن دائرة الأمنيات الطيبة.

وإصلاح الدين الذي يرفض جوهرًا مبدأ المساواة بين الأديان، يتعامل معها على أنها تبحث عن الله عز وجل، وتسعى إليه، وأن كلاً منها يمثل طريقاً من بين طرق متعددة للوصول إلى الله، وهو ما يجعل من المؤمنين بالديانات الأخرى أفراداً متساويين في الحقوق والواجبات مع أتباع الديانة الإسلامية، مثل ذاك الإصلاح الرافض لهذا المبدأ يصعب أن نسميه إصلاحاً. هذا المدخل يفترض منا حتمًا أن نكف عن التعامل مع مطلب إصلاح الدين بطريقة "براغماتية".

لا أحب الطرق السهلة.

والحلول المستعجلة.

الأجدى أن نأخذ الطريق من أوله ونمشي فيه إلى آخره.

مهما كان ذاك شاقًا.

لا أدري إذا كنتم تذكرون، لكن قبل فترة اقترح أحد المثقفين أن يتم الالتفاف على النص القرآني الداعي إلى حصول الأخت على نصف حصة أخيها في الإرث، من خلال استخدام الأب لحقه الشرعي في أن يوصي بثلث ماله.

كان رأيه أن يعتمد هذا الأخير بالوصية لابنته بقدر من ذلك المال كي تتساوى مع أخيها في الإرث.

ذاك اقتراح يمسك العصا من نصفها، يتفادى مواجهة المشكلة، ولا يقدم لها في الواقع حلاً.

لأنه يعتمد على الأب في إيجاد "مخرج" للمشكلة.

وللأب أن يقبل أو يرفض.

مثل هذا "المخرج" لا يواجه لب القضية،

ولبها يرتبط بالنظرة إلى المرأة،

موقعها من الرجل،

ومرتبتها منه.

كي نصلح هذا الجانب من الدين علينا أن نقر أن هناك مشكلة في هذه الرؤية.

نقر بذلك.

ليس في ذلك ما يعيب.

وأن الإقرار بذلك يفترض أن نعترف بأن التشريعات الخاصة بالمرأة في الإسلام لا تتماشى

مع مفاهيم حقوق المرأة كما نعرفها اليوم.

وأن هذا يتطلب ببساطة تغيير قوانين الإرث بصورة تعطي للأخت نفس حق أخيها في

الإرث.

لا أكثر ولا أقل.

"الالتفاف" على النص ليس حلاً.

فإذا كان السعي اليوم هو إلى "الالتفاف" على النص، فما أدراني بما قد يحدث غداً؟ سيأتي

البعض ليدعو إلى الكف عن "الالتفاف".

الأجدي أن نقدم رؤية واقعية للنص،

تسمي الأشياء بأسمائها،

وتقبل دون صراخ وتهويل بمبدأ "عدم العمل بالنص القرآني"، وهو مبدأ لو كنتم تعلمون (إذا استثنينا السعودية والسودان) نعمل به منذ سنوات طويلة ونحن لا ندري، إلا عندما يتعلق الأمر بالمرأة.

إلا عندما يتعلق الأمر بالمرأة!

تلك دعوة إلى إصلاح الدين.

إصلاحه.

لا هدمه.

لا تدعو إلى إلغاء الدين من حياة الفرد.

ولا تمس بمكانة الله عز وجل في نفوس من يؤمن به.

تفصل بين الإيمان، وبين الشريعة.

ترى أن الإيمان أزلي، والشريعة وقتية.

ثم تعيد الدين إلى حيزه الروحي.

تسأل الإنسان أن يستخدم عقله.

ثم تحمله مسؤولية تنظيم مجتمعه.

وتقول له "أنت، أنت لا غيرك، الأجر بإصلاح مجتمعك".

● "النداء"، العدد ١٠٠، الأربعاء ٢٥ أبريل ٢٠٠٧



مصرية؟

إلهام مانع

في الرابعة والتسعين من عمرها.
ترقد في سريرها في غرفة الإنعاش، في مستشفى في
الولايات المتحدة.

"أمريكية؟".

يلوح السؤال وتنطقُ به.

ستنظر إليك عاتبة، وتقول: "بل مصرية".

"مصرية؟".

ستحدق في وجهها، ستأملها، وتستشعر
طعم "مصرية" في فمك، ثم ستكنه قصتها،
وستخجل!

ستقرأ في عينيها الحكاية.

وستشبح بوجهك.

لكن سنواتها الأربع والتسعين ستعيدك شئت

أم أبيت معها إلى الماضي.

ستعيدك إلى أعوام مضت، تجري أمام عينيك لتستقر على ١٩٤٨.

نكبة.

نكبة الفلسطينيين، وتأسيس إسرائيل.



إلهام مانع

من أجل هوية إسلامية

وستدرك وأنت تحقق في ملامحها أن نكبة أخرى حلت بها بسبب ما حدث في ذلك العام.
نكبة؟

ستأملها من جديد، وتصر على السؤال: "عربية؟".

وهي تهز رأسها مترددة.

سنُصر مجدداً: "عربية؟".

وهي تنظر إليك، تتفحص وجهك، ثم تجيب مستسلمة: "يهودية مصرية".

هل شعرت بأنفاسك تتراجع نافرة؟

"يهودية مصرية!".

وستشيع، ثم تدير ظهرك، لكنك لن تستطيع.

ستعود إليها.

وتقول لها: "غادرت مصر باختيارك".

تقولها مقررًا، تريد أن تريح نفسك.

وهي تنظر إليك بعينيها المسوحتين، وشبح ابتسامة يلوح على شفثيها، تكاد تبتسم مما تقول.

تكاد.

وستحكي لك الحكاية، وأنت غير مصغٍ. ستجري بين أرجاء نفسك، لا تريد أن تسمع، وستصرخ في ذاتك: "اصمتي".

"نكبتنا"، ستقول لك.

وستجري الكلمات فارة، وتراها غصبًا عنك صورًا مجسدة.

عام العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦. هي في بيتها مستقرة، في الثالثة والخمسين، وزوجها المراقب العام لبنك مصر، في الثامنة والستين من عمره، يعمل من أجل بلده مصر إلى الثامنة والستين من عمره.

ثم جاؤوا إليه.

طلبوا منه أن يستقيل.

قالوا له: "نحبك، ونقدر كل ما فعلته، لكننا نخاف عليك. كي نحميك عليك أن تستقيل".



والرجل مذهول، لا يفهم.
كانه لم يكفِ أنهم حملوه وأسرته بطاقات تشير إلى هويتهم بالقول "إسرائيلي".
وهو المصري.
كانه لم يكفِ أنه يستشعر الخوف في كل لحظة، بعد أن كانت مصر الأمان لمن يحبها.
الخوف في الوطن.
ثم خيروه!
فاستقال.
ثم عادوا من جديد فخيروه!
"لا تبَقْ".
"الأفضل أن ترحل".
"وعندما ترحل لا تعود".
"عندما ترحل تتخلى عن جنسيتك المصرية".
"سنخلعها عنك. كأنك تخلع رداءك. ثم تضع جنسيتك وراءك، وترحل".
نزعوا عنه الوطن.
والوطن فيه.
يا ضيعة الوطن.
عاد إلى بيته، نظر إليها وإلى ابنه ذي التاسعة عشرة من عمره، وهما فهما دون أن
ينطق.
حفنة من الدولارات هي كل ما حمله معه في محفظته.
عشرون دولارًا لا غير.
ترك بيته، ترك أرضه، وترك ثروته.
لم يخبروه في هذا.
كان عليه أن يترك كل ذلك غير مختار.
ثم رحل.
مجبّرًا.

وهي معه، تحمل تاريخها على ظهرها، وتمشي وابنها معه.
تركوا وطنهم ورحلوا إلى الولايات المتحدة.
وبدأوا من الصفر.
في الثالثة والخمسين من عمرها، وفي الثامنة والستين من عمره.
زوجها لم يتمكن من العمل.
ولذا اضطرت هي للخروج للعمل.
لأول مرة في حياتها.
وابنهما لم يتمكن من استكمال دراسته.
خرج هو أيضاً كي يعمل.
الحياة تمضي، والإنسان يحيا.
رغم المصاب.
وهي عاشت.
رغم النكبة.
شاهدت ابنها وهو يكون شركته، ثم أسرته، وشاهدت أحفادها من حولها بعد موت زوجها.
عاشت.
ولم تنس.
لم تنس أنها يوماً كانت مصرية.
وأنت؟
أنتَ ستنظر إليها وتقول: "يهودية".
كانك بقولك ذلك تبرر ما حدث.
وهي سترد "ومصرية".
ولعلك لذلك ستخجل.

● "النداء"، العدد ١٠٢، الأربعاء ٩ مايو ٢٠٠٧

لا تعتب عليّ!

إلهام مانع

غَضِبَ والدي من مقالي الأخير.

غَضِبَ فعاتبني،

وصوته محب حنون.

"لم تجدي سوى هذا الموضوع كي تكتبي عنه؟".

يعني قصة السيدة المصرية اليهودية التي اضطرت

إلى مغادرة مصر رغماً عنها بعد العدوان الثلاثي،

وتحديداً بعد حرب ٦٧، ومثلها ٧٥ ألف مصري

ممن يدينون بالديانة اليهودية.

"لم لا تكتبين عن فقراء اليمن؟".

قالها وهو محروق.

واحترقت بجملته معه.

أكثر من ٤٠٪ من أبناء جلدي يعيشون

تحت خط الفقر. أما الفقراء منهم فلن نحصيهم.

كيف أنساهم؟

أنا لم أخلع جلدي عن لحمي. مازال ملتصقاً بي رغم أنفي.

هم مني مثلما أنا منهم.

ولو نسيتهم ما تركني أبي أنسى.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

أوليس هو من غرس حب الوطن في نفسي، رغم فجيعة فيه؟
صوته كان دوماً الوطن.

"لَمْ لَا تكتبين عن المتقاعدين ممن لا يتحصلون على معاشاتهم اليوم؟".
واحتد صوته،

فاختنق صوتي بعبراته الصامتة.

متقاعد ينتظر.

معاشه لا يصل.

وأهله جوعى.

يا خيبة الدولة!

"هل نسيت كل هؤلاء كي تكتبي عن يهودي احتل أرضك؟".

ابتلعت صوتي.

معه دون العالم كله لا أحتد.

أوليس هو مهجة القلب؟

أه يا أبي؟

لَمْ أَكتب عن عربية يهودية؟

لأنها هي لم تحتل أرضي.

دولة إسرائيل وملابس إنشائها، قصة أخرى.

تلك حكاية يقصها العرب بطريقة والإسرائيليون بطريقة أخرى.

ولعل الحقيقة تكون قصة ثالثة.

لكن ما أقسى دولنا العربية التي هرعت رغم حربها مع إسرائيل إلى ترحيل مواطنيها من

اليهود، أرادوا ذلك أم رفضوا.

أرادوا ذلك أم رفضوا.

٨٠٠ ألف من يهود العرب، أخرجوا هم أيضاً من ديارهم.

تلك المصرية كانت دوماً جزءاً من الوطن.

لكننا نحن من لفظها.

قطعناها من جسدنا.

فأصبحنا بلا أطراف.

"لكن كل ذلك عهد مضى".

معك حق عندما تقول لي ذلك.

لولا...

و"لولا" هذه هي التي أغص بها.

لولا أن التاريخ يعيد نفسه اليوم أيها الحبيب.

مسكين من ينتمي إلى ديانة غير الإسلام في أوطاننا في مرحلتنا الزمنية الراهنة.

كالعربي الذي يعيش في إسرائيل اليوم.

مواطن درجة ثانية.

لكن العربي هناك لديه على الأقل قانون يمكنه اللجوء إليه، رغم الظلم.

أما عندنا يصبح مواطناً درجة ثامنة وعشرين.

التاريخ يعيد نفسه اليوم.

ولذا وجب التذكير.

التاريخ يعيد نفسه اليوم.

لذا وجب التنبيه.

لن أشير إلى الهة يمنياً ممن يدينون بالديانة اليهودية اضطروا إلى الهروب من ديارهم

بعد أن هددهم "متشددون"، وطالبوهم "بمغادرة البلاد". حدث هذا قبل أربعة أشهر.

محافظ صعدة سارع بالتأكيد على أن من هددهم هم من أتباع الحوثي.

ما حدث فعلاً يظل في بطن الحاكي.

الأکید هو أن هؤلاء المواطنين اليمنيين وجدوا أنفسهم بين مطرقة الدولة، التي تعهدت

بإعادتهم سالمين إلى ديارهم، في الوقت الذي استغلت فيه الموضوع كي تظهر للعالم الخارجي،

"أي متطرفين نتعامل معهم"، وسندان تطرف بدأ يزيد عن حده، يلاحق كل من لا يرتدي الزي

نفسه، فما بالك بمن لا يؤمن بالدين ذاته!

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

لا. لن أشير إلى ذلك.

بل أنبه إلى حركة هجرة تحدث في عالمنا العربي ونحن لا ننتبه.

هجرة مواطنينا المسيحيين.

هجرة صامته.

تجري بهدوء،

وصمت.

صمت يقطر حزناً.

ينسحبون من أوطانهم لأنها خذلتهم.

ينسحبون هذه المرة بسبب حرب العراق.

هل سمعتم بصراخ العراقيين من المسيحيين وهم يناشدون حكومتهم أن تحميهم؟

حدث هذا الأسبوع الماضي.

تحميهم من مرضى بالتطرف،

يصرخون فيهم "إما أن تسلموا، أو نقتلكم".

والأسلم كان أن يرحلوا.

والحكومة لاهثة لا تدري من تحمي.

فقد كثر عدد الضحايا.

ولعلكم لم تلاحظوا أن عدد المسيحيين في الأراضي الفلسطينية، في سوريا، في لبنان، في

مصر، وفي الأردن، في تناقص مطرد.

تناقص يتزايد يوماً بعد يوم.

ونحن لاهثون.

كالحكومة العراقية.

لا ندري من نداري.

متعبون

من حياتنا،

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع



ومن حكوماتنا.

ولا نعبأ.

لا ندرك، كم أصبح الوضع صعباً على من لا يدين بدين الأغلبية في مجتمعاتنا.

أصبح صعباً لا يطاق.

ليتكّم تلاحظون وسائل إعلامنا وهي لا تكف عن التذكير بدين الدولة! ثم تسهو أحياناً وتندد بأديان غيرها.

ليتكّم تلاحظون كيف نتحدث، عندما نهيج ونحن نلعن "اليهود والنصارى"!

أو لعلكم نسيتم ذلك التسامح المتكبر، الذي يتعامل به البعض مع من لا يدين بدينه، كأنه يقول: "لا بأس، سأقبل بك، رغم دينك"!

صعب.

صعب أن تكون غير مسلم في مجتمعاتنا العربية اليوم، إلا إذا كنت أبيض البشرة تنتمي إلى فصيلة الأوروبيين أو الأمريكيين.

فهؤلاء سنرفع لهم أيدينا تعظيم سلام، ونحن نلعنهم في سرنا.

ولذا كان من الأسلم على مواطنينا ممن لا يدينون بدين الأغلبية أن يرحلوا.

ومعهم صورة من ماضٍ، كان التنوع عنوانه.

عندما أكتب عن مصرية يهودية، أذكركم بأن ٨٠٠ ألف عربي يهودي كانوا يعيشون في أوطاننا.

اليوم لم يبقَ منهم سوى مئات وبضعة آلاف.

يعيشون وهم يعدون أنفاسهم.

عندما أكتب عنها أذكركم بأن عشرة ملايين من العرب المسيحيين يعيشون في بلداننا العربية.

مواطنون، ونحن نصر في نفوسنا أنهم غير ذلك.

"هم غير ذلك"!

ولأنهم يسمعون همسنا، يعيشون وهم متخوفون.

أيديهم على قلوبهم.

إلهام مانع

من أجل هوية المسلمين

يدركون أن موجة التأسلم الشعبي التي هبت رياحها على المنطقة لن تغض الطرف عن وجودهم.

أذكركم بهم، خاصة وأن بعض الخبراء وفقا لتقرير لصحيفة الـ NZZ am Sonntag السويسرية الناطقة باللغة الألمانية، بتاريخ ١١ مارس ٢٠٠٧، حذر من أن استمرار نمط الهجرة الحالي يعني ببساطة أنه لن يبقى مسيحي واحد في المنطقة العربية بعد خمسين عاماً من اليوم.

لن يبقى مسيحي واحد.

فهل ستحزنون؟

لا تعتب علي أيها الحبيب

أبي ووطني.

لا تعتب علي، وعتبك غالٍ.

دوري، وكل من يحترم قلمه، أن يكون صوتاً مزعجاً.

لا يجاري ولا يطبطب.

مرأة صادقة، يمسكها بيده حتى وهي تحرقه، ويعكس من خلالها واقعه.

دور التزمّت به،

رغم الوجع.

فالوجع هو أن تكتب وأنت تدري أنك ستؤلم من تُحب.

● "النداء"، العدد ١٠٣، الأربعاء ١٦ مايو ٢٠٠٧



جف القلم

إلهام مانع



"كأن قدر العربي أن ينحر نفسه.

أن يقتل نفسه بنفسه.

أن يوفر على الغريب مشقة اغتياله.

أن يكتب بنفسه استمارة موته ويوقع على عقد دفنه

وهو يضحك كالمعتوه.

كأن قدره أن يكون أحمق". "صدى الأنين"، بيروت،

دار الساقى، (٢٠٠٥).

.....

عندما يجف مداد قلمك، تدرك أن جللاً

طراً على حياتك.

وأنا الدماء تحيط بي من كل جانب.

فكيف أكتب؟

هل يصبح الدم مداي؟



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

كيف نكتب؟

وعمن؟

أسألكم، فردُّوا عليّ،

عن العربي الذي تاه في الطريق؟

أراد أن يمشي إلى القدس، فوجد نفسه في كازاخستان!

آه يا حلم الفلسطينيين!

أرادها دولة فبعثرها أشلاءً.

عمن نكتب؟

دُلّوني على جواب!

فأنا لم أعرف سؤالاً حرق فؤادي مثله.

عن أنفسنا؟

تلك التي وقفت واجمة صامته، مبهوتة ذاهلة، لا تدري من تعزي.

هل نعزي أنفسنا؟

بل نعزيهم هم، الفلسطينين.

لكننا كنا همُ دوماً.

ألم نكن كذلك؟

فلنعزي الجميع إذن!

ونحن واجمون.

ونعزيهم على ماذا؟

على الدم الذي سال لا حرمة له؟

إلهام مانع

من أجل هوية الأسبحة

نعزيهم على ماذا؟
على الأخ يقتل أخاه؟
أم على الحلم، ذاك الذي رأيناه يُولد منحورًا، ثم واريناه تحت الثرى ونحن خجلون؟
ثم نواسيهم بماذا؟
بمستقبل لا مستقبل فيه،
لا نور فيه؟
فكيف نحلم بعد ذلك؟
كيف نشتي الحياة بلا ضياء؟
من قبل قالت واشنطن: "غزة أولاً". وخرجت إسرائيل من غزة دون تنسيق مع السلطة الفلسطينية ممثلة حينها بفتح، لتترك الساحة خالية، لولا أن حماس كانت تنتظر.
واليوم يقولون: "الضفة الغربية أولاً"، لولا أن الوعود المدهونة بالعسل لن تجدي كثيرًا مادامت حركة فتح ينخرها الفساد.
هل تفهمون لماذا ارتفعت أسهم حركة الإسلام السياسي؟
البديل كان دائمًا مترهلًا شرهًا فاسدًا متهتكًا،
لا يفكر سوى في بطنه،
كثعبان خالة أبي.
وحماس لن تغيب وراء الشمس.
هي باقية ما بقي الفساد.
ونحن، وذاك الشعب، بينهما بلا بديل.
وواشنطن العريضة تصف عباس بـ "المعتدل".
كل الأنظمة العربية اليوم، باستثناء واحد أو اثنين، أصبحت "معتدلة".
حتى السعودية بنظامها الديني القروسطي، المنتهك لأبسط قواعد حقوق الإنسان، تظل "معتدلة" بالمعيار الواشنطني.
حلم نشر الديمقراطية في العالم العربي تحول إلى كابوس فيتنامي، وكانت العودة إلى

سياسة التحالف مع "الأصدقاء المعتدلين"، المستبدين حتماً، مجرد تحصيل حاصل.

ريما العزيزة عادت إلى عاداتها القديمة.

هل نلومها هي؟ قد حاولت، وأظنها كانت صادقة في البداية، لتكتشف أن الديمقراطية لن تجلب لها سوى وجع الرأس. أم نلوم أنفسنا؟

ذاك سؤال آخر لا محل له من الإعراب في حديثنا اليوم.

لكن ليبيا تحولت هي الأخرى بقدرة قادر إلى "معتدلة".

لولا أن الأخيرة تحولت إلى "الاعتدال" قبل عودة واشنطن عن سياستها المثالية.

أوه، ما أجمل أن تكون "معتدلاً"، كالطقس، ليس حاراً مثقلاً ولا بارداً قارساً.

والمعيار في النهاية لا علاقة له بمدى مصداقية قادة هذه البلدان أمام شعوبها،

بل بمدى قربهم من بوصلة إسرائيل.

وفي الواقع لا أعرف كلمة أكثر صفاقة من "معتدلة" هذه..

لزجة، مُرّة. كزيت حوت البحر الذي كانت أمي تجبرني على شربه وأنا طفلة.

سمّوني "متطرفة" لو سمحتم!

"متطرفة" في علمانيتي،

"متطرفة" في عقلائي،

و"متطرفة" في إيماني بالإنسان.

لكن لا تسمّوني "معتدلة".

فقد أصبحت اليوم "ماركة"، توزع بحساب من أصحابنا في واشنطن، ويتحول معها كل من

يوصف بها إلى "خائن" أو "عميل".

لكن مهلاً!

مهلاً!

لا تتسرعوا!

محمود عباس ليس بالخائن ولا بالعميل. صفحته بيضاء. نعرفها جيداً. يده ليست ملوثة

بالفساد.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

بل رجل يحب وطنه وأبناء شعبه.
لو كان غير ذلك، ما وقف متردداً في لحظة كان الكل فيها يدعوه إلى سفك الدم الفلسطيني، وهو يرفض.
كانت أوامره لرجاله في غزة: "لا تطلقوا النار إلا دفاعاً عن النفس". غيره ما كان سيتردد.
لكنه تردد. وتردده يحسب له، لا عليه.
بيد أن أوطاننا لا تؤمن بالملائكة يا للحسرة! تريدهم جابرة يسفكون الدم ثم يشربونه.
ولذا نهمس من وراء ظهره قائلين: "ضعيف هو... كان من الممكن تفادي ما حدث، لو أنه تحرك بحسم أكبر".

ولو كان الضعف هكذا، فما أنبل أن تكون ضعيفاً.
لا،
الأفضل من وجهة نظر هؤلاء أن نصفي خصومنا في وضح النهار،
أن نعدمهم رمياً بالرصاص،
أو أن نقذف بهم من فوق أسطح البيوت.
وقناة "الجزيرة" تهلل، فرحة بنصر إخوانها المسلمين، وملعون أبو الدم الفلسطيني.
والقرضاوي يهنئ لإخوة غير عابئ، وملعون أبو الدم الفلسطيني.
طريق المستقبل يفرشونه بالدماء وهم يهللون.

ونحن؟
نقف واجمين مبهوتين صامتتين.
نرقب بصمت، ونأكل شفاهاً ونحن نرقب،
ثم نبتلع ألسنتنا ونحن نمضغها كي لا تنطق.

كيف نكتب؟
بالله عليكم أجيبيوني!

ثم عمن نكتب؟
دُلُونِي،
ولو كتبنا، مَنْ نعزي؟
لا تشهقوا بالدموع، وأفيدوني!
فحبر قلّمي جف،
ومداده كان الدم،
ودمي رخيص،
كدم الإنسان في وطني.

● "النداء"، العدد ١٠٩، الأربعاء ٢٧ يونيو ٢٠٠٧

إلهام مانع
من أجل هوية الإسكندرية

جثة طافية! (١)

إلهام مانع

كانت الجثة طافية على سطح نهر الآرا.
جثة شاب أحب أن يسبح في النهر السويسري المراوغ،
فأبتلعه.

صدمني المشهد.

ميت يطفو على نهر، كنت أرغب في التنزه على
ضفته بعد يوم واحد من عودتي من زيارة بحث
ميدانية أخذتني إلى سوريا.

من بين كل المشاهد التي كنت أتوقعها، لم
أتصور أنني سأرى غريقاً يطفو، هكذا، كأنه
خرج من قمقم للعفاريت. أو أنني سأتابع،
 واجمة، سيارات الشرطة والإسعاف وهي
تتلاحق في الشارع، ورجلي شرطة يخلعان
ملابسهما ويقفزان في الماء ليخرجاه. ثلاث
سيارات شرطة وسيارة إسعاف، وكل أفراد الطاقم مهتمون
بمصير رجل مات!

مات وشبع موت. وهم مهتمون بموته!

تابعت ذلك صامتة. لم أنطق بكلمة "أه". لم أنبس ببنت شفة. صامتة وعينايتا تابعتان



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

مشهداً بدا لي سريالياً.

والغريب أنني شعرت بالجملة المنتفخة متسقة تماماً مع مزاجي.
عكر، عكر، عكر.

لماذا؟ تسألونني؟

حسناً. ربما لأنني مازلت أحمل في نفسي بصمات زيارتي إلى سوريا.
أخذتني إليها دراستي التي أعدها عن المرأة العربية والدولة بين الشريعة والعلمانية،
دراسة العمر إذا صح لي تسميتها كذلك. هناك نوع من الدراسات ما إن تبدأ فيه حتى
يستحوذ عليك، وهذه واحدة منها. استحوذت عليّ حتى كدت أن أتنفسها.
بدأتها غير واعية، وكلما تعمقت فيها أصبحت مقتنعة أكثر أن مشكلة المواطنة في بلدان
العالم العربي تبدأ من العائلة، وأن العلاقات غير المتوازنة ضمن إطارها، بين الرجل والمرأة،
والبالغ والطفل، تعكس إلى حد كبير واقع الدولة لدينا، دولة أبوية، على قمته رئيس أب، ذلك
المستبد الظالم.

التقيت في تلك الزيارة بشخصيات عديدة متنوعة وثرية. تأسرك بحماسها. تُخجلك
بتواضعها.

شخصيات من نوعية حنان نجمة، رياض الترك، سهير الأتاسي، دعد موسى، رزان زيتونة،
خالد خليفة، ناهد بدوية، سوسن زقزق، ندى العلي، سمر يزبك، الراهبة ماري كلود نداف،
أسماء كفتارو، بسام القاضي، علي عبدالله، رياض السيف، ياسين الحاج صالح، والوزيرة
منى غانم... وغيرهم...

كما في اليمن، كما في السعودية وتونس، كما في كل بلد عربي، تزخر أوطاننا بمثل هذه
الشخصيات. كل يعمل في مجاله، وكل له اتجاهه الفكري والسياسي والديني أو اللاديني،
لكنهم يعملون، في إطار منظمات المجتمع المدني، من داخل السلطة، أو من خارجها، في
المنظمات النسائية، أو كمتقنين، ومع اختلاف اتجاهاتهم يبدو أنهم متفقون على أمر واحد:

إلهام مانع
من أجل هوية الأسابيع

على الوطن.

رغم ذلك، مزاجي عكر.

عكر. عكر.

تسألونني لماذا من جديد؟

لأن القلة، مهما كان جهدها، لا تكفي لإصلاح الوطن. لا تكفي مادامت الدولة تبدو تائهة. والدولة العربية تائهة اليوم. كانت دوماً تائهة، لكن توهانها يبدو سُكراً هذه الأيام. ولولا الحياء لقلت إنها تحشش صباح مساء، ثم تكمل عليها في الفجر بجرعة أفيون. تائهة لا هم لنخبتها سوى البقاء، في كراسيها.

"أنا ومن بعدي الطوفان"، انظروا حولكم وقدموا لي استثناءً، لن تجدوا إلا قلة لا تذكر.

انظروا من حولكم وقدموا لي دولة عربية واحدة مدنية.

مدنية فعلاً.

بمؤسساتها أو بقوانينها.

كلها دولة القبيلة، أو دولة المذهب، أو دولة الأقلية، أو دولة الطوائف، أو دولة الحديد والنار.

والطريق مازال أمامك طويلاً شاقاً أيها العربي النليل.

وكما الدولة، يبدو الشارع مخدراً هو الآخر. يترنج المسكين ضائعاً.

يلهث. ويجري، ثم يلهث وأنفاسه منقطعة، أما رقبتة فمعلقة بحبل سميك يشده إلى السماء، اسمه ظاهرة التأسلم الشعبي.

في كل مكان أذهب إليه أجد هذه الظاهرة بكل أشكالها غير العقلانية، وخطابها المهووس بجسد المرأة وبتسفيه الآخر. كأنها لعنة أصابت مجتمعاتنا، وعقولنا من قبلها.

وسوريا ليست استثناءً. سوريا ليست استثناءً.

لكنها، كما مصر، زادت على التأسلم الشعبي بانكفاء أقليتها المسيحية على ذاتها، وهروبها إلى الدين هي الأخرى.

والغريب أنني شعرت بصدمة لذلك. نعم. الغريب أنني شعرت بصدمة لذلك.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

صدمة تشبه إلى حد كبير تلك اللحظة من الذهول الصامت التي أطبقت علي عندما اصطدمت عيناى بالجثة الطافية على نهر الآرا السويسري.

جثة طافية،

منتفخة بلا حياة.

تطفو على نهر،

يجري وهو تائه.

وللحديث بقية!

● "النداء"، العدد ١١٤، الأربعاء ١ أغسطس ٢٠٠٧



جثة طافية! (٢)

إلهام مانع

"مصر تسبقنا في كل شيء"، قالها لي أحد محاورِّي في دمشق.

وأنا رددت من بعده هامة: "في الخير والشر". والخير كان، والشر تلاه.

"ونحن نلحق بعدها"، أكمل الناشط، ثم صمت.

كان يتحدث عن ظاهرة "التأسلم الشعبي". وكان على حق. فسوريا، ككثير من البلدان العربية، أصيبت بعدوى ظاهرة التأسلم الشعبي التي انطلقت، وقبلها حركة الإخوان المسلمين، من مصر. بيد أن علاقة الارتباط بين مصر وسوريا، ثم المحاكاة، لا تقتصر على فترتنا المعاصرة فحسب، بل تعود إذا حددناها بتاريخ قريب إلى نحو قرنين، كان فيها سبق، وكان فيها مَرار.

بدأت عندما احتلت مصر بقيادة إبراهيم باشا (ابن محمد

علي باشا) سوريا في الفترة بين ١٨٣١ و ١٨٤٠. كانت محاولة من قبل

والده لإضعاف الدولة العثمانية، التي لجأت إليه من قبل كي يكسر شوكة الدولة

الوهابية الجديدة في الجزيرة العربية، وقد فعل. وقناعة منه في الوقت ذاته يعود تاريخها



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

إلى عام ١٨١٠، بأن بلاد الشام كانت امتداداً استراتيجياً لمصر، أو على حد قوله: "إن سورية لازمة لسلامة مصر"^(١).

كانت فترة احتلال قصيرة، يمكن النظر إليها وإلى نتائجها من زوايا عديدة، فيها إصلاحات، وفيها فساد وظلم وسخرة. لكني أشير إليها لسبب لفت انتباهي: من أولى الإصلاحات الاجتماعية التي أسس لها إبراهيم باشا كان "فرض المساواة بين كافة عناصر المجتمع وفئاته على اختلاف انتماءاتهم الدينية والاجتماعية، وخصوصاً المساواة بين المسلمين وغيرهم"^(٢).

خصوصاً المساواة بين المسلمين وغير المسلمين، أي المسيحيين واليهود. لماذا كان ذلك ضرورياً؟

كان يفرض على غير المسلم التالي: منع ركوب الخيل، التزيي بزي يميزهم عن أقرانهم المسلمين، الابتعاد عن الطريق إذا صادف غير المسلم مسلماً يسير في الطريق نفسه. كما كانت لا تقبل شهادة المسيحي أو اليهودي (ولا حتى نصف شهادة المرأة التي نعرفها)، مهما علت منزلته، ضد المسلم.

ما فعله إبراهيم باشا أنه ببساطة أصدر قرارات سمحت لغير المسلمين بامتطاء الخيل، ولبس العمامات البيضاء على غرار المسلمين، وأصبحوا سواسية أمام جهات الدولة، وأصبح حكم المسلم والمسيحي واليهودي واحداً. وزاد على ذلك أن وضع صلاحيات كثيرة في يد الخواجة حنا البحري، وجعله فوق الجميع من الموظفين والكتبة. وكان أمراً غير مسبوق أثار غضب المسلمين "الذين كانوا يعدون تمييزهم عن بقية أفراد المجتمع من غير المسلمين أساساً لاستقرار الحياة الاجتماعية"^(٣).

بكلمات أخرى: كانوا يعدون ذلك "التمييز" "أمراً طبيعياً".

لا يعتبرونه "تمييزاً" ضد غير المسلمين. كان "حقاً" لهم من وجهة نظرهم. وكان على غير المسلمين، من وجهة النظر هذه، أن يتقبلوا وضعية "الضيف" في بلاد، هي بلادهم.

بطبيعة الحال أنا لن أطبق معايير حقوق الإنسان، التي وضعنا أسسها القانونية في النصف الأول من القرن العشرين، على ما كان عليه الحال آنذاك؛ لن يكون الأمر سليماً من الناحية المنهجية. لكن الإشارة إلى ذلك التمييز ضرورية، لأننا إلى اليوم نقرأ التاريخ بصورة "انتقائية".

مازلنا نصر على قراءة لا ترى من السطور إلا كلمات متفرقة، ننزعها من سياقها ثم نربطها عنوة، ثم نلصقها على صفحة جديدة، ونقول: هكذا كان تاريخنا.

وملعون من قال غير ذلك.

والمسألة لا تتعلق فقط بقراءة كثير من الحركات الإسلامية السياسية للتاريخ، التي تسقط التاريخ أساساً من حسابها. أحدثكم عن القراءة الرسمية للدولة التي نقرأها في كتبنا ومناهجنا المدرسية. قراءة لا علاقة لها بما حدث على أرض الواقع. تضع غمامة على أعيننا، لونها وردي مريح، وتخلق في نفوسنا تلك القناعة بأننا "كنا في الواقع الأفضل"، وكنا نتعامل مع "غيرنا" بـ"حب وتسامح".

ونحن في الواقع كنا ككل شعوب الأرض، غربية وشرقية، "غير إنسانيين" في تعاملنا مع "الغير".

نحن مثل "غيرنا"!

أليس من الغريب أن يبدو ضرورياً التأكيد على ذلك؟!

لكنه ضروري، لأن هناك هالة من "القداسة" نضعها حول أنفسنا عندما نقرأ التاريخ، وهي "قداسة" تبرز منطق "اللاعقلانية" و"اللاتاريخ" الذي نتعامل به مع الماضي.

عندما نتحدث عن "السماحة" التي عُومل بها غير المسلمين في المشرق العربي قبل قرون مضت، يحلو لنا أن نتجاهل سيرة "المذابح" التي حدثت لغير المسلمين في تلك العصور.

ومثال على ذلك المذبحة التي تعرض لها في دمشق سكان "باب توما" المسيحيون في عام ١٨٦٠. راح ضحيتها أكثر من ستة آلاف شخص، دُبحوا عن بكرة أبيهم في ظرف عدة أيام لا أكثر ولا أقل.

وكنتم أتساءل وأنا أمشي بين أزقة باب توما: لم تبدو لي رائحة جدرانها حزينة؟

لم أعرف إلا عندما بدأت أنبش في الكتب.

المسألة، أعزائي، ليست صدفة.

ليست نتاج سهو وغفلة.

لن تغفل عن ستة آلاف جثة إلا إذا كنت قاصداً.

بل تندرج جوهرًا في صلب واقع الأزمة التي نعيشها.

يوم نقرأ التاريخ قراءة موضوعية منهجية، سنكتشف جذور الخلل في واقعنا، وعندما نفعل ذلك سنتمكن من تحديد سبل اجتثاثها، وزرع غرس جديد لمستقبل آخر. لكننا لم نفعل، لم نفعل ذلك في الماضي، ولا نفعله في حاضرننا.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

إنّ، هذه واحدة من علاقات الارتباط التي جمعت بين مصر وسوريا، كان فيها بعضاً من خير، وكان خيراً مرفوضاً، ثم لأسباب أخرى لا مجال لذكرها هنا، انقلب وجه دمشق والشام الباسم، واضطر إبراهيم باشا وقواته إلى الانسحاب، والعودة أدراجه.

بعد هذا الحدث بقرن وأكثر، جمع التاريخ سوريا ومصر من جديد، هذه المرة ضمن إطار وحدة اختيارية.

وهذه علاقة أسست لدولة الحديد والنار من بعدها.
وللحديث بقية.

.....

"كل ما أردت قوله بسيط: كلنا في الخطيئة إنسان،
وأنا هنا كما أنها هناك،

لكنها لدينا أكبر، لأننا لا نريد أن نراها.

وهي لدينا أعظم، لأنّ الخوف يكمم أفواهنا.

وهي أفضح، لأنّ الصمت لدينا دواؤها.

وأنا يوم نُدرك ذلك سنواجه خطيئتنا... ونحيا.

نحيا كما نريد،

ونحيا بلا خطيئة" (٤).

■ هوامش:

(١) تاريخ دمشق وعلمائها خلال الحكم المصري ١٨٣١-١٨٤٠، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) صدى الأنين، دار الساقى، ٢٠٠٥.

● "النداء"، العدد ١١٥، الأربعاء ١٥ أغسطس ٢٠٠٧

إلهام مانع

من أجل هوية السايح

جثة طافية! (٣)

إلهام مانع

عاد الصمت الصارخ بالغيثان إلى نفسي من جديد. كأني رأيت تلك الجثة من جديد.
جثة طافية. منتفخة بلا حياة، تطفو على نهر، يجري وهو تائه.

جثة اليوم لا علاقة لها بدولة الحديد والنار في سوريا، لا، ذاك موضوع أعود إليه الأسبوع القادم. والعودة إليه ضرورية، خاصة ونحن نراها تحرم أحد أهم رموزها الليبرالية، النائب البرلماني السابق رياض سيف، الذي يعاني من سرطان البروستات، من حقه في السفر والعلاج.
أبسط حقوق الإنسان، لا ينالها الرجل الذي باع الغالي والرخيص من أجل دعوة إلى التغيير التدريجي السلمي في وطنه. لم يبع نفسه ولم يبع وطنه، بل وهب نفسه ببساطة للوطن.

يحب وطنه.

كم منا يحب الوطن مثله؟

ابنه أخفوه، كأنه فص ملح وذاب. وأمواله، وهو رجل الأعمال والصناعي المعروف، جردوه



إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

منها، أفلسوه، بالعربي الفصيح، كي يصمت. ولم يصمت. والسجن عرفوه عليه، وهو مازال يقف على قدميه.

رجل صاحب مبدأ.

كم منا يؤمن بمبدأ اليوم؟

ومبدأه كلفه الغالي والرخيص. وهو لا يبالي، لأنه يعرف أن الوطن يستحق الغالي والرخيص.

وطن سيبدله الحب يوماً ما كما يحبه.

والآن يسعون إلى موته البطيء. يريدون قتل رياض سيف، قطرة قطرة، بطريقة التعذيب الصينية المعروفة: قطرة ماء، ثم أخرى، تتساقط على رأس شخص مقيد، وتتحول مع مرور الوقت إلى مطرقة تنهال عليه حتى يصاب بالجنون. أوه! ما أقسى الإنسان عندما يفقد إنسانيته!

"لن تسافر، رغم أننا نعرف أن لا علاج لمرضك هنا (!!)" تبقى هنا حتى يمتد المرض إلى كل جسدك. وعندما يتمكن منك نتركك تسافر."

أليس هذا هو منطقهم؟

وعندما يكون منطق أجهزة الأمن في الدولة هكذا، يدرك القاضي والداني أنها دولة تعاني من أزمة، وأنها ضعيفة، هشة، ومهزوزة، لأنها تخاف من صوت رجل لا يخاف.

لا، جثة اليوم لا علاقة لها بسوريا.

بل باليمن.

لا بد من الانعطاف إليها، لأن الغثيان عاد يجتاحني من جديد.

عاد لسببين: موت الرجل الذي قال: "لا"، وحال طالباتنا وطلابنا من المبعوثين في المغرب. الرجل الذي أعنيه هو سفيرنا لدى المقر الأوروبي للأمم المتحدة والاتحاد الفدرالي السويسري، ورئيس الوزراء اليمني السابق، الدكتور فرج بن غانم. مات.

خبر وفاته كان صدمة، أضافت همًا إلى قائمة الغم التي أطبقت على وطننا.

الرجل الذي قال: "لا".

قالها وهو رئيس للوزراء، في ظرف كان أغلب من حوله يحني رأسه لـ "صاحب" الدولة،

يطأطأ، ويبتلع الاعتراض، إلا هو.
إلا هو.

قالها، ثم انسحب بهدوء. وعندما فعل ذلك أصبح مثلاً يقتدى به.
"هناك خطوط حمراء لا يمكن لرجل الدولة الذي يحترم نفسه أن يتخطاها"، هكذا كان لسان حاله.

وهو كان يعرف أكثر من غيره أن الإصلاح الجذري لا يتحمل أنصاف الحلول.
وهو كان يعرف أكثر من غيره أن الإصلاح الذي كان ينشده ممكن التحقيق، لو أُتيحت له فرصة بناء دولة المؤسسات.
إصلاح لا يصح معه وجود "صاحب" للدولة، لأن الوطن لم يكن يوماً ملكاً لشخص. وهو كان يعرف ذلك أكثر من غيره. ولأنه أدرك أن فعل ذلك مستحيل، استقال.
أول رئيس للوزراء يستقيل طوعاً واختياراً، ترك الجاه والسلطة والقوة، حباً في الوطن هو الآخر.

كم منا يحب الوطن كما فعل الدكتور فرج بن غانم؟
مات الرجل الذي قال: "لا".
وموته فقد لو كنتم تعرفون.
فأنا لم أعرف عربياً كنتُ له أوساط الخارجية السويسرية مثل ذلك القدر من الاحترام الذي أولوه به.

كلنا من معادن. ومعدنه كان نفيساً. والعالم الخارجي أدرك ذلك.
هذه الأولى. أصابتنني في مقتل مطلع الأسبوع الماضي.
أما الثانية فتُخجل.
تُخجل كثيراً. والخجل يقع على من تسبب في قطع منح خمسين طالبة وطالباً يمنيّاً من طلاب الدراسات العليا في المغرب.

يقطعونها، ويتركون بناتنا وأبناءنا دون معاش. يتركونهم وأسرهم في الغربة بلا مال.
يقطعونها دون مسوغ قانوني، ثم يحملون طالباتنا وطلابنا مسؤولية قطع المنحة. وهم يدرون جيداً أن لا مسوغ قانوني لقرارهم. يعرفون ذلك جيداً، وأن منهم من ترفع اليمن رأسها بهم عالياً.

هل أشير إلى الشاعرة ابتسام المتوكل، التي تحتفي بها المحافل العربية الثقافية، والتي كانت دومًا تحتل المرتبة الأولى في التحصيل الأكاديمي في كليتها؟ قطعوا عليها هي الأخرى منحتها.

وعندما اعترضت هي وزملاؤها، واعتصموا في السفارة، ونقلت قناة "الجزيرة" وقائع الاعتصام، تتعرض للتهديد من مبعوث الأمن في السفارة!

يهددها!

ويقول إنه "سيبكيها دمًا".

ويقول إنه "سينغص عليها حياتها".

ويقول إنه "سيطردها من الجامعة".

كانه لم يلحظ أن "الأمن" مهمته حفظ "الأمن" في أوطاننا، لا زرع الخوف وقتل الأمان في نفوس مواطنينا. كانه لم يلحظ ذلك.

يا عيبة الأمن!

ثم نستغرب بعد ذلك من هجرة العقول لدينا؟

اعذروني على انعطافتي اليمينية. كانت ضرورية كي أبصق بالغثيان على الورق. كانت ضرورية لأننا كلنا في الهم وطن.

وطن هنا، ووطن هناك.

جثة تطفو، وأخرى تنتفخ.

والنهر يجري وهو غائب.

النهر يجري وهو تائه.

آه يا وطن!!

• "النداء"، العدد ١١٦، الأربعاء ٢٢ أغسطس ٢٠٠٧



جثة طافية! (٤)

إلهام مانع



إليك المشهد التالي من قلب دمشق:
المكان: أمام مبنى وكالة الأنباء السورية "سانا".
التاريخ: أحد أيام يوليو الماضي.
الوقت: منتصف النهار، والشمس حارقة تغلي.
شاب يمشي ومعه فتاته. تبدو خطيبته، من
الطريقة الواثقة التي يمشيان بها معاً. وشابان
مرا من جانبهما. وأنا أنتظر المناضل والحزبي
المخضرم كي أجري معه حواراً في إطار دراستي
الميدانية. أنتظره في المكان الخطأ. ولأنه كان
ينتظرني هو الآخر في مكان يبعد نصف
كيلو عن موقعي (أخشى أنني كنت المتسببة
في سوء الفهم الذي حدث)، ولأن هاتفي
النقال أصيب كالعادة في مثل هذه المواقف
بسكتة قلبية، كان من حظي متابعة المشهد الذي
أحكيه لكم.

تحرش أحد الشابين بالفتاة، رشقها بكلمة، وربما بلمسة من يده. وكما
هو متوقع في بلداننا الحارة، قامت قيامة الخطيب. أمسك بخناق الشاب المعتدي ثم بدأ
بضربه. والفتاة تحاول تهدئة رجلها دون جدوى.



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

انتبه عسكريان واقفان لما يحدث. سارعا إليهما. أرادا أن "يحفظا النظام". فماذا فعلا؟
أمسكا بتلابيب الخطيب والشاب المعتدي، وصفعا كلا منهما على وجهه وقفاه. كل
ونصيبه.

صفعة هنا، وضربة هنا.

من منكم جرب صفعة العسكري؟

فجأة استفاق الخطيب والمعتدي، كأنهما كانا في غيبوبة ثم خرجا منها عنوة. وضعوا
غضبهما، وهو يغلي يرتجف، في ثلاجة. وجمداه إلى حين. بقدرة قادر، تبخر الغضب الفائز،
وحمية الشباب والرجولة، تبخر فجأة! ابتلعاه في جوفهما! دفناه في بطن الحوت.

لم أعد أرى له أثراً.

حل محله الخوف.

هل تعرفون معنى الخوف في بلادنا؟

خوف، ذل، ومهانة.

طأطأ الشابان رأسيهما وهما يتلقيان الصفعة الواحدة تلو الأخرى.

طأطأ رأسيهما! وغضب من نوع آخر يغلي في رمقاتهما. غضب آخر، مكبوت، حارق،
ومهين. خفتُ منه وأنا أتابعه. خفتُ من يوم انفجاره بالأصح؛ لأنه لو انفجر سيدفعهما إلى
تمزيق العسكريين إرباً إرباً، بأسنانهما وأظافرهما.

كم منا شعر بذلك الغضب وهو يطأطئ الرأس رغمه؟

أليس من الغريب أني أحكي لكم عن مشهد رأيتُه في دمشق، وأعرف معرفة اليقين أن المشهد
نفسه يتكرر كل يوم في أوطاننا العربية؟ يحدث اليوم، يحدث الآن، ويحدث هنا وهناك، في
مصر، في اليمن، في السعودية، في تونس، في البحرين، وفي السودان... والحسبة تجر ما
بعدها.

كم منا صفعه العسكري، وصمت؟

كم منا رشقه رجل الأمن بإهانة، فبلعها؟

كم منا شتمه رجل المخابرات، فأحنى رأسه؟

كم منا وقف أمام مسؤول الجوازات وشعر بالعرق يتفصد من مساماته؟

وكم منا نهره "مطوع" من رجال "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، فطفر الدمع من عينيه

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

وهو يغص بالخزي؟

كم...؟

كلمة "مواطن" بما تحمله من مضامين لا معنى لها لدينا.

من منا يعرف معنى أن يكون مواطناً في بلده؟

مصطلح "حقوق المواطنة" تبدو بلا معنى لدينا.

ما ليس له وجود، يصعب أن يكون له معنى نفهمه. ألسنم معي؟

حق الكرامة.

الكرامة.

حقني في أن أكون إنساناً، يُعامل باحترام، يُعامل بتقدير.

حقني في أن أتوقع من رجل الأمن، العسكري، المخابرات، والمطوع، أن يتعامل معي كمواطن،

ويجب عليه، أقول يجب عليه احترامه.

نعم، يجب على رجل الأمن احترام المواطن! يجب عليه ذلك.

جزء من واجبه.

أساس وجوده هو حماية المواطن واحترامه.

ليست صدقة. ليس هبة. ليست تكرماً من ولاة الأمر. بل حق. حقك وحقني.

أليس من الغريب أن نستجدي حقنا في الاحترام؟

ومادمت أستجدي حقني في الاحترام، كيف تتوقع مني أن أعمل؟ أن أصنع وطناً؟

أي عسكري بسيط يستطيع أن يبعثر كرامتك في الأرض متى شاء. يتلاعب بها كما تتلاعب

الريح بريشة أو فتلة.

أي عسكري بسيط يستطيع أن يفعل ذلك. وأنت؟ أنت ستقف أمامه عاجزاً مكبل اليدين،

مادمت...

و"مادمت" هذه فيها شجون كثيرة،

مادمت لا تنتمي إلى فئة "المتنفذين الأقوياء"

أو فئة "المال الذي يشتري"،

أو فئة "الحزب"، أو "المذهب"، أو "المنطقة"، أو "القبيلة".

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

"مادمت وأخواتها"،

تحكي قصة أوطاننا العربية.

تلك التي مازالت تمشي عرجاء، لا هي غراب ولا هي طاووس.

دولة "البن بين"، مازالت في "منزلة بين المنزلتين".

لا هي مدنية ولا هي دينية (باستثناء السعودية وأخواتها).

لكنها عسكرية حتى النخاع.

لكنها مخابراتية حتى النخاع.

لكنها قبلية ومذهبية حتى النخاع.

دولة عرجاء.

لا تحب مواطنيها ومواطناتها.

بل تخاف منهم.

تخافهم لأنها تعرف قوتهم متى استفاقوا.

ولذلك ترعبهم.

وتحولهم عامدة إلى نفوس خائفة مكسورة.

دولة يستطيع فيها أي عسكري بسيط أن يصفعك على قفاك، فتنسى امرأتك، وكرامتك، وتغص بخزيك، ثم تطأى رأسك.

ألم أقل لكم، كلنا في الهم وطن؟

وطن هنا، ووطن هناك.

جثة تطفو، وأخرى تنتفخ.

والنهر يجري وهو تائه.

النهر يجري وهو خائف.

• "النداء"، العدد ١١٧، الأربعاء ٢٩ أغسطس ٢٠٠٧

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

جثة طافية! (٥)

إلهام مانع

"مصر تسبقنا في كل شيء".

هل تذكر هذه العبارة؟

قالها لي محدثي في دمشق قبل نحو شهرين. وأنا

رددت من بعده: "في الخير والشر".

وحديثي حينها كان عن علاقة الارتباط التي جمعت

بين مصر وسوريا. جمعهما في القرن التاسع عشر

احتلال مصر لسوريا، ومحاولة إبراهيم باشا

إدخال إصلاحات اجتماعية تتعلق بأوضاع

المواطنين السوريين من المسيحيين، وكانت

محاولة شجاعة. بيد أن القرارات غير

المدروسة التي تلاحقت من القاهرة بعد

ذلك، ومنطق السُخرة، جعلت دمشق تعود

عن تردها، ثم تكسر صمتها، لتعلن رفضها

للضيف، الذي أصبح ثقيلاً بعد نحو أربعين عاماً.

تلك علاقة الارتباط الأولى التي جمعت بين البلدين.

الثانية جمعتهما بعد نحو قرن. نعم بعد قرن. وكان فيها سبق، ثم كان فيها ندب. والأهم،

أنها أسست لدولة الحديد والنار في سوريا. الدولة الأمنية.



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

أما الثالثة، فلم تزد عن اتخاذ مصر، كما عاداتها، موقف الريادة، لكنها على عكس نبضها التنويري في الثلاثينيات من القرن الماضي، انكفأت في السبعينيات والثمانينيات، إلى يومنا هذا، لتتحول إلى قدوة مظلمة، القدوة في التأسلم الشعبي، تأسلم شعبي لا علاقة له بوجه مصر السمح الضاحك، بل تم عجنه بالفكر السلفي الوهابي، ليتجهم الوجه، وتغيب الابتسامة، ويتحول الدين معه إلى "حالة غضب".

وسوريا، كما نحن، من بعدها، ولو بعد حين.

الثانية إذن هي الجمهورية العربية المتحدة التي نشأت من اتحاد سوريا ومصر طوعاً عام ١٩٥٨.

أول محاولة جدية لتحقيق حلم الوحدة العربية، لم يكن لها أن تتحقق لولا إيمان النخبة السورية السياسية بالفكرة. آمنوا بها إلى درجة أنهم وافقوا طوعاً على تقديم كراسيهم فداءً لها. ومن الجميل أن تحلم. لكن الأسى كل الأسى أن ترى حلمك يولد ميتاً، لتستفيق عليه كابوساً.

ليعذرني أصدقائي من الناصريين والقوميين. فحديثي هنا ليس اصطلياً في الماء العكر. لكنه مجرد سرد موضوعي لواقع حدث. وما حدث أن الحلم لم يكتب له النجاح لأسباب عديدة لا مجال لسردها هنا. يكفي القول إن النخبة الناصرية في مصر تعاملت كعادتها مع إخوانها من "العرب" بقدر كبير من الصلافة والتغطرس، وأن دمشق استفاقت من جديد، لتعود عن صمتها، ولتعلن مرة أخرى رفضها للضيف، الذي أسمته ربا لبيتها، احتجاجاً على استبداده عليها بالرأي. فلم يكن من اللائق في رأيها أن تتحول الوحدة إلى احتلال.

حدث الطلاق إذن. لكن المشكلة أن فترة السنتين وبضعة أشهر من الوحدة تركت بصماتها على دمشق.

أول قرار اتخذه الرئيس جمال عبدالناصر كان "إلغاء الحزبية بكافة أشكالها". وهو قرار قتل براعم الليبرالية الديمقراطية البازغة منذ العشرينيات في سوريا، براعم نبتت رغم حمى الانقلابات التي أصابتها.

كتمها، فتوقفت عن التنفس.

مثلاً في ذلك براعم مصر، التي طمرتها الثورة المباركة.

وبعد صدور القرار أصبح تأسيس الجهاز الأمني بمؤسساته (المفرزة) الشغل الشاغل للنخبة الناصرية التي تولت إدارة البلاد في دمشق.

وبدلاً من براعم الليبرالية الديمقراطية، نبتت جذور الشمولية الاستبدادية. جذور بنى عليها النظام البعثي السوري بعد ذلك هيكل استبداده.

هذا لا يعني أنني أحمل مصر الناصرية مسؤولية كل المصائب التي حطت على رؤوسنا.

فهل ننسى أفضال السعودية الوهابية التي صدرتها إلينا، وتفرعاتها البن لادنية؟

كما أن فكرة القومية العربية لم تأت منها (أعني من مصر)، بل خرجت من رحمي سوريا ولبنان. جاءت رداً على التطرف التركي، تماماً كما طفرت بدايات الإسلام السياسي كرد فعل على العلمانية التركية وإلغاء الخلافة العثمانية.

ولست ضد فكرة "العروبة" كثقافة، فأنا عربية بعد كوني إنساناً، ولغتي هي أمي. لكني أنفر من التجسيدات السياسية لهذه الفكرة، ناصرية كانت أو بعثية، وتحولاتها (أخشى أن لا مفر من قول ذلك) الفاشية، وأعتبرها واحداً من أهم أسباب المأزق الذي نعيشه اليوم، خاصة عندما يقوم بتطبيق الفكرة مجموعة من العسكر، لم يفهموا من الفكرة سوى حروفها، لكن المعنى لم يفقهوه قط.

أضف إلى ذلك أن القومية العربية لم تأخذ من العلمانية إلا قشورها. لم تطبقها فعلاً. فلو فعلت ما تركت قوانين الأحوال الشخصية (تلك المتعلقة بالمرأة حتماً) تخضع لأحكام الشريعة. عمدت إلى تطوير كل قوانين مؤسساتها، ولم تجد ضيراً في ذلك، إلا عند العائلة والمرأة. وقفت أمامها، حدقت فيها، ثم هزت كتفها، ولسان حالها: "علامَ وجع الرأس؟". كلهم فعلوا ذلك: مصر الناصرية، والعراق البعثي، وخصمه الشقيق سوريا البعثية.

وأظنكم توافقونني على أن الكثير من واقعنا كان سيتغير لو أننا ركزنا على الدولة الوطنية في كل بلد عربي بعد استقلاله، أو نشأته، ثم وضعنا قواعد متينة لمؤسساتها، ثم طورنا من قوانينها وفقاً لمعايير مدنية تحترم الإنسان، ثم أسسنا الليبرالية ديمقراطية علمانية فيها. ووضعنا كل طاقة الصراخ فينا في العمل والتنمية.

كان الكثير سيتغير، لو أننا ركزنا بالفعل على الإنسان، وبنينا كي يبني وطنه.

لكننا لم نفعل، يا للحسرة!

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

وبدلاً من أن نبني الوطن، زرعنا بذور الهزيمة، تلك التي نبتت في نفوس أجيالنا. ومعها تركنا الساحة مفتوحة لطحالب التأسلم الشعبي.

نهرب من الهزيمة إلى غيبوبة، نسميها -جهلاً- ديناً.

وسوريا كغيرها من الدول العربية دخلت في دوامة هذه الغيبوبة.

سوريا كغيرها من الدول العربية لحقت بركاب مصر في تأسلمها الشعبي.

سوريا كغيرها من الدول العربية لجأت إلى الدين كسلاح سياسي، أظنه سيرتد إلى صدر نخبتها لو لم تستفق.

لكن هذا موضوع شائك، أعود إليه في مرة مقبلة، وحتى ذاك الحين كل رمضان وقلوبكم عامرة بالمحبة والأمل.

● "النداء"، العدد ١٢١، الأربعاء ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٧



جثة طافية! (٦)

إلهام مانع

في التاسعة صباحاً من كل يوم كنت دوماً في الطريق. أستقل أول تاكسي أراه من ساحة باب توما في قلب دمشق، وأتوجه إلى مواعي في الصباح مع شخصية سورية من شخصيات المجتمع المدني، الحقوقي، أو الثقافية.

كل يوم.

وفي التاسعة صباحاً من كل يوم كان صوته يصدح من مذياع التاكسي.

أسمع صوته من موقعي.

وأسمعه أيضاً يجلس من نوافذ سيارات مارة بجانبنا.

أسمعه يتحدث، وأجفل.

أتمعن في حديثه، وأرقب سائق التاكسي، أياً كان، وهو يتابع الكلمات وهي تتلاحق من حنجرة الصوت الصاح، يمتصها، يتشربها، ويهز رأسه بين الحين والآخر مؤيداً.

وفي كل مرة، عند لحظة خروجي من التاكسي كنت أسأل السائق لمزيد من التأكد: من الرجل؟



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

يرد مندهشاً وبثقة: شيخنا النابلسي.

شيخنا النابلسي؟

شيخنا النابلسي ليس كشيخنا الزنداني ذي الفكر السلفي.

ليس فعلاً، فالزنداني جمع بين فكر الإخوان المسلمين ولقحه بالفكر الوهابي عند تحوله إلى السعودية، ليخرج لنا بوليد اسمه "الجهاد". وهو "يجاهد" إلى يومنا هذا إذا لم تلاحظوا، وليت أمننا اليمني يوجه أنظاره بعيداً عن المتقاعدين قليلاً ويركز أكثر على "جهاد شيخنا الديني"، يمارسه من خلال جامعة الإيمان، التي كما تعلمون تدور حولها ألف علامة استفهام عن نوعية الفكر الذي تغسل به أدمغة طلابها.

شيخنا النابلسي لا أعرف -بعد- موقفه من العنف، لكننا نعرف أن شيخنا الزنداني لم يخرج علينا إلى اليوم بفتوى تدين بصراحة الأعمال الإرهابية التي يقوم بها أسامة بن لادن.

سلمان العودة فعلها، وهو صامت. والصمت، كما تعرفون، علامة الرضا. نقولها مبتسمين عند حديثنا عن العذراء حين زواجها، وهي وجلة المسكينة، وأقولها عابسة حين حديثي عن شيخ يقول: إنه ينطق باسم الله، كأنه الله، ويصمت بعناد عن نبذ العنف والكرهية، تنزه الله سبحانه عما يقول.

لا. شيخنا النابلسي ليس كالزنداني.

لكنه كالزنداني داعية.

يظن هو الآخر أنه يدعو إلى الله.

وكنت أظن الله هو الحب والخير والجمال.

يا رحمن، لم لا نراك في أصواتهم؟

وفي الواقع لا أرى داعياً لمهمة الداعية. لكنها أصبحت اليوم من مستلزمات "الواقع العربي المتخلف"، فهي وثقافة الاستهلاك رديفان. يخرجون علينا من تحت الأرض، من وراء السحاب، ومن كل شجرة، وكل يدعو بطريقته. ويقول إنه يدعو إلى الله.

لكننا إذا ما تمعنا في خطابهم نجدهم لا يحدثوننا عن الله.. انتبهوا أيها السادة. هم لا يحدثوننا عن الله. بل يحدثوننا عن نظام اجتماعي هم وضعوا أسسه، ثم يصرون علينا

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

بالقول، "لكن الله هو الذي يقول".

شيخنا النابلسي واحد من هؤلاء، لأنه يتحدث عن نظام اجتماعي، ولا يزيد عليه كما يفعل شيخنا الزنداني بنظام سياسي.

فلو تحدث عن نظام سياسي ما سمحت له السلطات السورية بالحديث من أساسه، أليس كذلك؟ لا. شيخنا النابلسي يحدثنا عن نظام اجتماعي محدد، مهووس بجسد المرأة، ورؤية للعالم تتسق مع فكر الإقصاء والكرهية، ودعوة إلى الفقراء بالقبول بواقعهم المرير.

ثلاث عناصر تحدد ملامح الفكر الذي يدعو إليه: المرأة، الآخر، والرضوخ للأمر الواقع. المرأة هنا ليست كياناً إنسانياً مساوياً للرجل. ليست شخصاً مستقلاً قادراً على اتخاذ قراراتها بنفسها دون حاجة إلى الوصاية. المرأة ليست إنساناً.

بل تابع. تابع تجب الوصاية عليه. تابع يجب عليه الخضوع وتقبل الأوامر. وتابع تجب تغطيته. والذكر بالطبع يتولى مهمة التغطية، تماماً كما يتولى في النهاية مهمة تجريدها من الغطاء.

لاحظوا مضامين كل الخطابات الدعوية التي خرجت علينا منذ السبعينيات، وستجدونها دائماً تركز على المرأة. مهووسة بالمرأة. كأنها لا تحلم ليل نهار إلا بالمرأة. مسكينة هذه المرأة.

صوت شيخنا الصادح كان يصرخ في أحد خطبه "هؤلاء الفتيات اللاتي يمشين في الشوارع كاسيات عاريات، أليس لهن أخوة، أزواج، أليس هؤلاء مسئولين عنهن!" وسائق التاكسي يهز رأسه مؤيداً.

ثم الآخر. العنصر الثاني في خطاب الشيخ.

والآخر هنا تحديداً هي أوروبا.

أدهشني شيخنا وهو يعيب في أحد خطبه على من يعود من أوروبا ويمدح فيها وفي نظامها، ويصرخ "ألم يروا فيها الفساد والزنا واللواط وتبادل الزوجات وزنا المحارم!"

في الواقع بهت وأنا أستمع إلى هذا الحديث.

الفساد موجود في كل مكان، لكنني أظنه معششاً في نفوسنا، وأدمغتنا، وأنظمتنا العربية أكثر. هل سمعتم من امتدح الرشوة وأعتبرها "شطارة" في قنواتنا الفضائية؟ أو تظنوني

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

أتجنى هنا؟ ثم هل رأيت من يرث البلاد ومن فيها هو وأسرته وحاشيته وبطانته؟ أم أنني أكذب فيما أصف؟

لكن لا. شيخنا يحدثنا عن فساد من نوع آخر. فالفساد الأول من مستلزمات بقاءه في المذيع. أما الثاني فهو ما يضيق به.

لكننا نعرف أن الزنا والمثلية الجنسية (اعذروني فتسمية اللواط المحايدة هي المثلية الجنسية) وزنا المحارم، يا لحرقة الكبد، موجودة هنا كما أنها موجودة هناك.

كلنا يدري بذلك، ويصمت عنه. وفي حالة زنا المحارم فإن صمتنا عنها جريمة.

هل أفترى فيما أقول؟

أما مسألة تبادل الزوجات، فمع احترامي الشديد لمعلومات شيخنا الفاضل، فلا أظن أن الغالبية العظمى من الشعوب الأوروبية، وهي متنوعة جداً على فكرة، تُقبل على هذه المسألة.

كأننا شعوب خارج نطاق التاريخ!

شيخنا يحدثنا ضمن نطاق ثنائية لا توجد إلا في ذهنه: "نحن"، و"نحن" هنا شعوب طاهرة خالية من العيوب، أو على الأقل تسعى لفعل ذلك جاهدة. والمسكينة انقطع نفسها وهي تفعل ذلك.

و"هم". و"هم" هنا هي أوروبا، هي الغرب، وهي أمريكا. وهؤلاء، ضمن هذا المنطق، يسود لديهم الفساد الأخلاقي، ينخر فيهم. ولذا يتوجب علينا أن "نحمي أنفسنا منهم".

و"هم"، في الواقع، مثلنا "نحن".

مثلنا، بشر.

مثلنا! لا يزيدون علينا إلا بنظام يحمي حق الإنسان فيه. نظام وضعي ثبت لكل من عاش تحت ظله أنه الأفضل إلى يومنا هذا. لم يتوصل الإنسان إلى نظام أفضل منه.

هذا لا يعني أن الأخطاء لا تحدث.

هذا لا يعني أن الظلم لا يحدث.

وهذا لا يعني أن اليمين المتطرف في البلدان الأوروبية لا يسعى هو الآخر إلى تقسيم العالم إلى معسكرين، "نحن" و"الأجانب".

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

لكن القانون هو الحكم بيننا.

القانون هو حامينا.

وهو سيحميني تمامًا كما سيحمي غيري. منطق الخيار والفقوس الذي نعرفه ونلتسح به مرارًا في مجتمعاتنا العربية غريب في دولة يحكمها القانون.

ليت شيخنا يدرك ما يقول.

أما الثالثة، فهي موجعة. لأنك إذا كنت تدعو إلى الله حقًا، فعيب عليك أن تدعو إلى الظلم. ودعوته كانت إلى قبول الظلم.

خطابه كان موجهاً إلى الفقراء.

إليهم تحديدًا.

يقول لهم، لا تحسدوا الغني على غناه. واعتبروا أن فقركم نعمة. لأن "الغني ستكون مساءلته أصعب يوم القيامة". ما أجمله من عزاء! الغني سيكون موقفه صعباً يوم القيامة! أما الفقير فهو بالتأكيد سيكون سعيداً جداً يوم القيامة! وإلى أن يحين موعد يوم القيامة، يكون الفقير قد شبع فقراً.

أي منطق هذا الذي يتحدث به؟

لم لا يقول له "لا تقبل بوضعك، وغيره". لم لا يقول له "خلقك الرحمن حرّاً، فاعمل وكن شيئاً".

لم لا يقول له "بإرادتك، بعملك، وتعليمك أولادك، ستكون قادراً على تغيير وضعك".

لن يقول ذلك، والدهر بيننا.

أتدرون لماذا؟

لأنه خطاب إسلامي مؤسسي، يدعم السلطة الحاكمة.

ولأنه كما السلطة الحاكمة، كما نحن، يدري أنه حتى لو جاهد الفقير وعمل ودرس وسعى لتغيير وضعه، فإنه في ظل الواقع العربي الذي يعيشه لن يواجه سوى جدار من الحديد الصلب، سيدمي أظافره، ويعيده على أدراجة خائباً. بكلمات أخرى، سواء عمل أو لم يعمل، سيبقى حاله كما هو.

فالعربي في بلداننا العربية (باستثناء بعض دول خليجية) يحتاج إلى مائة وأربعين عاماً

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

كي يضاعف من دخله. الآسيوي يفعل ذلك في عشر سنوات. هذا ما توصل إليه تقرير التنمية البشرية العربي لعام ٢٠٠٢.

ولأن الصوت الصاوح من المذيع، كما السلطة الحاكمة، كما نحن، يعرف ذلك جيداً، كان من الحكمة أن يعزي الفقير بنعمة الفقر، لأن الغني، يا للمسكين، سيعاني أكثر يوم القيامة. عزاء يغطي على عورة النظام القائم.

إذن، هي ثلاث عناصر تحدد مضمون خطاب الدعوة القائم. ورابعهم فكر العنف والجهاد. يجتمعون معاً ليرسموا ملامح واقع التخلف الفكري الذي نعيشه.

واقع يجعل من المقبول أن يصدح مثل هذا الصوت كل يوم في التاسعة صباحاً من المذيع في شوارع دمشق. تماماً كما تصرخ به أصوات تضج بها الأشرطة والمساجد في اليمن ومصر والكويت...

تصرخ، لتتلقى الكلمات نفوس مألى اليأس قلوبها، فتعب منها عباً، حتى تصدق. وتقول إن الشيخ ينطق بقول الله.

والشيخ يرفع قوله في وجه من يجادله، يقول له: أنا الحق، فحذار من التفكير. والله، وهم أدرى، لا علاقة له بما يقولون. ليتهم يخجلون.

● "النداء"، العدد ١٢٤، الأربعاء ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٧



السياسة الخارجية السعودية:

"لا تنسوا، نحن في خندق واحد!"

إلهام مانع



أشارت التصريحات التي أطلقها العاهل السعودي قبل انطلاق جولته الأوروبية مستهل الشهر الجاري، دهشة بعض المراقبين. اتهم الملك عبدالله بريطانيا بأنها تجاهلت معلومات أمنية زودتها بها الرياض، كان من الممكن أن تفشل أول عملية إرهابية تعرضت لها لندن. غير أن قراءة متأملة لتلك التصريحات تظهر أنها لا تهدف إلى إحراج بريطانيا، بقدر ما تسعى إلى إعادة ضبط بوصلة السياسة الخارجية السعودية.

لن تبدأ زيارة دبلوماسية هي الأولى من نوعها منذ عشرين عاماً بإهانة مضيفك!

بيد أن الأمر بدا هكذا للوهلة الأولى.

فالملك عبدالله بن عبدالعزيز، الذي بدأ في

الثلاثين من أكتوبر الماضي زيارة رسمية

لبريطانيا هي الأولى من نوعها لعاهل سعودي منذ

عقدين، استبق جولته بانتقاد غير متوقع.

دعا الملك عبدالله في حديث مع هيئة الإذاعة البريطانية "بي. بي. سي"

في التاسع والعشرين من أكتوبر، بريطانيا (وجميع الدول) إلى "عدم التساهل في محاربة



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

الإرهاب، واليقظة الدائمة ليلاً ونهاراً لمحاربة الإرهاب مثلنا في السعودية حيث نتابع الإرهاب ليل نهار".

لعل صيغة هذا التحذير لم تكن كافية. لذلك عندما طلب منه جون سمبسون، كبير محري الشؤون الدولية في "بي. بي. سي" -الذي أجرى معه اللقاء- أن "يسمي الدول التي يعتقد أنها لا تحارب الإرهاب بفعالية"، جاء رد الملك السعودي لا موارد فيه: "أغلبها بما فيها إنجلترا. نحن أرسلنا للإنجليز بصفتهم أصدقاء لنا، بعثنا لهم برسالة قبل وقوع أول عملية إرهابية هناك، ولم يعملوا بها، وصار لديهم إرهاب".

بطبيعة الحال، ردت بريطانيا فوراً، حيث نفت بشكل قاطع أن تكون قد تلقت معلومات بهذا المعنى، لا سيما أن دلالة التصريح تفيد بأنها كان من الممكن أن تعوق تنفيذ التفجيرات الإرهابية التي تعرضت لها لندن في السابع من يوليو عام ٢٠٠٥، ولم تفعل! ولفتت إلى أن لجنة الاستخبارات والأمن في البرلمان البريطاني قد حققت في الأمر، ولم تعثر على دليل عن ورود مثل هذه التحذيرات من جهاز الاستخبارات السعودي.

السؤال إذن: لم استبق العاهل السعودي الزيارة بمثل هذا التصريح؟

المؤكد أنه لم يكن يرغب في تعكير علاقات المملكة مع بريطانيا. ذلك أن البيان السعودي الحكومي الذي صدر بمناسبة جولة الملك الأوروبية، والتي شملت أيضاً كلاً من ألمانيا وإيطاليا، نص على أن هدفها "تطوير العلاقات الثنائية بين السعودية وهذه الدول، وسبل تعزيزها في المجالات كافة"، وتعزيز العلاقات لا يتم عبر اتهام الدولة "الصديقة" بالتقصير والإهمال والتسبب في مقتل مواطنيها.

لا. الأخرى أن الهدف كان إيصال رسالة، مفادها أن المملكة وحلفاءها في الغرب يقفون في خندق واحد. خندق يجمع بين مصالح الجانبين لجعلها مشتركة، ويذيب خلافاتهما، وهي كبيرة، ليعيدها من جديد إلى خانة خلفية تتراكم عليها أتربة النسيان.

أعادت تلك الرسالة بوصلة السياسة الخارجية السعودية إلى الاتجاه الذي اتسمت به خلال الحرب الباردة، وحددت بوضوح مسارها من جديد.

السياسة الخارجية السعودية خلال الحرب الباردة

اتخذت السياسة الخارجية السعودية خلال الحرب الباردة مسارين متوازيين: المسار

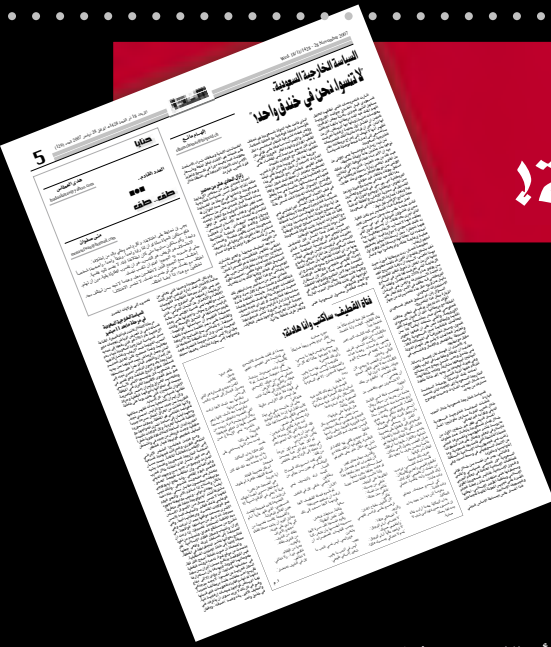
إلهام مانع

من أجل هوية السامع

الديني وتوأمه البراغماتي.

المسار الديني ظهر عبر شكلين: الأول: من خلال قيام السعودية باتخاذ عدة خطوات مدروسة لنشر مفهومها وتفسيرها الديني للإسلام في العالم. وكمثال على هذه الخطوات: الحملة الناشطة التي قامت بها السعودية، ومازالت، في الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفييتي في وسط آسيا، وفي إندونيسيا وماليزيا.

والثاني: عبر عن نفسه من خلال تولي السعودية دور الحامي السياسي والمالي للمنظمات الإسلامية العاملة في العالم العربي والدول الإسلامية، فتأثير السعودية القوي وسيطرتها على منظمات مثل رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي، أعطتها القدرة على تجبير المعونة المالية للجماعات والجمعيات الإسلامية.



فتاة القطيف؛ سأكتب وأنا هادئة!

كتبت قبل عدة أيام مقالاً عن فتاة القطيف. كتبته وأنا غاضبة. غاضبة جداً. ولأنني كنت كذلك، كنت أهدر بالكلمات، دون تفكير.

لعت، وكدت أشتم، أفرغت غضبي، ثم هدأت. وعندما هدأت قرأت ما كتبته في صباح اليوم التالي. وخجلت.

وجدت أن الغضب لا يجدي، لأن الكلمات معه لا تعني الكثير. تصبح جوفاء، خفيفة، لا وزن لها. قلت لنفسي: "بالطبع من حقا أن تغضبي".

ألا تشعرون معي بالغضب من أجلها؟

أن تغضب فتاة
في الثامنة عشرة من
عمرها من سبعة رجال، أربع عشرة
مرة، ثم يحكم عليها القضاء السعودي بالسجن

إلهام مانع
من أجل هوية إسلامية

هذا المسار عكس ببساطة الأساس الديني الذي قامت عليه الدولة السعودية في تحالف المؤسسة الدينية الوهابية مع العائلة الحاكمة، ووفر غطاء لشرعية النظام السياسي داخل المملكة، والأهم أنه ساعدها على تولي دور القطب الموازي والهادم لفكر "العروبة القومي"، الذي كان يدعو صراحة إلى القضاء على نظامها المتحالف مع الولايات المتحدة.

دورها هذا كان ضرورياً خلال فترة الحرب الباردة، لاسيما أن الدول العربية التي تبنت الفكر القومي "العلماني" (مع التحفظ على هذا المصطلح، باعتبار أن معظم تلك الدول أخذت من العلمانية قشورها، ولم تعكسها واقعاً فعلياً في سياساتها، خاصة في ما يتعلق بقوانين الأحوال الشخصية، أو القوانين الخاصة بالحريات المدنية) كانت تسير عادة في قطب الاتحاد السوفييتي. في المقابل، فإن المسار البراغماتي في السياسة الخارجية السعودية لا يختلف

سنة أشهر والجلد مائتي جلدة، حري بأن يجعل الدماء تغلي في عروقها.

لكن أن يسعى القضاء السعودي إلى التغطية على فضيحة حكمه، التي أشارت الدنيا وأقعدتها، بتدمير سمعة الفتاة، واتهامها في شرفها، والافتراء عليها بما لم تقله، فإن الغضب يتحول إلى بركان، خاصة ونحن نعرف ما يعنيه ذلك لفتاة دُمركيانها.

نعرف ذلك جميعاً.

قلت ذلك لثفسي، ورددت: "بالطبع اغضبي واهدري كالبركان". "من حقك أن تغضبي. لكن إياك.. إياك الحديث وأنت غاضبة. تحدثي وأنت هادئة".

"كي أسمع صوتك، تحدثي وأنت هادئة".

دعونا إذن نبدأ من حيث بدأت الحكاية.

بدأت الحكاية عندما أرادت فتاة أن تسترد صورة لها لدى شاب لا يمت لها بصلة. صورة.

مجرد صورة.

إطار مربع يضم وجهاً ضاحكاً بيتسم.

صورة ليس فيها ما يسيء إليها. لا تجرحها. هكذا أكد كل من رأى تلك الصورة.

فالوجه ليس فيه ما يعيب. والضحكة ليست تهمة ندخل بسببها السجون.. إلا في السعودية ربما.

ما علينا.

المهم، أنها رغم ذلك كانت تريد استرداد تلك الصورة بأي شكل من الأشكال. بأي ثمن. تريد صورتها الصغيرة. تريد استردادها. كانت خائفة.

هل نلومها على خوفها؟

من يعيش في مجتمع مثل المجتمع السعودي، ومثله مجتمعات شبه الجزيرة العربية، وعلى رأسها اليمن، يعرف لم كانت الفتاة خائفة.

ذاك مجتمع تكفي فيه الكلمة أو النظرة، يكفي فيه أن تقف فتاة مع شاب في مكان عام،

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

كثيراً عن أية دولة أخرى، فالهدف منه أساسا الحفاظ على مصالح الدولة أمنياً وسياسياً. ولذا كان لافتاً أنه كلما تعارضت مصالح الدولة الوطنية مع الاعتبارات الدينية، كانت الدولة السعودية تختار دوماً تأمين مصالحها الوطنية.

ضمن إطار هذا المسار، كان التحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة، الذي اعتبرته الدوائر السياسية الحاكمة حجر الأساس في ترتيبات الأمن الوطني للبلاد. بحثت السعودية إذن عن التزام أمريكي بالدفاع عنها من أي اعتداء لقناعتها بأن حماية المملكة تقع في الحقيقة خارج حدودها وخارج أي إجراء إقليمي خليجي. ووافقت الولايات المتحدة على لعب هذا الدور لأن استقرار السعودية مهم لأمن الخليج ولثروتها النفطية، ولأنها كانت حليفاً يمكن الاعتماد عليه في المواجهة التي كانت قائمة خلال الحرب الباردة مع العدو الشيوعي.

وعليه، فمقابل حصول السعودية على الضمانات الأمنية وصفقات شراء الأسلحة، فقد ضمنت هي الأخرى تدفق النفط وبأسعار معقولة، كما لعبت دوراً في توسيع وتعزيز الإجراءات

حتى تتهم في شرفها!

والشرف معناه هناك كبير.

لأن قطرات الدم تتحول إلى نصل سكين حاد
يجز رقبتها جزاً لو هامت حولها مجرد شبهة.

ولذا تشب الفتاة منذ نعومة أظافرها على
الخوف.

"خافي من جسدك".

"خافي من نفسك".

"خافي ممن حولك".

"خافي".

"لأن الخوف مفتاح الأمان".

ترضع على أوامر النهي والزجر.

"لا تضحكي هكذا".

"لا تبتسمي أمام الرجال".

"واخفضي صوتك".

"لا ترفعيه عالياً أمام الرجال".

"ثم لا تحركي جسدك هكذا. حبذا لو لفضت
نفسك كالشبح في قماشة حتى تغيب.. تغيب
كالضباب".

"قضي وأنت مضمومة، مزمومة، عابسة،
متجهمة، صامتة، ثم لا تحدقي في من حولك.
اكسري عينيك، وانظري إلى الأرض".

"ليتك تتحولين إلى فقاعة، تذوب في الهواء
فلا نراها".

هل تبدو تلك الأوامر مألوفة عزيزاتي؟

حتى لمن عاشت مثلي في بيئة كانت تقول لها
إن ما يقوله المجتمع لا يعني الكثير بالنسبة
لها، فإنه ترك بصمته على نفسي.

"أنت حرة، فكوني كما تريدن"، تلك الرسالة

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

الأمنية الأمريكية في المنطقة خلال فترة الحرب الباردة.

زلزال الحادي عشر من سبتمبر

أحداث الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية مثلت زلزالاً، خلخل أسس السياسة الخارجية السعودية، وأدخلها في مرحلة من الضبابية وعدم الاتساق. كانت مرحلة عدم التوازن قد بدأت فعلاً قبل الحادي عشر من سبتمبر، بعد تغير المعادلة الدولية مع انهيار الاتحاد السوفيتي، وغياب العدو "المحدد" عن الأفق، لتتبدى تداعيات دعم "الإسلام السياسي"، وبروز وجهه "الجهادي". كما أن العائلة المالكة، والأهم القوى الدينية الناشطة السعودية، بدأت تظهر تمللاً واضحاً من استمرار بقاء القوات الأمريكية في أراضيها، بعد أن قامت مشكورة بإخراج قوات صدام من الكويت.

لم يعد الحليف صديقاً. والعدو المشترك اختفى، لتظهر التناقضات الواضحة بين الجانبين،

بأن تشعر، كما يجب للفتيات الصغيرات أن
يشعرن.

عزيزاتي، ليس في الحب ما يعيب.

ليس في الحب ما يعيب.

شعور إنساني طبيعي.

ظاهر بريء.

جميل.

كالخير.

لكن مجتمع البداوة هو الذي يحول الجمال

إلى قبح، والحب إلى دنس.

ونلومها بعد ذلك لأنها أرادت استرداد

صورتها!

ونلومها بعد ذلك، لأنها وهي التي اغتصبت

وانتهكت من سبعة رجال أربع عشرة مرة، وجدت

من الصعب عليها أن تحكي فجيعتها!

التي كان يرددها عليّ أبي دون أن يدري، لأنه
أحبني وهو فخور. لأنه آمن بي.

لم أكن "عيباً"، لم أكن "جرحاً في وجهه"،
ولم أكن "هماً يحسن أن نحيله إلى الزواج حتى
نتخلص من ثقله".

لكنني كنت أسمع ذلك الصراخ الخائف في
عيون من حولي من النساء.

كنت أراه والخوف في رمقاتهن.

"خافي. خافي. لأن في الخوف الأمان".

ثم نلوم فتاة القطيف لأنها أرادت أن تستعيد
صورتها!

نلومها لأنها سعت إلى ذلك سعيًا.

خائفة، مرتجفة، ترتعش.

تلعن "طيش الطفولة".

وتلوم نفسها ألف مرة لأنها سمحت لنفسها

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

بين دولة دينية تدعم تفسيراً للدين، استخدمته جماعات متطرفة لشن حرب على "الصديق الكافر"، وقوة عظمى، أصبحت القوة الوحيدة في العالم، ولأنها كذلك بدأت تتصرف بما يتماشى مع هذا الموقع.

الحادي عشر من سبتمبر جاء ليظهر تلك التناقضات واضحة سافرة لأول مرة. ولأنها تناقضات جوهرية، عايشَت المملكة فترة صعبة، لم تعرف خلالها كيف تضبط بوصلة سياستها الخارجية، أو إلى أي اتجاه تحيله، لاسيما وأن إدارة الرئيس بوش بدأت تتحدث، بجدية غريبة، عن ضرورة "نشر الديمقراطية" في البلدان العربية، لمواجهة خطر التطرف، وتغمرز طرف المملكة علانية.

ولم تكن السعودية وحدها التي تعاني من حالة الاختلال تلك. إدارة الرئيس بوش كانت تمر هي الأخرى بمرحلة انتقالية. فالهجمات الإرهابية أرغمتها على الخروج من سياسة الانكفاء

يشوه سمعة الفتاة كي يداري على عورته.

"مجتمع الأعراف

يقتات من الخوف..

من الخوف يقتات..

وكهنوت..

يحيا من الظلام.

فكوني نوراً.. ولا تخافي.

لا تخافي،

لأن في الخوف احتضار".

تأخرت في الإبلاغ عن الجريمة!

نلومها على ذلك!

ليت من لامها يستحي على نفسه.

لكن هكذا بدأت الحكاية.

بدأت مع الخوف.

أما ما حدث بعد ذلك فقد كان فضيحة.

لم تكن فضيحة الفتاة.

فتاة القطيف طاهرة، لم تقترب أية

جريمة.

هي الضحية، هل تعاون؟

لم تفعل سوى أنها انتهكت عرفاً لا يعني في

الواقع شيئاً إلا لمن يؤمن به.

الفضيحة كانت فضيحة القضاء السعودي،

الذي ظهر عارياً أمام عيون العالم المدهوشة.

والفضيحة كانت فضيحة من يحاول اليوم أن

إ. م.

● "النداء"، العدد ١٢٩، الأربعاء

٢٨ نوفمبر ٢٠٠٧

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

والانعزال عن الشأن الدولي، الذي شاب مواقفها في السنة الأولى من حكم الرئيس جورج بوش، وأجبرتها على إعادة تقييم سياساتها في الشرق الأوسط. وكانت محصلة التقييم أن سياستها "الواقعية"، والقائمة على دعم أنظمة مستبدة لكنها "صديقة"، لا تتماشى مع المصالح الأمريكية البعيدة المدى، وأن ترك المنطقة لحكامها لن يؤدي إلا إلى انتشار موجة التطرف فيها، وتحولها إلى بؤرة للأزمات، بعضها سيتم تصديره إلى الولايات المتحدة.

السياسة الخارجية السعودية في مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر

مرحلة الاختلال كانت رغم ذلك قصيرة. القناعة السائدة هي أن تعرض الرياض لهجمات مايو الإرهابية عام ٢٠٠٣ هو الذي دفعها إلى تحديد مسار السياسة الخارجية السعودية تجاه دعم الحرب الدولية ضد الإرهاب، والمشاركة فيها بفعالية. وهذا صحيح. لكن العامل الحاسم الذي جعل الرياض تجد صوتها من جديد كان إيران والتغير الذي طرأ على سياستها الخارجية بعد وصول الرئيس أحمد نجاد إلى السلطة. فطوال تاريخ المملكة، وهو قصير في عمر الشعوب، كان هاجسها الأمني الأساسي هو خطر القوى الإقليمية الكبرى في المنطقة، وبالتحديد العراق وإيران (مصر الناصرية نجحت في احتوائها بأموالها النفطية وحركة الإخوان المسلمين)، التي عملت دوماً على خلخلة نظامها السياسي، كل لأسبابه.

ولأن إيران الشيعية بدأت تظهر مخالبتها الثورية من جديد مع الرئيس أحمد نجاد، ولأنها اتخذت من العراق المحتل مسرحاً جديداً لنفوذها المتنامي في المنطقة، وحولت سوريا ومعها لبنان إلى ساحة أخرى للمواجهة مع الأنظمة السنية العربية، ولأن الولايات المتحدة اعتبرت إيران الساعية لامتلاك قوة نووية خطراً حقيقياً، وجدت الرياض من جديد في واشنطن الحليف الطبيعي لمواجهة الجار الخطير.

ومع هذين العاملين؛ الخطر الإيراني الشيعي الثوري، والحركات الجهادية الساعية إلى الإطاحة بالعائلة المالكة، تحدد مسار السياسة الخارجية السعودية واضحاً، يشبه إلى حد كبير المسار الذي اتخذته خلال الحرب الباردة، ويجمع من جديد بين وجهيه الديني والبراغماتي، وإن اختلفت طبيعة "العدو". فالعدو اليوم "إقليمي"، وله طابع أيديولوجي يتمثل في مضمونه "الشيعي"، ولذلك تجب مواجهته بمضمون مقابل "سني"، يتم دعمه بالمال، والسلاح إذا استلزم الأمر. والعدو اليوم أيضاً "جهادي دولي"، وتجب مواجهته بجهود مشتركة لنشر "أيديولوجية

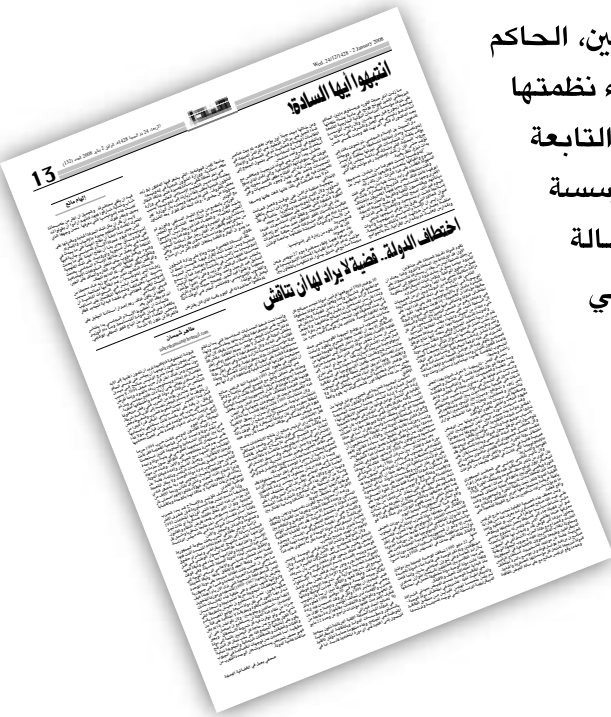
دينية غير متطرفة"، لكنها لا تمس بحال من الأحوال الأساس الوهابي لذلك الفكر. والحليف كما الأمس هو الولايات المتحدة، وبريطانيا تبعاً، وهي الأخرى حسمت موقفها بعد أن أدركت، وهي محرجة، أنه لا مفر من سياستها "الواقعية"، في دعم الأنظمة المستبدة "الصديقة"، إذا أرادت أن تخرج من مستنقع العراق، وتُحجَم من نفوذ إيران، وتتجنب وصول القوى الإسلامية "غير الصديقة" إلى السلطة. إدراك "واقعي" جعلها تبتلع دعواتها لنشر الديمقراطية في المنطقة، محيلة إياها إلى خانة الأمنيات المستقبلية.

والمحصلة أن صوت المملكة أصبح أكثر ثقة، يتحدث من موقع قوة، تدعمه ثروته النفطية غير المتوقعة، يرتفع محذراً إيران من مغبة طموحاتها النووية، ويهددها بأن استمرارها في "سياستها العدائية"، لن يؤدي إلا إلى "دفاع الدول العربية عن نفسها". لا يجد حرجاً في تقريع أحد حلفائه علناً، بريطانيا تحديداً، بأنها لم تهتم كفاية بالمعلومات التي قدمتها لها الرياض لمواجهة هجمات إرهابية أنية. وهو في كل ذلك لا يريد سوى أن يذكرها، هي والحليف الأكبر، بأنه وهما "أصدقاء"، ويقفان في خندق واحد.

● "النداء"، العدد ١٢٩، الأربعاء ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٧

انتبهوا أيها السادة!

إلهام مانع



مازلت أذكر حديث اللورد كريستوفر باتين، الحاكم البريطاني الأخير لهونغ كونج، في مأدبة عشاء نظمتها على شرفه مؤسسة الدراسات الدولية الخارجية التابعة لجامعة زيورخ، قبل نحو عامين. ولأن رئيس المؤسسة آنذاك هو رئيسي في العمل والمشرف على رسالة ما بعد الدكتوراه التي أعد لها، فقد وجدت نفسي ضمن المدعوين.

دار الحديث عن الإسلام السياسي، ثم تحولت دفته إلى إندونيسيا ومدى إمكانية تأسلمها السياسي. ووجدته يؤكد بثقة أن التحليلات التي أجرتها منظمة "كرايسز جروب" البحثية، التي يشارك في رئاسة مجلس إدارتها، تؤكد حتى الآن أن تلك الإمكانية، رغم مؤشراتنا التي بدأت تبزغ، تظل بعيدة.

"إندونيسيا ليست كغيرها من البلدان، نسيجها متنوع وأطيافها متعددة، وطابعها التسامح. ليس من السهولة القضاء على هذا التراث"، كان ذلك رأيه.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

وكننت متشككة في رأيه. رددت عليه بأن مصر التي كنت أعرّفها كانت كذلك. مصر التاريخ والحضارة، كانت هي الأخرى وجهاً للتسامح، يحيا فيها المصريون باختلاف دياناتهم، ويقتسمون اللقمة والفرحة والحزن معاً. لكنها اليوم غير ذلك، أصبح التشدد هو ملمح الحياة الدينية، إسلامية كانت أم مسيحية، والانغلاق على الذات هو عنوان العلاقة التي تفرق بين طرفي نسيجها الديني.

كان رأيي أن الإسلام السياسي له منهجية وأدوات منظمة يعمل من خلالها، يبدأ بالمناهج التعليمية، والمدارس العامة، ثم بالمدارس القرآنية، ثم بالجوامع، ومن خلالها يجند جيلاً أول يؤمن بفكره، ثم يبتث عناصر هذا الجيل في مراكز التعليم، في المراكز الدينية، في النقابات المهنية والعمالية، ثم في الصحافة والإعلام، وبالطبع في الساحة السياسية، حتى يتحول الجميع إلى استخدام خطاب واحد ممأسس.

خطاب يبدأ الناس في قبوله تدريجياً، وينعكس مع الوقت على سلوكياتهم الاجتماعية. وإلى المدى الذي يدفع بامرأة مثل حنان ترك إلى افتتاح مقهى تقصر دخوله على المحجبات، وتصر على اعتبار وجود المسيحيات وغير المحجبات فيه غير مرغوب فيه.

ثم لا تجد غضاضة في ذلك! كأنها ألغت عقلها وحسها الأخلاقي.

منهجية منظمة تراهن على الوقت والعمل الصامت الدؤوب. ولأن الأمر كذلك، كنت وما زلت أشعر بالقلق على بلدان من نوعية إندونيسيا وماليزيا، خاصة في ظل الطفرة النفطية التي طفحت على منطقتنا من جديد.

عاد إلى هذا الحديث، والقلق الذي استشعرته، عندما التقيت بالأستاذ المفكر الدكتور نصر حامد أبو زيد قبل عشرة أيام في إطار مشاركته ضمن حلقة محاضرات عن الإسلام والدولة الحديثة نظمته جامعة لوتزن السويسرية.

كان قد عاد لتوه من زيارة إلى إندونيسيا.

عاد مهموماً.

كان مدعواً فيها لإلقاء محاضرة يوم ٢٧ نوفمبر ضمن مؤتمر لدعم البراعم القيادية المسلمة الإندونيسية في مدينة ملانج في شرق جاوا، تم تنظيمه بالتعاون بين جامعة لايدن الهولندية -التي يشغل فيها الدكتور أبو زيد مقعد أستاذية- ووزارة الشؤون الدينية في إندونيسيا.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

في آخر لحظة تلقى رسالة قصيرة على هاتفه النقال يعلمه فيه مدير التعليم الإسلامي العالي في وزارة الشؤون الدينية بطلب إلغاء زيارته إلى اندونيسيا "بسبب بعض الظروف"، التي لم يسمها، ويحذره بأن الوزارة "غير مسؤولة عن حضوره"، وأنه اتخذ ذلك القرار "بعد التشاور مع الوزير".

الوزير بالطبع من أتباع التيار السلفي. والوزير لم يتخذ القرار وحده، بل اتخذه بعد "التشاور مع المجلس المحلي للعلماء". والعلماء هنا هم رجال دين، أصبحوا يُستشارون في الكبيرة والصغيرة، وهم كما بدا واضحاً من مشورتهم يقلقون من أفكار رجل مثل أستاذنا الجليل.

رجل لم يحمل يوماً سلاحاً سوى فكره وكلمته. وعلى ما يبدو أن الفكر والكلمة يخيفان اليوم أكثر من أي سلاح نووي.

تلك الرسالة القصيرة جرت وبالأعلى وزارة الشؤون الدينية ومن اتخذ ذلك القرار فيها. فلحسن الحظ أن إندونيسيا ما زالت بلداً يتمتع بهامش من الحرية نحسدها عليها نحن في بلداننا العربية. فما إن سمع بالخبر أصدقاء الدكتور أبو زيد، وعلى رأسهم الرئيس السابق عبد الرحمن واحد، وتلامذته، حتى أعدوا مؤتمراً صحفياً وأعلنوا فيه الخبر، ليصبح حديث الإعلام المرئي والمكتوب الإندونيسي، ولينتشر الخبر في الوقت ذاته ليصل إلى هولندا.

ثم نظموا محاضرة له في اليوم نفسه الذي كان يفترض فيه أن يلقي محاضرتة. والجميل أن أكثر من خمسمائة شاب وشابة شاركوا فيها، كأنهم أرادوا أن يقولوا له: "ليست هذه إندونيسيا التي نعرفها. نحن وجهها الذي يحبك، ويقدر فكرك".

لا بد أن نقر أن مثل تلك الحركة المدنية ومقدرتها على التحرك المضاد والتنظيم جديرة بالإعجاب والاحترام.

لكن جدير بنا أيضاً أن نفتح أعيننا على ما يحدث في إندونيسيا اليوم. فحركة الإسلام السياسي جارية فيها على قدم وساق. جدير بنا أن نفتح أعيننا على ما يحدث أيضاً في بلدان آسيوية وأوروبية، على تلك المنهجية المنظمة التي يعمل من خلالها الإسلام السياسي، بصمت وهدوء، وبعمل دؤوب، حتى تتغير السلوكيات الاجتماعية وتتقلب في غطاءها الأسود، الكاره والحاقد على الغير، والرافض للفكر العقلاني، ثم الداعم للعنف.

الأستاذ الدكتور نصر حامد أبو زيد عاد محبباً من زيارته إلى إندونيسيا، رغم انقلابها

لصالحه، لسبب بسيط: "لأنني كنت أبشر في السنوات الماضية أن إندونيسيا، بعلمائها وشبابها المنفتحين على أساليب البحث العلمي العقلاني، هي نقطة البداية لتجديد الفكر الديني الإسلامي".

لعلها لن تكون كذلك، رغم إصرار أستاذنا الجليل على أنه لم يفقد الأمل بعد. فالحادث أن أخطبوط الإسلام السياسي بدأ ينتشر بالفعل في كيان الدولة المتسامحة. وما دام الوزير ومجلس العلماء المحلي من أتباع الفكر السلفي الوهابي، فالمعركة لن تكون إلا شرسة.

● "النداء"، العدد ١٣٢، الأربعاء ٢ يناير ٢٠٠٨



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

ما الذي يحدث في اليمن؟

إلهام مانع



لا أسألكم بحثاً عن ردٍ. فالجواب يدركه كل من يتابع الشأن اليمني من بعيد أو قريب.

لكنه السؤال الذي تردد عليّ في الآونة الأخيرة. طُرح عليّ بإلحاح، وبقلق. والغريب أن من سأله كان يدرك هو الآخر الجواب، لكنه وغيره كانوا يسعون في الواقع للتأكد من استقراءهم للواقع اليمني. يسأل: "الوضع لا يبشر بالخير، أليس كذلك؟". ثم يردف: "في جلسة عمل مغلقة كان الحديث عن مخاوف من صوملة اليمن في حال لم يتم تدارك الوضع بحكمة". يسأل وهو لا يسأل. وأنا، ابنة الوطن، يعترضني ألم كالمغص، يقطع في أحشائي كأنه يفتّح فتناً، ثم يتركها تتناثر كالهباء.

ما الذي يحدث في اليمن؟

قبل أكثر من أربع سنوات، كتبت مقالاً بعنوان "اليمن ومفترق الطرق"، حذرت فيه من خطر تحول النظام القائم في اليمن، والذي كان حتى ذلك الحين يكاد يحبو على طريق الديمقراطية، تحوله إلى نظام شبه ديمقراطي، يشبه النموذج المصري في العمل

إلهام مانع

من أجل هوية الأسبوع



السياسي، أي: نموذج الحزب الواحد الذي يأخذ من ملامح الديمقراطية دون جوهرها، يسمح للأحزاب بالصراخ والتنافس، ثم يحسم النتيجة في النهاية لصالحه، بشكل أو بآخر.

طرحت حينها السؤال: "ما الذي يعنيه بالفعل تبني النظام الديمقراطي في العمل السياسي؟ هل هو هيكلي يعمل من فراغ؟ أم أن الهدف من العملية بأسرها هو إتاحة الفرصة للمواطن للتعبير عن رأيه (وقد مارس اليمني هذا الحق بحماس في كل الانتخابات البرلمانية التي عايشها منذ ١٩٩٣)، ثم ترجمة ذلك الرأي في قوة سياسية (وهي قوة مازالت خافتة رغم تجسد ملامحها بعد ذلك في اللقاء المشترك)، ثم توفير إطار يمكن فيه محاسبة ومساءلة من يقف على هرم السلطة وما دونه (وهو الإطار المعدم في النظام اليمني الحالي، وبالطبع في كل الأنظمة العربية)؟

اليوم لم يعد اليمن يقف على مفترق طريق الديمقراطية، فالخيار تم حسمه منذ ذلك الحين لصالح دولة تأخذ قليلاً من ملامح الديمقراطية، تلون به وجهها، لكنه يخلو من روحها قلباً، وتحدد خطوطاً حمراء أساسية لمسارها السياسي، أهمها "حماية رموز السلطة"، والرئيس على رأسها بالطبع. للأسف لا يختلف اليمن في ذلك عن غيره من تلك البلدان العربية التي يحلو للخبراء تسميتها بـ"شبه الليبرالية"، وهي في الواقع "تشبه" أشياء كثيرة، لكن الليبرالية بريئة منها.

اليمن لم يعد يقف على مفترق ذلك الطريق، فالدرب الذي يشرف على بداياته يثير الفزع. السؤال الآن أصبح: "هل يصمد اليمن الواحد أم لا؟ هل يبقى اليمن واحداً، أم يتفتت إلى أجزاء؟"، ولأحظوا أنني هنا لا أتحدث فقط عن محافظات شمالية وجنوبية، بل بدأت بعض الأوساط تتحدث عن محافظات "شرقية" أيضاً!

أنا واحدة من الأشخاص الذين اعتبروا الوحدة اليمنية المنجز الوحيد الذي يستحق أن نسميه إنجازاً في تاريخ اليمن الحديث. ومازلت أؤمن بهذه الوحدة، تماماً كما أؤمن بالإنسان، أستنشقها عطراً كيوم قيامها. لكن لو استمرت الأوضاع على ما هي عليه، سيصبح من الصعب على المرء الدفاع عنها، لو استمرت الأحوال في هذا المسار، سيكون من الصعب عليه أن يرفع صوتاً يصرخ بحب وحدة الوطن.

عاملان أفسدا على الناس واقع الوحدة، ولن أتحدث هنا عن حرب اليمن الأهلية وتداعياتها، ذاك حديث يستدعي بحثاً منفصلاً، بل أتحدث عن سلوك المنتصر، الذي لم يحفظ للوحدة -

التي دافع عنها- حقها. الأول يرتبط بتجاهل المطالب المشروعة لأبناء المحافظات الجنوبية، ممن تم تسريحهم أو إحالتهم إلى التقاعد رغماً عن أنوفهم، إما لأنهم حُسبوا على الطرف "الخطأ"، وإما لأنهم عبّروا عن آرائهم "بصراحة"، وإما لأنهم ببساطة رفضوا أن ينضمّوا إلى "جوقة الحزب الحاكم".

صعب عليك أن تكون "مستقلاً" اليوم، خاصة إذا كنت "مستقلاً"، في المحافظات الجنوبية. والأصعب أن تتصرف كأنك ابن أو ابنة الوطن الواحد وأنت في المحافظات الجنوبية. لأن عناصر الأمن (أمننا، هل تذكرونه؟) لا تترك لابن وابنة الوطن الفرصة للشعور بالانتماء إليه. لا تسمح لهما بذلك. كلما حاولا فعل ذلك انقلبت عليهم تلك العناصر، تصرخ في وجوههم: "من تظنون أنفسكم؟! أنتم أتباع الطرف الخاسر في الحرب!". المنتصر أصبح يتصرف كأنه استولى على غنيمة، اسمها الوطن، وهو مالکها. صعب أن تكون من المحافظات الجنوبية ولا تشعر بالغربة في الوطن.

العامل الثاني، يرتبط بواقع كان متواجداً دائماً من قبل، أعني عامل ضعف الدولة وتنافس القبيلة ومراكز قوى على إضعاف هيبتها. لكنه اليوم بدأ يتحول من ضعف إلى فلتان واهتراء. اليوم لم يعد ضعفاً، أصبح تداعياً لكيان الدولة ومؤسساتها. والدليل على ذلك أنه حتى ما كان يعرف بـ "الحدود" و "الخطوط الحمراء" التي لا يمكن تجاوزها، لم تعد كذلك في الوضع القائم.

أوامر الرئيس، على سبيل المثال، كانت تطبق في السابق، لا يتم تجاهلها كما يحدث اليوم. والغريب أن تلك الأوامر لا يتم تطبيقها تحديداً عندما يتعلق الأمر بشأن خاص بالمحافظات الجنوبية، كأن هناك من يسعى حثيثاً لنخر السوس في كيان الوطن، يريد أن يقلب الهيكل على رأس الجميع. هل أذكركم بالأوامر التي يصدرها الرئيس، الأمر تلو الآخر، بشأن "إيجاد حل" لمشكلة الأراضي التي تم "توزيعها" أو تم "نهبها" في المحافظات الجنوبية؟ وهو كأنه يكتب بماء، لا فرق. يكتب الأمر فينلاشى، لا نراه على أرض الواقع، يذوب ثم يتبخّر، لأن "قوى متنفذة" ما لا تريد ذلك. وقضية سيدة الأعمال والمستثمرة أروى الهمداني، التي حكم القضاء بمنحها أراضيها، معروفة للقاصي وللداني. أرادت أن تستثمر في الوطن، فانقلب عليها بعض أبنائه. والقضاء اليمني نعرفه: يقول ما يقول، لا يهم، المهم: ماذا يقول من يطبق الأمر؟ حتى في حالتها، وهي السيدة القوية، لم تُجدِ أوامر الرئيس بتسليمها أراضيها. يكتب على أوراق

ملفها: "نفذوا"، وكأنه يتحدث إلى الهواء، إلى نفسه. أمره يخرج من مكتبه ثم يتوه في الأزقة، كلاماً على ورق، وحباً من ماء، ليبقى الرئيس محاصراً، في برج، من حاشية تقول له إنها تحبه، ثم تبعده عن الوطن وواقعه ذلك الذي يتمزق، والجمع يرقب، صامتا، متواطئاً.

ماذا يحدث في اليمن؟

يحدث الكثير في الوطن.

...

كأن قدر الوطن أن يكون ملعوناً مرتين:

ملعوناً بأبنائه،

وملعوناً بماضيه.

كأن قدر الوطن أن يغيب في نفوس من يحبونه،

ثم يتلاشى.

يا وطن الأحزان!

ليتنا نقدر على حبك حق قدرك!

● "النداء"، العدد ١٣٤، الأربعاء ١٦ يناير ٢٠٠٨



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

سأكسر جدار الصمت!

إلهام مانع



صمتُ طويلاً.

هل لاحظتم صمتي؟

وضاق صدري بصمتي.

لكن للصمت كان ما يبرره.

ورغم امتناعي عن النطق كنت أتحدث... طوال الوقت.

كنت أكتب. عاكفة على الكتابة كما لو كنت ناسكة لا أعرف من الدنيا سوى الكلمات وصفحات الكتب. ولو أردتم الصدق مرت عليّ فيها لحظات أحسست فيها أنني تلاشيت وتحولت إلى مداد لحروف الكلمات التي سطرتها.

والمحصلة؟ كتاب بعنوان "سأكسر جدار الصمت: من أجل إسلام إنساني"، كتبته بالإنجليزية، وسيصدر بالألمانية.

وكل تجربة، قد يخرج الإنسان منها بخبرة أو معرفة تمكنه من أداء أفضل، تعلمت أشياء من فترة صمتي.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

انتبهت على سبيل المثال أن الكتابة بلغة أخرى قد تكون فرصة للإنسان، كي يخرج من سوار سجنه.

أظنها تجربة يعايشها كل من يكتب ويتحدث بأكثر من لغة.

أحياناً تقيدنا لغتنا الأم، تسجننا في معتقل نحن من بنى جدرانها، بأيدينا هذه.

ربما لأنها ترتبط بالكثير من "العيب" و"الخطوط الحمراء" التي تعلمنا أنه يحسن بنا ألا نتجاوزها.

رضعنا العيب مع أحرفها.

وتعلمنا ألا نكتب "كل" ما نفكر به بكلماتها، وأن هناك أشياء تقال، وأخرى نحفظها في الكتمان.

فالينا على أنفسنا أن نصمت حتى ونحن نكتب، ونصرخ بالجميل.

نصمت مع العيب، والخوف، والحرَج.

لي تجربة طويلة مع الكتابة بلغة أخرى، لكنها كانت محصورة دوماً في الإطار الأكاديمي.

هذه أول مرة أكتب فيها عن موضوع يهمني، كفلة كبدية، بالإنجليزية.

وكنت أعرف من قبل أنني عندما أتحدث بالإنجليزية أو الألمانية، لا ألتزم بحدود العيب التي نفهمها. بل كنت أخترق بالكلمات ما يخطر على بالي، وأشرحه بوضوح، بلا رجة، بلا رعشة، وبلا وجل.

على سبيل المثال، في برنامج تلفزيوني ناطق بالألمانية، تحدثت مع مخرج الفيلم عن تجربة المرأة الحسية مع من تحبه، وعن تجربتي أنا، ولم أخجل! لم أشهق. لم أجفل، ولم أتوار. بل وجدت الحروف تتجانس في كلمات، وتخرج محددة باللون الأسود، كأني أعلمها كي تنفذ إلى الذهن وتستقر.

لا أتصور نفسي قادرة على فعل الشيء نفسه بالعربية.

في الواقع، وكلي لا أكون متجنية على نفسي، لم أفعل ذلك، وبقدر، إلا في مجال الكتابة الأدبية، عندما كتبت "صدى الأنين" التي صدرت عام ٢٠٠٥، وفي "بلا خطيئة؟" التي ستصدر

قريباً عن دار الساقى.

نفس الشيء حدث وأنا أكتب "سأكسر جدار الصمت: من أجل إسلام إنساني". كنت أكتب كأني أولد من جديد بالكلمات. أكتب ما أفكر فيه دون خوف. أكتب كأني أفكر لنفسي، بصوت عالٍ.

وقررت بعد أن أكملته، أن أعود إلى الكتابة بالعربية، وأن أتحدى الحدود التي تفرضها عليّ لغتي. قررت أن أكتب كما أفكر وأؤمن، دون رتوش تخفف من وقع الكلمات.

ولأنني أعرف أنني سأضطر للعودة إلى الصمت من جديد، كوني ملزمة بكتابة نتائج دراستي عن الدولة العربية وحقوق المرأة في الستة الأشهر القادمة، أنتهز فرصة الأسابيع القادمة للحديث من جديد.

سأتحدث، وأكسر جدار الصمت، ذاك الذي نفرضه على أنفسنا ونحن نتكلم بالعربية. وأبدأ معكم الأسبوع القادم مع حديث قارئه عقت على مقال "اغتصاب؟" الذي كتبتة في موقع "شفاف"، بتاريخ ٦ يونيو ٢٠٠٦. حديثها يستحق أن نقف أمامه، ونعود إلى موضوع اغتصاب الزوج لزوجته. أراكم على خير إذن!

● "النداء"، العدد ١٥٥، الأربعاء ١١ يونيو ٢٠٠٨



نعم.. يُغتصبن!

إلهام مانع

أذكر دهشتي الصامته، واتساع عيني وأنا أستمع لها وهي تحكي لي.

تقول: "تخيلي، أنها كانت تضع الملاية على وجهها وتقول لزوجها، عندما تكمل غرضك، أيقظني!".

والبغل، الثور الهائج، كان لا يجد غضاضة في ذلك.

كان يباشرها، جثة هامدة، لا تبدر الحياة منها إلا من خلال إحكام عينيها بعنف، ثم يقوم عنها، ويوقظها.

لا يجد حرجاً في فعل ذلك.

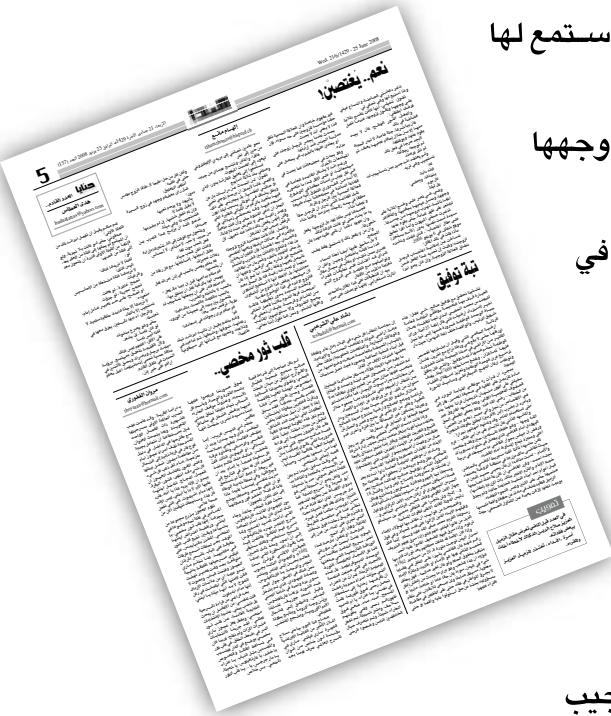
لم توجهه رجولته.

لم تثر كرامته.

ولم يعتقد أنه جدير بمن تستجيب له، تستجيب وهي تريد.

لم!

كانه دابة.



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

يأخذها، ويمضي.

كل يوم.

كل ليلة.

وهي، هي تصر على وضع الملاية على وجهها، ومسح عينيها بجفنيها، والتظاهر أنها نائمة، تهرب بروحها من جسدها، لتبتعد على ظهر غمامة، حتى يقوم عنها.

تذكرت صمتي المبهوت وأنا أقرأ تعليق سيدة سمّتها "بدور" (الاسم مستعار) على مقال "اغتصاب"، الذي كتبتة، ونشره موقع "شفاف"، في ٦ يونيو ٢٠٠٦.

ماذا قلت في ذلك المقال؟

تساءلت عن إمكانية اغتصاب الرجل لزوجته؛ وقلت إن تحديد هذا الفعل ضمن نطاق العلاقة الزوجية، وإن كان يبدو أمراً غير مفهوم، خاصة وأن العلاقة الحسية تظل حقاً مؤسساً للزوجين على حد سواء، فإن هذا لا يعني أنه لا يحدث.

يحدث عندما يجبر الرجل زوجته على ممارسة الجنس ضد إرادتها.

أو يعتدي عليها بالضرب كي يحصل على مراده.

وهو يحدث في مجتمعاتنا كما يحدث في المجتمعات الأخرى.

ورغم أنه لا يشكل القاعدة العامة في مجتمعاتنا، أو على الأقل هذا ما نتصوره في ظل غياب دراسات معقمة في الموضوع، إلا أنه من الضروري التطرق إليه بسبب القناعة السائدة في مجتمعاتنا تجاه طبيعة العلاقة الحسية بين الرجل والمرأة.

تلك القناعة التي ترى أن للرجل حقاً مطلقاً في جسد زوجته، يمارسه "وقتما شاء" و"كيفما شاء".

فجسدها ليس ملكاً لها، بل لزوجها، يفعل به ما يشاء حتى لو كانت كارهة لذلك.

وأن عليها "دائماً" أن تلبّي طلبه مهما كان شعورها،

وأن من لا تفعل ذلك لا تستحق فقط غضب المجتمع،

لا بل ستحق عليها أيضاً لعنة السماء.

هذا ما قلته باختصار وجيز. وأظن أن غيري ممن تكتب أو يكتب في مجال مقال الرأي قد

اعتادت على تعليقات القراء وتواصلهم مع الكلمة. هي الروح التي تغذيها بالمزيد من الأفكار. بيد أن التعليقات على هذا المقال بالتحديد أثارت استغرابي، لأنها تواصلت على مدى نحو عامين. تصلني إلى بريدي الإلكتروني من حين إلى آخر.

فأقرأ، وأتذكر، وتتسع عيناى من جديد، ليعود إلي الصمت المبهوت. استمعوا إلى تعليق القارئة بدور، الذي وصلني منذ ثلاثة أسابيع.

تقول: "لن أتحدث عن دراسات بل عن واقعي. فأنا لا يمكن أن يرحم زوجي تعبى أو حالتي النفسية، بل يجبرني على ذلك، ويظل يشكك في أنوثتي بسبب ليلة أكون فيها متعبة، بالرغم من الليالي الكثيرة التي أسعده فيها. وقد نصحتني زميلاتي في العمل أن أدعي النشوة حتى وإن كنت متعبة وغير راغبة، حتى لا أتعرض منه للإهانة، وقلن إنهن يفعلن ذلك دائما عند تعبهن، لأن الرفض يسبب لهن المشاكل".

وتكمل: "فإذا كانت معاشرة الزوج لزوجته بالإكراه في حالات مرضها وتعبها النفسي والجسدي، يعد اغتصاباً، فإن الكثيرات يعانين من هذا. وتتنوع الإهانات بين الضرب والشتم بل حتى التهديد بالطرد والحرمان من أطفالها، فتصبح غير قادرة على الرفض، وعليها أن تتحمل تعبها وتنفذ رغبته. أما هو إذا كان متعباً أو ليس له رغبة، فله كل الحق بعدم معاشرتها، بل الأعظم أنها لا تستطيع الشكوى لأن مجتمعها يرفض هذا النوع من الشكوى، فالزوج أوامره في هذا الموضوع مقدسة".

وتختتم السيدة بدور تعليقها قائلة: "أصبحت غرفة النوم مكاناً للعمل الخالي من المشاعر والرحمة، عليك أن تعمل في جميع الظروف وإلا ستواجهين المتاعب وأقلها الشتم.. ونحن هنا نقول إننا نعاني، ولكن هل من حل؟ طبعاً لا، طالما الزوج مقدس حتى في ظلمه".

انتهى التعليق!

هل رأى بعضكم وجهه في زوج السيدة بدور؟

يأتيها، ولا يرحم تعبها.

لا يقبل كلمة لا.

وإن لم تفعل شتمها، إن لم يضربها.

فتستجيب له وهي ميتة.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

تدعو الله أن يزيح هذا الكرب عن جسدها.

وتتحول مع الوقت إلى آلة، تُسَيِّرُها بإرادة من حديد، لا حب، لا مشاعر، لا إحساس.

فعل الحب موت لها.

وكنتم أظن الحب حياة.

يقتل آدميتها، إنسانيتها، مع كل ركلة من ركلات عجيزته.

كم منكم يهمس بالحب في إذن امرأته قبل أن يلمسها؟

كم منكم يداعبها قبل أن يبدأ بالـ"فعل"؟

يهمس لها بالرغبة قبل أن ينطق بها؟

كم منكم قادر على أن يجعلها تستجيب له بالحب، لا بالشتم والضرب؟

بالحب، بالكلمة، باللمسة، بالمداعبة؟

تتحول بين يديه إلى عجيبة من الورود، طرية، ترقص معه، معاً!

كم منكم يرى رجولته في إسعادها؟

كم؟

وكم منكم يقبل أن تأتيه امرأته، تبثه رغبتها، شوقها، وشبقها، ثم تداعبه هي وتلاعبه،

وتحيله مع لمساتها إلى سيمفونية طافحة؟

كم منكم يقبل أن تفعل امرأته ذلك من الليلة الأولى؟

صدقوني، حتى لو كانت بلا تجربة، ولو أن المجتمع لم يحلها إلى كتلة من العقد بَعْدُ، فإنها

من الليلة الأولى قادرة أن تتحول معه إلى كتلة من الصهد!

لو!

لكننا لا نريدها كذلك؟

أليس كذلك؟

لا نريدها كتلة مشتعلة من الأحاسيس والرغبات.

تصبح "عاهرة"، لو فعلت.

تصبح "مجرّبة"، لو جرّوت.

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

أو تصبح، على حد تعبير عادل إمام، "متعودة".
لا نريدها إلا جثة هامدة، متلقية سلبية، لا تستجيب إلا بالكاد.
والرجل، أه أيها المسكين، يغرق معها في تعاسته.
حتى وهو يصرخ بنشوته.
لو كان تيساً، لن يشعر.
لكنه ليس تيساً.
على الأقل، أغلبهم ليس كذلك.
ولأن القضية تتعلق بمجتمع، برؤية دينية، برجل وبامرأة، وبحق الاثنين في علاقة حسية
تحمي إنسانيتهم، أكمل معكم الحديث في المقال القادم.
أراكم على خير إذن!

● "النداء"، العدد ١٥٧، الأربعاء ٢٥ يونيو ٢٠٠٨



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

سهل أن تكوني مثلية!

إلهام مانع



"من السهل جداً أن أكون مثلية هناك!" قالتها صديقتي،
فاتسع بؤبؤاً عيني من جديد.
قالتها وهي تدري ما تقول.
قالتها عن تجربة!

"مثلي" هي الكلمة التي أستخدمها بدلاً من
"شاذ"، أو "سحاقية"، أو "لواطى"؛ لأن الكلمات
الثلاث الأخيرة لا تصف فحسب، بل تضيف
إليها "حكماً" و"موقفاً" مسبقاً. في المقابل فإن
كلمة "مثلي" أو "مثلية" محايدة، تصف بدقة
أن ذاك الشخص يفضل إقامة علاقة حسية
مع مثيله من النوع الجنسي، وتصمت! هي
ببساطة لا تصدر حكماً على ذاك الشخص،
ذكرًا كان أم أنثى. و"هناك" قصدت بها صديقتي
مصر.

تماماً كما أعرف أنا أن "هنا" أو "هناك" لا فرق بينهما. على الأقل ليس في
هذا الشأن الذي أحدثكم عنه.

أليس من السهل فعل ذلك أيضاً في بلدين كاليمن والسعودية؟ سهل جداً في ظل ذلك الفصل

إلهام مانع

من أجل هوية الأسبوع

القهري بين الجنسين. كأنك ترتشفين كوباً من الماء في ميدان عام في وضوح النهار. وفي الواقع، خطر على بالي لوهلة أن المجتمع والدولة يتواطآن على ذلك عمداً، لولا أنهم لا يعون.

هل سيفكر "المطوع"، الذي يبحث تحت الحجر وفي العدم عن "الخطيئة" كما يسميها، عمّا تفعله امرأتان خلف ذلك الباب المغلق.

لو دخل عليهما ستحسب عليه خلوة. وأكاد أبتسم وأنا أقول ذلك.

مسكين أيها المغفل!

وأذكر كيف كانت النساء في جلسة "تفرطة" (مجالس القات النسائية في اليمن) يتغامزن وهن يهمسن بأن فلانة "صديقة" فلانة. وأنا العذراء الغارقة في عوالم الكتب أستفسر كالبهاء: "وأين المشكلة في الصداقة؟"، فتتلاقى أعين المتحدثات متنهدة، وتبتسم بصمت.

وبعدها بنحو عقدين عادت إلى ذاكرتي تلك الكلمات وأنا أقرأ رواية الأديبة السورية سمر يزبك "رائحة القرفة"، الصادرة عن دار الآداب، ٢٠٠٨.

أليس من الغريب أن تلتقي الحكايات بغض النظر عن المكان؟ كأنها تتواطأ هي الأخرى على الواقع الذي تنبثق منه.

سمر يزبك كتبت عن علاقة سيدة دمشقية من الطبقة العليا المترفة بخادمتها الصغيرة، القادمة من العالم السفلي المدقع في الفقر. هنا تدور الحكاية حول عملية استغلال جنسي لطفلة. لم تكن علاقة مثلية. التمييز ضروري عزيزاتي.

لكن خيوط الحكاية تنسج من واقع تعاني فيه تلك السيدة الدمشقية من زواجها إلى ابن عمها العجوز، الذي كان لها أخاً ليصبح زوجها، والذي كانت تختنق تحته كل ليلة، ومن رائحته، "رائحة التماسيح"، تدعو الله أن يمنحها الولد الذي تزوجها من أجله، لولا أن الرحمن لا يستجيب.

دخلت إلى الزواج مغمضة العينين. لا تدري ما يعنيه الزواج.

كم منا دخلت كالعمياء إلى غول الزواج، وبدأت تولول لأمها عندما حاول زوجها أن يقبلها، قبلةً حارة، تقول لها إنه يريد أن يبتلعها من شفثيها؟

كم منا لم تفهم كيف يمكن للمرأة أن تستجيب، وظنت أن ما يريده منها زوجها "عيب"؟

ومن قبل قالوا لها إن الاستجابة "عيب"، والعلاقة الحسية "مسيبة"، وقطرة الدم التي تنفر

منها "كنز"!

ثم حذروا بابتسامة تجمع بين الجد والهدر: "خافي عليها كي لا نجرز عنقك"!

والمسكينة لا ترى سوى السكين، والدم.

ثم نريدها أن تكون "فاضلة" في السرير!

فاضلة، كالراهبة، تخرج منه كما دخلت إليه، بشراشف بيضاء ناصعة، لا بلل فيها.

كوني "مطبعة"، كوني "مطواعة"، لكن لا تكوني "نارًا حارقة"، لا "تستجيبني".

ثم طوعي نفسك على التلقي.

كوني متلقية.

متلقية.

متلقية.

والمسكين يعاني من تلقيها.

والمسكين يصرخ من طواعيتها.

والمسكين يدري أن بالإمكان أن يكون الأمر أفضل مما هو عليه، ولا يدري كيف "يحسنه"! هذا

بالطبع إذا كانت له تجربة من قبل!

كم منكم تمنى لو أن زوجته تعطيه أكثر من التلقي.

ثم بدأ يكتم أنفاسها بيده، يضع كفه على فمها، حتى يكمل الفعل، ويقوم عنها ليغتسل.

ويشعر بالحرّج وهو يفعل ذلك.

ويشعر أنه خرج من إنسانيته وهو يفعل ذلك.

وكلاهما كان تعيسًا.

أليس كذلك؟

ولأنها عاشت ميتة في علاقتها الحسية، اكتشفت المتعة في علاقة مثلية مع امرأة مثلها،

لكنها لم تكتف، فبدأت في استغلال خادمتها الطفلة جنسيًا.

سمر يزنك لا تكتب من خيالها. هي تنتمي إلى جيل من الأديبات القديرات اللواتي يجدن من

العار أن يلذن إلى الخيال في وقت يعرفن فيه جيدًا أن واقعنا العربي أغرب من الخيال ذاته.

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع



فتنه من الواقع، لتدمينا كلماتها.

وكما وصفت بدقة في روايتها واقع الفقر المدقع، وما يحدث فيه للفتيات والنساء من انتهاك، وكيف يتراكم الرجال والنساء والأطفال فوق بعضهم البعض، لا تسمع بينهم سوى صوت الأقوى، والجوع، والخوف، والوجع. سردت لنا حياة فئة من النساء في المجتمع المخملي، ممن لم يجدن أنفسهن حسيًا مع الرجل، فتحولن إلى نوعهن هن، إلى المرأة.

تحكي لنا: "بنات العشرة (اللواتي تعرفت إليهن حنان، بطلة القصة) في أغلبهن متزوجات، ولكل منهن صاحبة أو عشيقة، وأغلبهن يتزوجن مبكرًا. والقليل من الناس يعرفون بأمرهن، فمجالسهن حكر على النساء. والرجال يأمنون حين تكون نساؤهم بصحبة نساء أخريات، حتى لو شعروا أن في الصحبة ما يريب. فالأمر يبقى مقبولا، إذا بقيت علاقة المرأة سرية. وما إن تبدأ التقولات، حتى يلجأ الزوج إلى فصل العلاقة بين زوجته وصاحبته" (ص ٩٧).

قرأت تلك العبارة، وتذكرت كلمات تلك الصديقة: "من السهل جدًا أن أكون مثلية هناك"، ثم نساء "التفرطة" وهن يتغامزن: "فلانة صديقة فلانة"، وعينا، عيناى اللتان ما فتئتاً تسجلان الكلمات والصور، وتدونها في ذاكرتي، تتسعان من جديد...

وللحديث بقية.

أراكم على خير إذن!

● "النداء"، العدد ١٥٩، الأربعاء ٩ يوليو ٢٠٠٨

آية فضيلة؟!

إلهام مانع



احتملوا كلماتي القادمة عزيزاتي وأعزائي.
لا تتلملوا منها لأنها قد تبدو بعيدة عنكم.
بل تأملوا،
قارنوا،
ثم قررُوا!



لعل أفضل نظام مواصلات عام عرفته في
دولة ما هو ذاك النظام القائم في سويسرا.
خطوط مواصلات عامة تبدأ من الباصات
والترامات، وتنتهي بالقطارات، وتربط بين
المدن والقرى. لا تتأخر دقيقة عن موعدها. كأنها
القدر، قادمة شئت أم أبيت.

في مدينة برن، حيث أسكن، أستخدم وسائل المواصلات العامة في
تنقلاتي، لأن سكني وأسرتي في قلب العاصمة، يجعل من اقتناء سيارة مع وجود ذلك النظام
جريمة في حق البيئة. وعندما نحتاج، أنا أو زوجي إلى سيارة، نلجأ إلى نظام "موبيلتي".

إلهام مانع

من أجل هوية الأساقفة

والنظام ببساطة يوفر للمشاركين فيه إمكانية استخدام سيارة عندما يحتاجون إليها. عليهم فقط أن يدفعوا مبلغًا سنويًا، أن يتحملوا تكاليف البنزين لفترة الاستخدام، وأن يدفعوا مبلغًا محددًا عن كل كيلومتر تمشيهِ السيارة. نظام غير مكلف لمستخدميه، يقلل من استخدام البنزين، ويوفر لنا السيارة في رحلاتنا الطويلة، ويحمي البيئة في الوقت ذاته من خلال تقليل عدد مالكي السيارات.

عدا ذلك أركب الأوتوبيس أو أمشي.

في برن (واسمعوني هنا جيدًا) يركب الإنسان الباص أو الأوتوبيس "على ذمته".
ماذا يعني ذلك؟

لا يوجد من يفتش عليك داخل الأتوبيس، ويسألك: "هل اشتريت تذكرة الأتوبيس؟".
لا يوجد!

يعتمد النظام على "أمانة الإنسان".

"مادمت تستخدم هذه الخدمة، فعليك تأدية ثمنها".

"وأنت إنسان مسؤول، عاقل، قادر على تحمل المسؤولية. لذا لن نجري وراءك نسألك: هل اشتريت تذكرة الأتوبيس؟".

تخلوا!

فقط كل شهر وآخر، تجري عملية تدقيق مفاجئة. براءة ذمة ربما!

والغريب أنه في كل مرة أكون فيها في الأتوبيس خلال مثل هذه العملية على مر السنوات الأربع عشرة الماضية، نادرًا ما "اكتُشف" وجود شخص لم يشتري تذكرة الأتوبيس.

كنت دومًا أندهش لمدى التزام الإنسان هنا.

أندهش،

ثم أفرح.

أما الخزي الأكبر، أنه في حالة وجود من "لم يحترم الأمانة"، من "خانها"، فإن الشخص الذي لم يشتري تذكرة الأتوبيس يكون عادة "أجنبيًا".

لم يعتد أن يكون مسؤولاً.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

لم يعتد أن يكون أميناً.

لم يعتد أن يكون إنساناً.

وفي هذه الحالة، فإن التذكرة التي تكلف فرنكاً وثمانين "رابين"، تتضاعف إلى ثمانين، على المخترق أن يدفعها فوراً، أو أن يتحول إلى القضاء، لتدخل في سجله. ثم تصبح وصمة عار.



بالنسق نفسه في أشهر الصيف، عندما نتجول، أنا وزوجي وابنتي، بدراجاتنا في الحقول خارج العاصمة، تلفت نظري دوماً لافتات صغيرة، توجد قرب حقول زهور عباد الشمس، أو بالقرب من صندوق كبير في مزرعة، تحدد سعر ثمن زهرة عباد الشمس، أو ثمن نوع من أنواع الجبنة أو لحمة مجففة، دون وجود صاحب الحقل أو أي بائع، وتأمين رغم ذلك أن الذي سيقطف الزهور، أو سيأخذ الجبنة واللحمة المجففة من الصندوق، سيدفع ثمنها ويضع المال اللازم في حصالة مالية صغيرة قرب اللافتة.

لا يوجد من يراقب هذا الإنسان.

ذاك الذي سيقطف الزهور، أو يأخذ الجبنة أو اللحوم المجففة.

لا يوجد من يصر عليه أن يكون أميناً.

لكنه عادة ما يدفع الثمن.

"مادمت سأخذ الزهرة أو البضاعة، يجب أن أدفع ثمنها".

ولأن النظام ناجح، ما دام الناس يدفعون رغم عدم وجود الفلاح أو البائع، ظل مستمراً!



أظل أدق على الوتيرة نفسها.

هذه الأيام تمر سويسرا بأزمة سياسية.

أعرفون سببها؟

الصحافة كشفت أن قائد الجيش السويسري تم تعيينه رغم وجود قضية مرفوعة ضده

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

من شريكته في الحياة (صديقته). وزير الجيش كان على علم بالقضية، لكنه لم يُعلم أعضاء المجلس الفيدرالي ولا البرلمان السويسري بالمسألة حين تعيين القائد. كان الاتفاق بين قائد الجيش والوزير الفيدرالي أن القضية سيتم "حلها ودياً" بين القائد وشريكته في الحياة قبل أن يتولى منصبه. وهذا ما حدث بالفعل.

ورغم أن القضية تم حلها ودياً، فإن القيامة قائمة في سويسرا هذه الأيام، لأن الوزير الفدرالي لم يكن شفافاً بما فيه الكفاية، ولأن (ولعل هذا هو المحك في الموضوع) ملابسات القضية أظهرت، أو على الأقل هذا ما تقوله الصحافة السويسرية، أن قائد الجيش تصرف بطريقة غير مسؤولة، وبطريقة جرحت كرامة شريكته في الحياة.

التيارات السياسية بتعدد أطرافها تطالب باستقالة قائد الجيش، لأن القضية "جرحت مصداقيته"، وبعضها لأسبابها السياسية الخاصة بها، تطالب باستقالة الوزير الفدرالي معه.

"لا تكذب."

"كن شفافاً."

"ثم تحمل مسؤوليتك."

وإذا تجاوزت الأمانة، فتخلي عنها. أتركها لمن هو أجدر بها."



هل بدأت ملامح الموضوع تتبلور أمامكما، عزيزتي القارئة، عزيزي القارئ.

أتحدث عن سويسرا وعيني على اليمن.

عن وطنين، وجدت في الأول الأمان، ويظل الثاني جرحي النازف. جلدي الذي لا أقدر على سلخه عن لحمي.

النظام القائم هنا في سويسرا ناجح، بكل المقاييس.

لأنه ببساطة تمكن من خلق الإنسان.

إنسان قادر أن يتحمل مسؤوليته ومسؤولية غيره.

إنسان أمين.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

لا يسرق.

لا ينهب.

وعندما تُحمّله الأمانة، يكون على قدرها. يركب الباص ومعه التذكرة رغم أنه يدري أنه في ٩٩٪ من الحالات لن يأتي إليه من يسأله: "أين التذكرة؟" يدفع ثمن الجبنة والزهور، ويضعها في الحصالة، رغم أن السماء وحدها والطيور هي من تراقبه.

ويفعل ذلك!

ثم يفترض فيه أن يكون على قدر أمانة العمل.

"مادمت لم تكن شفافاً معنا، ما دمت قد تصرفت بطريقة "غير مسؤولة" تجاه شريكك في الحياة، كيف يمكننا أن نثق بقدرتك على قيادة الجيش؟" نظام تمكن من خلق الإنسان. وعندما فعل ذلك لم يلجأ إلى ابتكار "هيئة الفضيلة"، كما تريد الدولة اليمنية اليوم أن تفعل.

هيئة "فضيلة" لا أعرف عن أية "فضيلة" تتحدث. كل هم (رجالها) التلصص على عباد الله، وخنق كرامتهم، ثم تطبيق تفسير للدين لا هم له سوى هدم الأضرحة وقتل وجود النساء. وقد بدأت الهيئة بالفعل بالمرأة. هل لاحظتم أول "فتوى" تصدرها الهيئة عن الكوتا النسائية السياسية؟

ويوماً ما ستجدونها تجري وراء النساء، تقول لهن إن "عباءتهن" ليست "سوداء" بما فيه الكفاية، وأن حياتهن ليست "سوداء" بما فيه الكفاية، وأن "الموت" في الحياة هو الأسلم لهن ضماناً للجنة.

هيئة "فضيحة"، لا "فضيلة"، عزيزاتي، لأنها فضحت للعالم، الذي يراقب ويتابع، مدى ضعف الدولة، وحاجتها إلى تيار سلفي، يدعمها في مواجهة أزمة سياسية طاحنة. ولأنها كذلك، فإنها لن تعثر على "الفضيلة"، على فرض أنها تبحث عنها فعلاً، بل ستتسبب في أزمة طائفية، ولعلها ستنجح في إلهاء الناس عن واقع الظلم والفقر والفساد القائم.. إلى حين.

لا، لم يلجأ النظام السويسري إلى هيئة لـ "الفضيلة".

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

لجأ إلى التعليم.

أراه في الأسلوب الذي يتم فيه تعليم ابنتي في المدرسة، كيف تكون مسؤولة عن بيئتها، جزء من حصة يتم تخصيصه لتنظيف فصلهم، والخروج إلى مزرعة قريبة والعمل فيها.

كيف تتعلم وهي في الثامنة كيف تجلس مع زميلاتها وزملائها، تتفاوض وتناقش، وتصل معهم إلى تسوية في اختيار "مواضيع للدراسة الأسبوعية". وكان حديثها قبل شهر هو عن الكيفية التي اختلفت فيها التلميذات مع التلاميذ حول موضوع الأسبوع.

التلاميذ الذين كانوا يتابعون بشغف كأس أوروبا لكرة القدم، أرادوا أن يكون موضوع الأسبوع "كرة القدم وتاريخها". أما التلميذات فقد اكتفين من الكرة، وإن حافظن على شكل الدائرة، فكان اختيارهن لذلك "الكون والمجرات"! والنتيجة أن المدرسة التي أدركت أهمية "الكرة"، وضعت طاولتين في الصف، إحداهما تضم الكتب والنماذج التعليمية الخاصة بالكرة، والأخرى خصصت للكون ومجراته.

ثم تتعلم كيف تفكر!

عندما تتحدث المدرسة عن الكون والمجرات، فإنها لا "تلقن" تلميذاتها وتلاميذها "الموضوع".

بل تسألهن أولاً، "برأيكن كيف تكوّن الكون؟".

ولأن كل طفلة وطفل يدلو بدلوه، فإن خيوط "اكتشاف الكون" تتشابك، إلى أن تصل إلى مرحلة، تبدأ فيه المدرسة في شرح الموضوع، ولكن مع تجارب عملية، يصنعنها بأيديهن، وقبلها بعقولهن، حتى يتحولن مع الوقت إلى مخلوقات قادرة على التفكير.

إنسان،

مسؤول،

مفكر،

عاقل،

ثم أمين.

ولأن النظام في هذا البلد يحترم الإنسان، آدميته، كيانه، عقله، ثم إرادته، يرد الإنسان عليه بأن يكون إنساناً في خلقه وتعامله.

إلهام مانع
من أجل هوية الإنسان

هكذا تُخلق "الفضيلة" بمعناها الإنساني.

أما أن تتشكل "هيئة فضيلة" يمنية، فالسؤال الذي طرحه غيري كثيرون: "عن أية فضيلة تتحدثون؟"، خاصة ونحن نعرف وشيخنا الزنداني يعرف قبلنا أن فضائح نظامنا اليمني معروفة.

وصلت إلى مدى جعل البنك الدولي يصرخ همساً في أرواقته أنه "حتى الفساد له حد، إلا في اليمن!"

تمنيت على شيخنا الزنداني أن يرد على سؤالنا إذن: "أية فضيلة ستحارب من أجلها هيئتكم؟".

فلو كانت الفضيلة التي يعنيها تتعلق بأمانة الحكم، بمحاربة الفساد المالي والإداري، برفع الظلم عن البشر، بمنع نهب الأموال والأراضي، فليته يصدر لنا فتوى، تبدأ به أولاً، ثم بقمة الهرم.

وكل "فضيلة" وأنتم بخير!

● "النداء"، العدد ١٦١، الأربعاء ٢٣ يوليو ٢٠٠٨

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

لحظة!

إلهام مانع

بعث إليّ قارئ، غاضب على ما يبدو، برسالة عبر البريد الإلكتروني.

بعثها تعقيباً على مقال "نعم يغتصبين!".

لم يقل فيها شيئاً من عنده، بل ضمنها حديثاً منسوباً إلى الرسول عليه السلام، يقول، وهنا أنقل عنه: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتَه فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح".

وصمت!

فتأملت.

ثم تذكرت.

تذكرت لحظة حاسمة في حياتي، غيرت الكثير من مفاهيمي وقناعاتي.

في السابعة عشرة من عمري كنت.

جديدة على بلدي اليمن، عائدة إليها من أربع سنوات في المغرب، بلد الطيبة والحنافة والإسلام المتسامح، طالبة في الصف الثاني الثانوي.



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

وحينها كانت اليمن، كالمغرب، كمصر، وغيرها من بلدان العالم العربي، تعايش بدء موجة تأسلم إخوانية سلفية، بدت مظاهرها في انتشار حلقات ما يسمى بالـ"دعوة" و"الدرس الديني".

وبرز تحالف الدولة الرسمي مع المؤسسة الدينية "الداعية"، كل لأسبابه السياسية، في صمت السلطات التربوية عن انتشار تلك الحلقات في باحات المدارس.

مدارس البنات ومدارس البنين، لا فرق هنا، لا بين الذكر ولا الأنثى؛ فالدعوة يجب أن تنتشر. ولأنني كنت عائدة جديدة على مثل هذه المظاهر من التدين، ولأنني كنت أتوق لعلاقة روحانية مع الخالق، ثم لأنني كنت أمر بفترة من العمر يبحث ويجرب فيها الإنسان، وجدت نفسي أنجذب إلى تلك الحلقات.

أحببت حديث الداعية الشابة عن الحب والخير في الدين.

ذاك جانب احببته كثيراً.

لكني وجدتتها بعد ذلك، تأخذ حبي للخير في الدين، لتلك الجوانب المضيئة التي نجدها في كل دين، وتتحول معها إلى أفكار بدأت أجدها غريبة، ثم منفرة.

كانت تحدثنا عن الفن، ثم تقول إنه حرام، الله يحرمه.

ثم تحولت إلى الموسيقى تقول إنها حرام، الله يحرمها.

وانتقلت إلى الشعر تقول إنه حرام، الله يحرمه.

ثم ركزت على الفلسفة والمنطق، تقول إنهما حرام، الله يحرمهما.

ثم بدأت تحدثنا عن خالد الإسلامبولي، "الشهيد"، هكذا كانت تسميه، الذي "قتل" الرئيس أنور السادات.

وهنا بدأت أسمعها، وأخذ حذري.

فالـ"قاتل" لا يتحول إلى "شهيد"، حتى لو كان القاتل رئيساً أساء استخدام سلطاته.

ثم إن الله لا يدعو إلى القتل، أليس كذلك؟

وكنت من قبل لا أسمعها وأتلقى فقط.

ورجوتك عزيزتي الشابة، رجوتك عزيزي الشاب، يا من تستمعان اليوم إلى تلك الحلقات وتلك الدعوات، ألا تسمعا فقط وتتلقيا.

أعمالاً عقليهما في ما تسمعا، وفكرا، ثم فليستخر كل منكما روحه، وقلبه، ثم عقله.
حتى لا تتحولا إلى خراف جديدة في قطع "المغسولة عقولهن وعقولهم".
وأنا في سن السابعة عشر، كنت أسمعها وأتفحص كلامها وأدقق فيه، فأرى الثغرات في كل جوانبه.

تقول لي الفن حرام، وأتذكر الأفلام التي رأيته وتركت أثرها في نفسي. العربية والإنجليزية.
وأقول لنفسي: ما الحرام في فن لم يكن متواجداً أساساً في زمن الرسول الكريم؟
تقول لي الموسيقى حرام، وأتذكر أم كلثوم، أه الطرب، ذاك الذي نهز رؤوسنا وقبله قلوبنا معه. ثم أتذكر سيمفونيات شهرزاد، السيمفونية التاسعة، كسارة البندق، وغيرهن، ممن وعيت على أنغامهم في بيتنا. ثم أفكر كيف كانت وما زالت تمثل غذاءً نورانياً لروحي.
وأتساءل: "حسناً، أفهم أنه في زمن الرسول لم تصل معرفتهم إلا للدف والمزمار، لكنهم في زمنه لم يعرفوا أيضاً سوى الجمل والسواك. فهل أكف عن استخدام السيارة، والطائرة، ثم معجون وفرشاة الأسنان، لأن زمن الرسول لم يشهد كل هذه المحدثات؟ لكل زمن أدواته. أليس كذلك؟".

وتقول لي الشعر حرام، فأردد في سري شعر أبي العلاء المعري، وصوت أبي يمازحني بأبياته، وأتساءل: ما الحرام في ذلك؟ ما الحرام في الجمال والرونق في الكلمات؟ ما الحرام في الفكر نضماً الجمال، ورصف الأفكار بالكلمات؟ ثم كيف تحرم الشعر وهو أساس الثقافة العربية؟".

ثم تقول لي الفلسفة والمنطق حرام، فأذكر ابن رشد، وأذكر الفارابي، وأذكر أحاديث أبي فاتأمل، وأقول: ما الذي يخيفها من الفكر، من إعمال العقل؟ لماذا تخاف هكذا من التفكير؟
وانتهبت إلى أنها تحرم كل ما له علاقة بالحضارة، كل ما له علاقة بالثقافة، كل ما له علاقة بالتمدن، وكل ما له علاقة بالحياة.

وعندما تحدثت عن القتل، قلت لنفسي: القاتل لا يكون شهيداً، فأين الله في كل هذا؟
لكن كل ذلك لا يساوي تلك اللحظة الحاسمة التي مرت علي، في إحدى تلك الحلقات، لحظة جعلتني أفيق وأستفيق.
هذه المرة، كانت الحلقة في بيت، بعيد عن الأعين.

والداعية الأكبر سنًا الآن، تحدثنا عن المرأة التي يريد الله في الإسلام؛ إسلامها. وبدأت تعدد الصفات والخصائص، إلى أن وصلت إلى حديث ينسب هو الآخر إلى النبي الكريم. كالحديث الذي أرسله لي القارئ الغاضب.

يقول فيه إن امرأة مرض أبوها، وأصبح على فراش الموت، وأرادت أن تزوره، لكن زوجها رفض، فخرجت رغما عن أمره، وزارت أباه، فلعننها الملائكة.

عندما رددت "الداعية" ذلك الحديث، واستمعتُ جيدًا إلى فحواه، نظرت إليها كأني أنظر إليها لأول مرة. كأني أراها كما هي لأول مرة. هزئت رأسي، وخرجت من عندها، وأنا أدري أنها آخر مرة.

لم أعد إليها ولا إلى حلقات "مجموعتها" من جديد.

كان "الحديث" الفاصل بيننا.

فالله، عزيزاتي، عادل. وأن تلعن الملائكة امرأة لأنها قررت أن تزور أباه الذي يحتضر، لأن زوجها لم يرد ذلك، أمر يتنافى مع معايير العدل. ليس عدلاً.

فالمسألة لا تحتل الأخذ والرد.

ليس فيها نظر.

الله عادل. ومادام عادلاً فليس من العدل أن يعاقب الضحية وينصر الجالاد.

فالأحرى أن تلعن الملائكة الزوج الذي تحجر قلبه ورفض أن تخرج زوجته لتزور أباه المحتضر.

ولأن المنطق مقلوب هنا، أدركت أن ما نتحدث عنه صاحبنا لا علاقة له بالله.

أين الله في هذا الحديث أعزائي؟!

أين رحمته؟ أين رفقه بنا، عزيزاتي؟!

ثم أين عدله؟!

أ يكون الرجل ظالماً وتقف الملائكة معه؟!

تماماً كالحديث الذي أشار إليه القارئ العزيز.

دعا الرجل زوجته إلى فراشه، فرفضت.

فتلعنها الملائكة!

وإذا دعت المرأة زوجها إلى فراشها، ورفض الرجل...؟ كان متعباً، مريضاً، أو لا رغبة لديه، فهل ستلعنه الملائكة أيضاً؟

لا أسمع رداً؟

هل نقحم الله والملائكة في أخص خصوصياتنا؟

حتى في الفراش؟

في علاقة يفترض أن تقوم على المحبة والمودة، لا الغضب.

والله عز وجل، هو الذي يفترض فيه أن يغضب المرأة أن تهب نفسها في وقت لا تريد أن تهب نفسها فيه؟!

جسدها وهي حرة فيه.

ومادامت تحب رجلها، ويحبها، فسيعرفان كيف يتفاهمان.

وفي كل الأحوال، فإن الامتناع يزيد من الشوق في العلاقة، حتى لا يتحول إلى خبز بايت ناشف.

هل نتحدث هنا عن الله سبحانه وتعالى، عزيزاتي؟ عن الإيمان به؟ أم عن رؤية تدعو المرأة إلى ألا تكون فرداً، كياناً، أو روحاً مستقلاً؟ تدعوها أن تكون جزءاً من الرجل، من رغباته، من أوامره، وأن تخضع، تخضع، ثم تخضع.

الله لا علاقة له بهذا الحديث.

فالله لن يدعو ابنة إلى تجاهل أبيها المحتضر.

أي رب سيكون، لو فعل؟

والله لن يأمر امرأة إلى ممارسة الجنس مع زوجها رغماً عن أنفها، حتى وهي كارهة.

لو كان رجلاً، وليس كل الرجال هكذا، أعرف ذلك، لكن لو كان رجلاً من هذا النوع سيفعل.

لكن سبحانه ليس ذكراً، تماماً كما أنه ليس أنثى.

هو الرحمن وكفى.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

وهو رب الرجل، ورب المرأة.

لا يميز بينهما.

ويقولون "الله يميز بينهما، والله هو الذي يقول". والواقع أنهم هم من يميزون وهم الذين يقولون، تنزه سبحانه عما يقولون.

ومادام الأمر كذلك، فأني دين تروج له تلك الداعية؟

وقد استغرقني الأمر أكثر من عقدين، حتى تمكنت من الفصل بين ما يقولونه، ويصرون أنه الدين، وبين الإيمان الروحاني، ذلك الذي يملأ المرء بمحبة الله والخلق والكون، لكنه يصر في الوقت نفسه على إمكانية أن يعيش الإنسان منسجماً مع عصره، ومفاهيم المساواة وحقوق الإنسان كما نعرفها اليوم.

تمكنت من فعل ذلك، لكنني أدركت في الوقت ذاته أن الحل الذي وجدته لنفسي، لا يكفي. بل يجب أن يكون مؤسساً وعاماً، ولن يحدث ذلك إلا بإصلاح جوهر الدين، إصلاح لا يكفي بالتجميل الذي دأبنا على اللجوء إليه منذ أكثر من قرنين، ونصمت عن النص الديني بدءاً من القرآن الكريم وانتهاء بالأحاديث التي تنسب إلى النبي الكريم.

ولكيلا يكون حديثي عاماً سأقدم لكم في المقال القادم مثلاً محدداً عن المرأة في النصوص الدينية، وأطرح وجهة نظري عليكم، فاستمعوا إليّ، ولا تنفروا، ثم ميزوا، وقرروا.

● "النداء"، العدد ١٦٣، الأربعاء ٦ أغسطس ٢٠٠٨



سأسافر إلى سوريا وأكلم "ملكها"!

إلهام مانع

"أريد أن أساعد".

قالتها لي صغیرتي سلمی اليوم وبحدة. في الثامنة من عمرها، وترید أن تساعد!

نظرت إليها وأنا أريد أن أحتضنها بأهداب عيني. "أريد أن أساعد". هذه المرة قالتها بتصميم، كأنها تصر على إقناعي أنها "ليست صغيرة".

وأردفت: "يمكنني أن أسافر إلى هناك". و"هناك" تعني تحديداً سوريا. وتساءلني: "ألا يوجد ملك هناك في سوريا؟".

ابتسمت، وقلت: "لا. بل رئيس. لكن في بلداننا لا فرق بين الرئيس أو الملك؛ ففي النهاية من يحكم، يملك الأرض وما فوقها". ردت بجدية: "حسناً، إذن سأسافر إلى سوريا، وأحدثه".

تحدثه عن ماذا؟ تسألون؟

تحدثه عن قادة إعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي الاثني عشر (أحد عشر رجلاً وامرأة) يقفون في قفص الاتهام بتهمة "النيل من هيبة الدولة، وإيقاظ النغرات العنصرية والمذهبية وإنشاء جمعية بقصد تغيير كيان الدولة وترويج الأنباء الكاذبة". تهم خطيرة يعرف من دونها وخطأها في عريضة الاتهام أنها عارية من الصحة.

إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

وصغيرتي تريد أن تسافر إلى "ملك سوريا"، تريد أن "تحدث معه"، وتريد أن "تقنعه".

وأنا، التي أدخلتها في الموضوع دون قصد عند حديثي عن مقال قرأته للمحاماة والناشطة الحقوقية السورية رزان زيتونة في صحيفة "الجريدة" الكويتية، والتي تتولى مهمة الدفاع عنهم أمام محكمة الجنايات، وجدت نفسي أندم لأنني طرحت أمامها موضوعاً "كبيراً" كهذا؛ فالصغيرة انفعلت وأنا أقص عليها كيف قبض على المجموعة، ومنها المفكر والسياسي والناشط المدني والمعلم، قبض عليها رغم إيمانها بأن التغيير لا يتم إلا سلمياً دون عنف، وإصرارها على الديمقراطية والتعددية كوسيلة لذلك التغيير، ثم إعلانها دوماً حسن نيتها بعقد جلساتها بشكل علني.. كل مرة.

ورغم ذلك رُج بها في السجون.

لكنها دول تخشى من يؤمنون بالشمس نبراساً في العمل. تخشى منهم كثيراً، ولذلك رُج بالمجموعة في السجون.

وندمتُ أكثر أنني حدثتها عن طبيعة الحياة في السجون في بلداننا العربية، وما ينتظر السجين هناك من "مظاهر ترحيب".

وانتهبت إلى عينيها المتسعيتين، والألم، ثم الغضب، ثم تلك العبارة تخرج من قلب الطفولة "أريد أن أساعد".

وتصمم "سأسافر إلى هناك وأكلم الملك".

ولأنها كانت جادة، سألتها أنا الأخرى جادة: "وماذا ستقولين له؟".

ردت: "سأقول له: هم يتحدثون، وليس من الضروري أن تفكر مثلهم، لكن دعهم يتحدثون". والغريب أنها لم تفكر أن تطلب منه أن يطلق سراحهم. كأنها أدركت بطفولتها، أنه متى ما ترك لهم حرية الرأي، فإن الحرية بمعناها الواسع ستلحق حتماً.

هذا ما قالت له لي ابنة الثامنة؛ تريد أن تساعد، تريد أن تسافر، إلى هناك، سوريا، وتريد أن تقابل الملك، "ملك" سوريا، تقول له: "دعهم يتحدثوا. ليس من الضروري أن تشاركهم الرأي. لكن دعهم يتحدثوا".

وأنا من بعدها أردت: "وحبذا لو أطلقت سراحهم قبل ذلك!".

● "النداء"، العدد ١٦٤، الأربعاء ٢٠ أغسطس ٢٠٠٨

إلهام مانع

من أجل هوية السابج

أن تُدفن حياً!

إلهام مانع

أردت أن أعود بكم حيث قطعت حديثي في مقال "لحظة".
بيد أنني فضلت التريث حتى انتهاء شهر رمضان الكريم.
قلت لنفسِي: سيظن البعض أنك تتعمدين الاستفزاز
عندما تتحدثين عن "النص" ومدى "قدسيته"، وأنا لا
أريد أن أستفز ولا أن أثير.

كل ما أريده قليلٌ من التفكير.

قررت -لذلك- التأمي، وعدت من جديد إلى
الصمت؛ صمت العمل.

وفرحت بالصمت أيضاً، ربما لأنني أتنفس
بالعمل.

ثم قرأت خبراً أخرجني من عزلتي
عنوة.

لعل الخبر مرّ عليك عزيزتي! لعله مر عليك
أيها العزيز!

فكيف فكرتما؟

الخبر جاء من قطاع غزة، تاريخه ٣١ أغسطس الماضي، ومضمونه كما يلي: لقيت فلسطينية
حتفها خنقاً تحت الرمال بعدما دفنها أبوها حية. وقال مصدر في الشرطة الفلسطينية إن أبا
في العقد السابع من عمره سلم نفسه للشرطة، وأبلغ أنه قتل ابنته، وهي مطلقة في الرابعة



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

والعشرين من عمرها، بدفنها وهي حية، على خلفية "شرف العائلة".

دفنها في حفرة وهي مقيدة اليدين والرجلين ومغلقة الفم بشريط لاصق، ثم هوى بالتراب عليها، ودفنها؛ دفنها كي يتخلص من "عارها".

عادات جاهلية، تقولون؟

صحيح، رغم أنني على قناعة أن ثلاثة أرباع ما يقال عن تاريخ الجاهلية في حاجة إلى إعادة تفكيرك وتمحيص وبحث، كي نتأكد فعلاً إن كان ذلك التاريخ "جاهلياً" حقاً. لكن لنتجاوز هذا الاعتراض ونعود إلى السؤال:

أهي جاهلية لأنه دفنها حية؟
فقط؟

دعوني -إذن- أتسلل إلى نفوس بعضكم، تلك التي همست لنفسها قائلة: "تراها لعبت بذيلها. أليست مطلقة؟! ولعلها عاشرت رجلاً وأبوها كشفها! والأحرى أنها لقيت ما تستحقه!".

بعضكم سيقول هذا. لكنه سيهمس لنفسه في الوقت ذاته وبسرعة: "أما إن يدفنها، فهذا جنون فعلاً. ربما لو ضربها علة ساخنة وكسر عظامها لكان الأمر مقبولاً".

امرأة، شابة، في الرابعة والعشرين من عمرها، تزوجت، ويعلم الله كيف تزوجت، ثم تطلقت، ويعلم الله وحده لم تطلقت. ولأنها تطلقت أصبحت "شبهة"، أصبحت "عبثاً"، في الواقع أصبحت "مسيبة".
مسيبة.

لأنها فقدت عذريتها بالزواج، أصبحت قادرة بعد الطلاق أن تعاشر من تريد دون خوف من فقدان "شرفها". لا حاجة لها لتقديم "إثبات الشرف"، متمثلاً في قطرات دم تنفر أو لا تنفر يوم دخول رجلها بها.

ولعل المسكينة لم تعاشر سوى مخيلتها، ورغم ذلك اتهموها، وصدق أبوها، دفنها حية!
لكني أسألكما: وماذا لو كانت قد عاشرت رجلاً فعلاً؟
ماذا لو فعلت ذلك فعلاً؟

هل نلعنها؟ هل نضربها؟ ثم هل نقتلها؟

بأي حق نهينها؟ بأي حق نضربها؟ وبأي حق نقتلها؟
بأي حق؟

وأرى نظراتكما الحائرة، تلك التي تسألني: "ماذا تريدان؟".

أقولها لكما مباشرة وبلا مواربة:

جسدها ملكها. تفعل به ما تشاء.

أقول هذا وأنا أدري معنى ما أقوله.

وأقوله رغم اقتناعي، وإصراري على ضرورة أن تحترم المرأة جسدها، ألا تحوله إلى مطية لكل رجل، ثم لا تمارس الحب إلا مع من تحبه. والأحرى أن تأخذ حذرهما كثيراً من رجالنا "المتقفين" المؤمنين بـ"حرية المرأة" عندما يتعلق الأمر بممارسة الجنس معهم، ثم لا يرون من حريتها سوى جسدها.

"خذي حذر منكم كثيراً، ثم تمهلي، وتعلمي كيف تختارين رجلك".

تماماً كما أنني أظل محافظة جداً في ما يتعلق باحترامي لمؤسسة الزواج، وعلاقة المودة والرحمة التي تجمع بين الزوج وزوجته، وأظل بجعة في عالم الطيور، لا تعاشر سوى رفيق حياتها.

رغم اقتناعي بذلك كله، أعود وأقول: جسدها ملكها، ليس "عبوة شرف"، نحفظها في "ثلاجة" ثم نزيل الثلج عنها ليلة الزفاف، وننام مطمئنين أننا سترنا "العار"، وتخلصنا من "همها". أي هم هذا تحملوننا أثقاله؟!

حديثي ليس رمضانياً كما لاحظتم. وربما كان الأجدر أن أكمل معكم ما بدأت في مقال "لحظة"، لأنني أعرف، عندما يتعلق الأمر بالمرأة وبجسدها، يصبح الطريق محفوفاً بالآلاف الألغام، دائرة محظوراً التفكير فيها، محظوراً الحديث فيها بصورة "مباشرة لا مواربة فيها"، نرقص حول الموضوع، ولا نقرب منه أبداً.

لكنني قطعت على نفسي عهداً، هل تذكرونه؟

سأكسر جدار الصمت، وسأكتب ما أفكر به كما هو، لا أرقص حوله، لا أجمله، ولا أبحث عن صيغة دبلوماسية لطرحة.

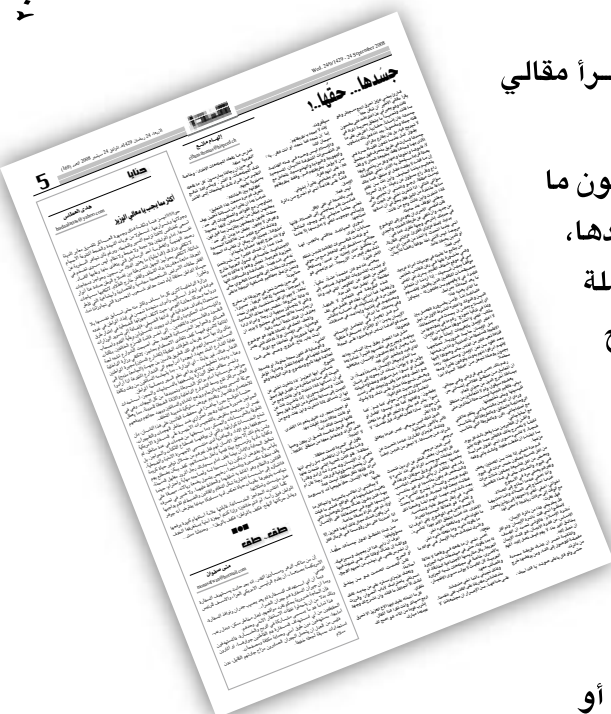
اقبلوه، أو ارفضوه، هذا حقكم.

لكن لا تلعنوني وأنتم ترفضونه.

• "النداء"، العدد ١٦٧، الأربعاء ١٠ سبتمبر ٢٠٠٨

جسدها... حقها..!

إلهام مانع



قارئ يماني عزيز أحرق أربع سجائر وهو يقرأ مقالي الأخير "أن تدفن حياً".

لكنه وهو يعبر لي عن اعتراضه على مضمون ما قلته، وتحديدًا ما يتعلق بحرية المرأة في جسدها، كان إنسانًا، حضاريًا، اعترض على ما قلته جملة ومضمونًا، بيد أنه فعل ذلك بأسلوب لا تجريح فيه، بل كان يقارع بالرأي.

يقول: "هل عندما تكون الفتاة حرة في جسدها وسارت في طريق منحرف، فهل سيلحق الأذى بها وحدها فقط؟ بطبيعة الحال لا وألف لا: فأبوها وأخوها وأمها وكل من ينتمي إليها بصلة قرابة، سيلحق به الأذى. أختي الفاضلة: إن ما قلته لا يقبله عقل أو منطق، فما بالك بتعاليم ديننا الحنيف. وأين أنت من "كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته". ثم إن الحرية ليست مطلقة. أرجو وأتمني أن تجيبني على سؤالي التالي: إذا تأخرت أختي عن البيت إلى ساعة متأخرة من الليل، فهل يحق لي أن أسألها لماذا تأخرت وأين كانت ومع من كانت؟"

منطق، فما بالك بتعاليم ديننا الحنيف. وأين أنت من "كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته". ثم إن الحرية ليست مطلقة. أرجو وأتمني أن تجيبني على سؤالي التالي: إذا تأخرت أختي عن البيت إلى ساعة متأخرة من الليل، فهل يحق لي أن أسألها لماذا تأخرت وأين كانت ومع من كانت؟

إلهام مانع

من أجل هوية الأسبوع

جعلني أتوقف عند حديثه.

قلت لنفسي: "الأحرى أن تعودني إلى الموضوع من جديد، وأن تكفي عن طريقة الضرب والجري في حديثك. اشرحني وجهة نظرك. كما هي".

بداية، لاحظ عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، أنني عندما أتحدث، لا أتخذ من الدين، أي دين، مرجعاً. ليس لأنني أخذ موقفاً رافضاً للإيمان، أو للدين بصفة عامة. ليس فعلاً.

من يتابع ما كتبت في يوميات امرأة عربية، وهي منشورة كلها في ركن الكاتب الخاص بي في موقع "شفاف" القديم، يدرك أنني أتبنى موقفاً يمكن تسميته -إذا أردنا أن نتعامل بمصطلحات المثقفين الذين يكتبون لأنفسهم كثيراً، كي لا يفهمهم من يكتبون له- يتجاوز "ما بعد الحداثة" بمراحل.

ما الذي يعنيه هذا؟

علمانية أنا. أو من ضرورة الفصل بين الدين والدولة، وأعتبره الشرط الأول من أجل أي إصلاح يمكن أن يحدث في مجتمعاتنا، ولنا في تركيا نموذج -رغم ما في نموذجها من مثالب- لكني لا أتخذ موقفاً سلبياً من الإيمان، لا أعتبر الإيمان بالغيبيات "إيماناً خرافياً".

بل الإيمان حاجة ضرورية، تحتاجها الأغلبية الساحقة من البشرية، وأنا من ضمنها. قناعة تعب كثير من الناس حتى وصلوا إليها بعد عقود من لعن "الإيمان" وسنسفيله. ربما لأنهم أدركوا أنهم بدونها يتوهون كثيراً، ومعه يجدون بوصلة تجعل من "عبثية" الحياة أمراً محتملاً.

رغم ذلك، أصر في قراراتتي وفي حياتي، أن أتعامل من منطلق عقلاني إنساني حر. ببساطة أخرج الدين من حيزي العام.

بعضكم سيقول، ولم لا تتعاملين من منطلق ديني، فالقيم الدينية ليست حلة تختارين متى تلبسينها ومتى تخلعينها.

وردي أن الدين بالنسبة لي ينظم علاقتي الروحانية بالخالق، وبالطريقة التي تتناسب مع احتياجاتي. أكرر، وبالطريقة التي تتناسب مع احتياجاتي.

وأظن أن الكثيرين منا يفعل ذلك كل يوم، لكننا لا نصرح بذلك، فالكثير مما أقوله يثير ضجة،

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

لا لشيء سوى أنني أقول صراحة ما اعتدنا أن نفعله خفية. ولذلك يأتي وقعه مزعجاً.
كم مرة تصلي إذا كنت من المصلين؟ بعض من أهل السنة يصلون خمس مرات في اليوم.
وبعض من أهل الشيعة يصلون ثلاث مرات في اليوم. والخلاف حتى في هذا التفصيل.
وغيرهم يصلي مرة في الأسبوع.

وأنا أصلي عندما أحتاج إلى الصلاة.

عندما أحتاج إلى الصلاة، وأنا أحتاجها إخوتي، أصلي. لكني لا أحولها إلى روتين يتحول
مع الوقت إلى حركات رياضية لا معنى لها.
فهل كفرت؟

هل يخرجني هذا من دائرة الإيمان؟

لاحظوا أنني قلت "دائرة الإيمان" ولم أقل "دائرة الإسلام". فالأولى تحدد أن الهدف، الأساس،
من فكرة الأديان، هو الله، الإيمان بخالق أكبر منا. لا يهم كيف نصل إليه. المهم أن نصل
إليه.

والثانية تصر أن هناك طريقة محددة مفصلة للوصول إلى الله، ومن يرفضها خرج من
دائرته.

حتى ولو قال بأعلى صوته "يا الله أحبك"، سيكفرونه.

لأنه لا يحبه بـ"طريقتهم".

إما "أن تحبه كما نحبه، أو أنت كافر.. به"!

سبحان الله!

والإسلام ليس وحده في هذه القناعة. كل التفسيرات المتطرفة للأديان، المسيحية واليهودية
والبوذية والهندوسية، تتعامل مع من لا يؤمن "بطريقتهم هم"، فقط "بطريقتهم هم"، على أنهم
كفرة.

وهو أمر يضمنني كثيراً، إخوتي.

فأنا على قناعة أنني لم أخرج من دائرة الإيمان.

ليس فعلاً.

ليس بالنسبة لي على الأقل.

فمادمت أقر بحاجتي إلى الصلاة، فإنها تعني حتمًا حاجتي إلى وجود الخالق، وإيماني بوجوده، لكني لا أمارسها إلا عندما أحتاجها.

أموري الحياتية، علاقتي بالغير، لها حسابات أخرى.

لو تركت التفسيرات القائمة للدين تنظم حياتي، سأضطر إلى التعامل مع من حولي من منطلق "مدى إيمانه" من "عدمه"، وسأفعل ذلك بقدر كبير من "الأريحية". أمر يزعجني هو الآخر كثيرًا.

بمعنى أنه لو كان "ملحدًا" مثلاً، "مثلياً"، أو يشرب المشروبات الكحولية، فسأعتمد إلى "الغض من النظر" عن "النقص" التي فيه، وأنا "مقتنعة" أنني "أفضل منه" ألف مرة.

هذه الطريقة في التعامل لا أقبلها، وأرفضها. فما أدراني، لعله هو أفضل مني ألف مليون مرة. في إنسانيته، في إحساسه بالناس ومصابهم، في إنتاجه وإبداعه، في صداقاته، وفي بسماته. ما أدراني؟

ثم هل المعيار في التعامل الإنساني "الإيمان بدين"؟ أو الالتزام "بمسطرة خلقية" حدد قواعدها أناس لم يقدروا على الحياة فلعنوها؟

مثل هذا المعيار يفرق بين الناس، يباعد بينهم، ويجرح في أنفسهم كثيرًا. تمامًا كما أنه معيار لا يلم بمكنون الإنسان، بالتعقيد الذي فيه، وبالخير الذي فيه.

ما الذي يجعل الإنسان إنساناً فعلاً؟ أن يؤمن أو لا يؤمن؟ شأنه. لن يحوله إلى إنسان أفضل أو أسوأ. بل سلوكه وعطاؤه لبيئته هو المحك. وكم منا يقف وزبيته على رأسه، وبعض شيوخننا مثال على ذلك، ولا يلوك لسانه سوى حديث الكراهية؟

أتعامل لذلك مع من حولي "كما هم". "كما يفعلون". وأقبلهم "كما هم". ليسوا "أفضل أو أسوأ". بشر هم. مثلي. والخير هو في ما نفعله لمن حولنا. "ماذا فعلت لغيرك، قبل نفسك؟" لا أقل ولا أكثر.

الدين لذلك ليس مرجعي. ليس عندما يتعلق الأمر بالأمور الحياتية.

ولذلك، عزيزي القارئ، عندما أتحدث عن المرأة، عن جسدها، لا أجعل من الدين أيضاً مرجعي.

ليس الدين مرجعي.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

كل الأديان، بغض النظر عن أي دين نتحدث عنه، تعاملت مع جسد المرأة على أنه "شيء لا يخصها". يجب لفه في ورق سولفان، وركنه في رف، في انتظار أن يأتي الشخص المناسب. والشخص قد يكون مناسباً أو غير مناسب، المهم عريس والسلام، يُخرج "الشيء" من غطاءه، يبعث فيه الحياة، أو يدفنه. ما يحدث بعد ذلك ليس مهماً. المهم أننا وضعنا ذلك "الشيء" في إطار نسيطر عليه، ونمأسسه.

و"الشيء" هو العلاقة الجسدية للمرأة.

لا أقحم الدين في الموضوع، لأنني أعرف أنا الأخرى، أنه عندما يتعلق الأمر بهذا "الشيء"، ما نقوله شيء، وما نفعله شيء آخر.

ما نقوله شيء، وما نفعله شيء آخر.

واترك لخيالك حرية الإبحار في عوالم ما نفعله!

أُصر أخي أن ما نفعله في واقعنا لا علاقة له بما نقوله، حتى في مجتمعات شبه الجزيرة العربية، بكل متاريسها الاجتماعية الخانقة، أو بالأحرى، خاصة في مجتمعات شبه الجزيرة العربية، لأن الكبت لا يولد سوى الانفجار، والمصائب معها.

ولذلك تجدني دائماً أخي مندهشة.

مندهشة من مقدرتنا على الكذب على أنفسنا، على خداعها، من الإصرار أن مجتمعاتنا "لا تمارس ما تفعله المجتمعات الأخرى"، وبخاصة "الغربية" منها.

في حين أن رجالنا يمارسون "كل" ما تفعله تلك المجتمعات، و"أكثر"، و"بشراهة" تدفع الكثير من أفراد تلك المجتمعات إلى التندر بسخرية عليهم.

"عقولهم بين أفضالهم".

أتعرف كم مرة سمعت هذا التعليق؟

تماماً كما أن كثيراً من نساءنا تعلمن كيف يتماوجن مع القواعد والمحظورات إلى "حد"، بعضهن يخفن من أجسادهن، لأنها "مصبية" حطت عليهن، وبعضهن يلتزمْنَ بما قيل لهن، وغيرهن لا يابهن، "يفعلن ما يردن" إلى "حد".

ولذلك تخرج كثير من علاقاتنا الحسية "مشوهة"، كجنين كان يمكن أن تكتب له الحياة لولا أنه خرج إليها "مصاباً بالجذام".

هذا عدا أن هناك كثيرًا من شرائحنا الاجتماعية، خاصة في الدول العربية خارج الجزيرة العربية، تعيش واقعًا لا علاقة له بما "ندعي أنه فينا". المصادقة والمساكنة، كلها تعبيرات دخلت إلى قاموسنا اللغوي، حتى ونحن نزق بمفاهيم السلفية الدينية بأعلى حناجرنا.

على حين نبحت نحن في جزيرتنا عن مخرج لا "يخرجنا"، فنسميه زواجًا "عرفيًا"، "مسيارًا"، "متعة"، لا يهم أي لقب نستخدمه، المهم أن نحدد له هالة "مشروعة"، نطمس بها معالمه الأساسية، والتي لا تتجاوز بديهية أن رجلاً وامرأة أرادا أن يمارسا علاقة حسية في مجتمع لا يريد أن يعترف أن هناك شيئًا اسمه رغبة.

والمحك، المحك في المسألة كلها، هو موضوع "الوصاية"، على الإنسان أولاً، ثم تلك التي نصر على أنها ضرورية في تعاملنا مع المرأة.

أنت كآب، كآخ، كزوج، وصي على هذا "الشيء".

والوصاية قد تكون محبة حنونة، أو قاسية جلفة، لكنها في النهاية تظل "وصاية". تؤطر علاقة فيها تابع ومتبوع. وأنتِ التابعة وهو المتبوع.

تسألني أيها العزيز "إذا تأخرت أختي عن البيت إلى ساعة متأخرة من الليل، فهل يحق لي أن أسألها لماذا تأخرت وأين كانت ومع من كانت؟"، وأسألك بدوري: "إذا تأخرت أنت عن البيت إلى ساعة متأخرة من الليل، فهل يحق لها أن تسألك لماذا تأخرت، وأين كنت، ومع من كنت؟". لو أجبت بنعم، أرد عليك بنعم أنا الأخرى.

لو كانت علاقة ندية، لقبلت بها.

لكنها ليست كذلك أبدًا.

يعطي الرجل لنفسه الحق أن يكون وصيًا على المرأة، ويتعامل معها من منطلق "الملكية"، لا "الندية".

تقول لي "الحرية ليست مطلقة".

وأنا مضطرة أن أناقضك. بل رأيي أنها "مطلقة". فلو كانت الحرية التي نتحدث عنها تعني أن الإنسان ولد حرًا، له إرادة، وقادرًا على أن يتحمل مسؤولية قراراته، رجلاً كان أم امرأة، فإنها تظل مطلقة. ليست هبة.

ولد بها الإنسان، حقًا طبيعيًا له، لا مساومة عليها.

لا يمكنني أن أطالب بالحرية، وأتجاهل ما تعنيه مضامينها في الواقع. فمتى ما قبلت بها، فلن يكون هناك مجال للوصاية التي نمارسها اليوم في مجتمعاتنا على الإنسان أولاً، ثم على المرأة بصفة خاصة.

لن يكون هناك مجال لذلك أيها العزيز، إلا إذا أصررنا على دفن رؤوسنا في الرمال ككل مرة.

من هذا المنطلق أقول "جسدُها، حقُّها، مسؤوليتها".

أعرف أن رأيي هذا لن يعجبك. وسيزعجك. ووالله إن هناك أوقاتاً تمر عليّ تمنيت فيها أن أخرس قلبي، كي أجنب من أحبهم الوجع، أو الحرج.

لكن الصمت، الصمت هو من يخلق أحلامنا.

ولعلك عزيزي سترد عليّ من جديد. لكنك أسرتني باحترامك لأداب الحوار، وقررت لذلك ألا أتجاهل ما قلته، وأن أشرح لك وجهة نظري.

كل ما أتمناه عليك أيها الأخ العزيز ألا تحرق أربع سجائر وأنت تقرأ هذا المقال.

اشرب كوباً من الماء، هو أصح لك.

عيدكما مبارك.

● "النداء"، العدد ١٦٩، الأربعاء ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٨



"سلطان" ليبيا وحلواه!

إلهام مانع

هناك شيء مزعج في السلطة عندما تزيد عن حدها. وعندما يتعلق الأمر بالسلطة المطلقة، يتحول الإزعاج إلى مقت مخيف.

استمعوا معي إلى الخبر التالي: "أكدت السلطات الليبية الخميس ٩ أكتوبر، أنها قررت سحب أرصدها البالغة سبعة مليارات دولار والمودعة في المصارف السويسرية، كما أنها ستعلق تسليم النفط لسويسرا، احتجاجاً على سوء معاملة الدبلوماسيين ورجال الأعمال الليبيين من قبل شرطة كانتون جنيف".

تعرفون بالتأكيد أن عبارة "سوء معاملة الدبلوماسيين ورجال الأعمال الليبيين من قبل شرطة كانتون جنيف"، تعني بها السلطات

الليبية واقعة "توقيف النجل الرابع للعقيد معمر القذافي وزوجته، في ١٥ يوليو/ تموز الماضي، في جنيف، بتهمة الاعتداء على اثنين من خدمه، وهما تونسية ومغربي".

بكلمات أخرى: لأن ابن العقيد القذافي، أتهم بضرب خادمين لديه، في واقعة تدخلت فيها



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام



شرطة كانتون جنيف، تحولت كل "مؤسسات الدولة الليبية" إلى أداة تُجبر "لحفظ ماء وجه" الابن الغاضب.

"كيف يقبضون علي، وأنا ابن السلطان؟".

وابن السلطان ليست له صفة خارقة، سوى إنه ابن السلطان.

مؤسسات الدولة تتحكم فيها أسرة، يتنازع أفرادها في صراع أجنحة، فتقرر "الدولة" في ظرف ساعات، أن "تتخذ قرارًا سياديًا" كي تحسم الصراع بين أبناء الزعيم!

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

ولذا قررت ليبيا "مرة أخرى" تعليق تسليمها النفط لسويسرا.
كانها طفل يلعب بحلواه: "سأعطيك هذه القطعة إذا قلت لي أسف".
طفل يضرب بقدمه على الأرض، ويحزن.
"قل لي: أسف، وإلا والله لن أعطيك من حلواي".
ولأن سويسرا دولة، تتعامل بمنطقة الدول العريقة في مؤسساتها، فإنها لا تفهم كيف يلعب الأطفال في علاقات الدول، لا تفهم "منطق هذه اللعبة".
لا تفهمها.

بالنسبة لها ما حدث كان أمراً يتعلق بواقعة قضائية.
شخص، بغض النظر عن طبيعة هذا الشخص، اتهم بالاعتداء على اثنين من خدمه.
شرطة كانتون جنيف اتخذت الأجراء الطبيعي في مثل هذه الحالة.
قبضت عليه.

فالبشر هنا سواسية أمام القانون، ليسوا آلهة جُبلوا من طينة سماوية سلطانية.
ولم يكن لذلك فيما فعلته الشرطة السويسرية ما يثير الاستغراب.
وزيادة في الحرص، تشكلت لجنة تقصّ سويسرية، عمدت إلى دراسة وقائع ما حدث،
وأكدت أن إجراء شرطة كانتون جنيف كان مستوفياً الشروط القانونية.
لم تتجاوز شرطة كانتون جنيف صلاحياتها.

وأظنني لا أبالغ إن قلت إن السلطات السويسرية تمنّت في قرارة نفسها لو تتوصل لجنة
تقصي الحقائق إلى نتيجة أخرى، لعلها تمنّت أن تكتشف اللجنة أن شرطة كانتون جنيف
تمادت في إجراءاتها، أنها انتهكت قانوناً أو إجراءً. تمنّت ذلك في قرارة نفسها كي تنهي أزمة
دبلوماسية تثير السخرية بقدر ما هي مثيرة للإزعاج.
لكن اللجنة توصلت إلى نتيجة أخرى.

فسقط في يد السلطات السويسرية. لأنها دولة تمارس فيها مؤسساتها دورها، لا يتحكم
فيها فرد، أو أسرة.

لكن ليبيا، أو بالأحرى بعض أفراد الأسرة المالكة، يصر على "تقديم الاعتذار".

اعتذار على ماذا يا جماعة الخير؟

من الذي ضرب هنا؟

لكنه منطق القوة، القوة المطلقة، تضرب، ثم تبكي، ثم تشتكي، ثم تعاقب.

ولأنه منطق لا عقل فيه، تقرر "الدولة" أن تسحب مليارات من البنوك السويسرية.

ولم ينتبه من اتخاذ القرار إلى أن السؤال البريء الذي سيعقب الإجراء: "مليارات مَنْ التي تسحبها السلطات الليبية؟".

تمنيت فعلاً أن تكون مليارات الدولة الليبية، لا مليارات من يملك الدولة الليبية.

وسويسرا؟

تهز رأسها حائرة.

لا تفهم كيف يلعب الأطفال في علاقات الدول.

ثم لا تفهم "منطق هذه اللعبة".

وتكرر، من جديد: "لن تؤذي ليبيا سوى مصالحها".

هناك بالفعل شيء مخيف في السلطة، عندما تصبح مطلقة.

● "النداء"، العدد ١٧٠، الأربعاء ١٥ أكتوبر ٢٠٠٨

إلهام مانع

من أجل هوية الأسبوع

أوباما!

إلهام مانع

استمعت اليوم إلى خطاب باراك أوباما، يعلن فيه فوزه في الانتخابات الرئاسية للولايات المتحدة، وتأملت! هذه هي الولايات المتحدة التي أحببتها عندما درست فيها. هذا هو الجانب الذي سحرني فيها دوماً رغم اختلافي أحياناً مع سياساتها الخارجية. تلك التي تقول للإنسان: كن ما تكون! في النهاية، ما تفعله هو ما يصنعك.

الحلم الأمريكي!

ليس بيتاً وسيارتين وكلباً.

ليس ثقافة استهلاك.

ذاك جانب نفرت منه دوماً.

بل إمكانية أن "تكون" إذا "أردت".

الكرة في ملعبك.

أنت المحك.

وأنت التي تختارين.

يمكنك أن تدفن نفسك حياً إذا شئت.



إلهام مانع
من أجل هوية المسلمين



ويمكنك أن تخلق نفسك من العدم إذا أردت.
أنت أنت من يختار.
ثم أنت أنت من تقرر.

كان حلمي دومًا، قبل أن أعرف الولايات المتحدة.
فالإنسان دومًا هو الإنسان، بغض النظر عن موطنه.
حلم الإنسان.
أن يقول: "أريد كي يستطيع!"

إلهام مانع
من أجل هوية الإنسان

أن يقول: "سأكون" كي يكون إنساناً.
أن يقول: "أمنت بوجودي" كي يكون شيئاً.
ثم أن يقول: "سأعمل" كي يكون جديراً بالحياة...
حلم الإنسان.
"حلمي في حتى لو تعثرت..
ألمي في يقيني حتى مع الشك.
ووطني أنا ولو انهار الوجود من حولي.
وطني حيث أكون.
وطني حيث أتنفس.
وطني الإنسان".

ثم.. تساءلت.
هنا في أوروبا، وهناك في البلدان العربية، كثيرون كانوا يدعمون باراك أوباما مرشحاً
كرئيس للولايات المتحدة. يدعمونه فرحين، يدعمونه بقوة.
وسؤالي كان مزعجاً: ترى، لو كان باراك أوباما مرشحاً فعلياً للرئاسة في بلد أوروبي أو
في بلد عربي (نحن بالطبع نتخيل عندما يتعلق الأمر بانتخاب رئيس في بلد عربي) هل كان
هؤلاء سينتخبونه؟

هل كانوا سينظرون إليه، كما هو، بعيداً عن لون بشرته؟
بشرته لونها أسود.
وأنا عشت في بلدان ثمانية، وتنقلت في أنحاء متفرقة في العالم، ولم أعرف فيها دولة
أوروبية أو عربية لا تمارس نوعاً من العنصرية ضد من خلقه الله ببشرة سوداء.
"اللون الداكن خيف".
"يخيف كثيراً".

ولو تذكرن، ستجدون أن الكثير منا، خاصة في بلدان شبه الجزيرة العربية، لا يزال يستخدم

كلمة "عبد" عندما يشير إلى إنسان لونه أسود.

يا الله! كم مرة جفلت وأنا أستمع لوقع الكلمة؟

ما أقبح التمييز في صورته العنصرية.

واللون الداكن كان مخيفاً ولا يزال في الولايات المتحدة.

لكنه لم يكن عائقاً اليوم.

فالقوة، القوة الفعلية في الإنسان، هي عندما يتمكن من تجاوز خوفه، من تجاوز "تحيزه المبطّن"، و"عنصريته الكامنة"، ثم يقرر، يقرر لصالح الإنسان.

ولذا كان الجواب عندما يتعلق بالولايات المتحدة واضحاً: "لا يهم لونه". نحن نؤمن بك.

ماذا عنا؟! وماذا عن أوروبا؟!

لو جاءنا إنسان بفكر نؤمن به، هل ننتخبه لو كان لونه أسود؟! ثم هل ننتخبها لو كانت

امرأة؟!

٥ نوفمبر ٢٠٠٨

● "النداء"، العدد ١٧٤، الأربعاء ١٢ نوفمبر ٢٠٠٨

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

وُلِدَ الْإِنْسَانُ حُرًّا...

إلهام مانع



هل هناك نموذج إسلامي لحقوق الإنسان؟

أسألكم وأنا أدري أن بعضكم سيهز رأسه تلقائيًا بالإيجاب، يؤيد، وهو بالفعل مصدق أن هناك، حقًا، نموذجًا إسلاميًا لحقوق الإنسان.

يقول ذلك وهو مطمئن.

يقوله مبتسمًا... مرتاح الضمير.

يقول ذلك وهو في الواقع لا ينوى الأذى لغيره.

فما يقوله يعكس قناعة دأبت مناهجنا المدرسية على غرسها في عقول أجيالنا، وزاد الإسلام السياسي فأضفى عليها شرعيته، تقول لهم إننا سبقنا العالم في كل شيء، وحقوق الإنسان أولها.

وهو، الساعي إلى التفكير، لا يجد متسعًا للتفكير، فيصدق.

أطرح السؤال لسبب.

أطرحه لأنني أجد بعض الأصوات ترتفع، بخاصة في المحافل الدولية، تقول "نموذج الأمم



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

المتحدة لحقوق الإنسان نموذج غربي، لا يتفق مع ثقافتنا، وهو نموذج فرضه الغرب علينا، ولذلك لا نقبل به. ما نريده هو نموذجنا الإسلامي لحقوق الإنسان".

سمعت هذا الرأي آخر مرة من إحدى الحاضرات في ندوة "حقوق المرأة والطفلة في الإسلام"، التي نظمتها مؤسسة جنيف لحقوق الإنسان بالتعاون مع معهد القانون العام في جامعة برن يوم ٢٥ نوفمبر الماضي، ودُعيت لإدارة إحدى حلقات النقاش فيه.

وأطرحه لأنني أجد دوماً حرجاً من الجانب الأوروبي، السويسري في هذه الحالة، في وضع النقاط على الحروف.

يجدون حرجاً في لفت الانتباه إلى مواضع الجرح المستمر في حقوق الإنسان، ومن بينها حقوق المرأة، التي تجري في بلداننا العربية، وتبررها حكوماتنا المصونة في تحفظاتها تحت شعار "كل ما لا يتفق مع نصوص الشريعة في قوانين حقوق الإنسان واتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة لن نطبقه".

ومادام ذلك التحفظ قائماً، فالأحرى أن تجمع حكوماتنا كل المواثيق الدولية التي وقعت عليها (بتحفظ)، تجمعها، ثم تمزقها، ثم تنثرها في الهواء هباءً.

كلمات على ورق لا تعني لمن وقع عليها في الواقع شيئاً!

ولذلك أطرح عليكم السؤال من جديد: هل هناك نموذج إسلامي لحقوق الإنسان؟

البعض سيرد: "بالطبع هناك نموذج إسلامي لحقوق الإنسان. كل ما عليك فعله هو أن تطلعي على الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٨١، وإعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام لعام ١٩٩٠".

وفي الواقع أصر أنا في المقابل على من يريد أن يجد إجابة موضوعية وشفافية للسؤال أن يرجع إلى هذين الإعلانين، المتوافرين على شبكة الإنترنت، يقرأهما بتمعن، ثم يقارنهما بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨، والذي نحتفل بالذكرى الستين لإصداره يوم العاشر من ديسمبر الجاري.

إذا فعلت ذلك ستجدين أن هناك فرقاً جوهرياً حاسماً بين المواثيق التي تسمى نفسها إسلامية، والميثاق العالمي لحقوق الإنسان؛ فكل تلك المواثيق، تماماً كتحفظات حكوماتنا المصونة، تصر على أن الشريعة هي المحددة لمفهوم حقوق الإنسان.

كلها.

بكلمات أخرى، ما يتعارض مع الشريعة، ليس "حقاً إنسانياً" من وجهة نظر إسلامية. ولأن تلك المواثيق تعتمد على تفسير كلاسيكي للإسلام، فإنها في الواقع لا تجد غضاضة في أن تنسف جوهر مفهوم حقوق الإنسان من أساسه.

لذلك نجد أن حرية الرأي: أن تقول ما تؤمن به دون خوف، حرية المعتقد، أن تؤمن بما تريد دون إرهاب، وحرية تغيير المعتقد، أن تغير دينك دون خوف من عقاب، والمساواة أمام القانون بغض النظر عن الدين، أن تدين بما تريد وتتمتع بالحقوق نفسها، والمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات داخل الأسرة، ألا يمارس أحدهما وصاية على الآخر، ثم لا يتمتع أحدهما بحقوق أكثر من الآخر... كل هذه الحقوق، تتعامل معها تلك المواثيق بعبارة "المحدد هو الشريعة".

والمحصلة، أنها لاتزال تقدم تفسيراً إسلامياً قروسطياً لحقوق الإنسان يعتبر أن تلك الحقوق هي في الواقع: مزايا يتمتع بها المسلم، لا غير المسلم، والرجل، لا المرأة. ولأنها كذلك، يكون من الصعب الحديث عن مواثيق إسلامية لحقوق الإنسان مادامت الأخيرة تصر على تعريف الإنسان بأنه مسلم ذكراً!

هذه واحدة.

الثانية، وهي الأخرى محورية، أن تلك المواثيق تعتبر أن "واجبات الإنسان تجاه الله لها الأسبقية على حقوقه"!

انتبهوا كثيراً لهذه العبارة؛ لأنها في الواقع المحك الأساسي الذي يجعل من المواثيق الإسلامية مشاريع غير "عالمية" ولا "إنسانية".

بكلمات أبسط، ما يقوله الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان في مقدمته، (مادة "ف")، عندما يصر على أن واجبات الإنسان تجاه الله لها الأسبقية على حقوقه، هو: "بالطبع للإنسان حقوق، لكن عليه أولاً أن يؤدي واجباته أمام الله كي يتمتع بها".

وسؤالي هنا، وهو نفسه أكرره كل مرة، ويظل رغم ذلك مزعجاً ككل مرة:

ماذا لو لم يطبق الإنسان واجباته أمام الله؟

الإمام مانع

من أجل هوية الإسلام

ماذا لو قرر أنه لا يريد أن يصلي؟

ماذا لو قرر أنه لا يريد أن يؤمن؟

وماذا لو قال: أنا في الواقع أدين بالبوذية؟!

وماذا لو قرر أنه يريد أن يتحول من الإسلام إلى المسيحية؟ ثم قرر بعد ذلك أن يترشح ليكون رئيسًا للجمهورية؟

لو فعل ذلك، ووفقا لبنود ذلك الإعلان الإسلامي، فإنه لن يتمتع بحقوق الإنسان.

لم يعد إنساناً وفقاً لرؤية ذلك الإعلان.

فالإعلانات الإسلامية، ببساطة، لا تحمي الإنسان.

ثم لا تحمي حقه في أن "يكون كما يريد".

الإنسان،

هكذا،

مجرداً،

ليس ذكراً،

ليس أنثى،

لا يهم دينه.

لا يهم لون بشرته.

لا يهم عرقه.

ثم لا يهم نوعه.

هو إنسان وكفى.

هو إنسان وكفى.

ترى لم نجد صعوبة في قبول الإنسان كما ولدته أمه؟

وهنا يكمن الفرق بين تلك الإعلانات الإسلامية، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر

عن الأمم المتحدة يوم العاشر من ديسمبر ١٩٤٨.

هنا يكمن الفرق الجوهرى.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان لا يميز بين البشر. لا يقول: "نعم" ثم يردفها بـ"لكن" تنسف مضمونه.

يتعامل معهم كما ولدتهم أمهاتهم لحظة خروجهم إلى الحياة.

كما ولدتهم أمهاتهم!

كل طفل يولد هو إنسان.

ولأنه إنسان، فهو يتمتع بالحقوق التي حددها في إعلانه، لا شيء سوى لأنه خرج إلى الحياة كإنسان.

"يولد جميع الناس أحرارًا متساوين في الكرامة والحقوق".

تلك هي المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وأسألكم بكل غالٍ عليكم: ما الذي يجعل من عبارة كهذه، إنسانية في الصميم، عادلة، تقطر محبةً وخيراً؟ ما الذي يجعلها مفهوماً غريباً، لا يصح أن نطبقه في مجتمعاتنا العربية؟

عالمية هي، وإنسانية.

ليست إسلامية، وليست مسيحية، كما أنها ليست يهودية.

ليست أمريكية، وليست صينية، كما أنها ليست سعودية.

في الواقع لا دين ولا وطن لها.

لا دين لها سوى احترام كينونة الإنسان، إرادته، ثم عقله.

ووطنها لذلك هو الإنسانية نفسها.

ولذا أعود إلى سؤالتي الذي بدأت فيه مقالتي: هل هناك نموذج إسلامي لحقوق الإنسان؟

إجابتي هي: لا. لا يوجد. فمادام ذلك النموذج لا يحترم الإنسان، مجرداً، كما هو، ثم لا يحترم إرادته، وبالتالي عقله، فإنه لا يصلح مرجعاً لحماية الإنسان.

● "التداء"، العدد ١٧٨، الأربعاء ٣١ ديسمبر ٢٠٠٨

علام الصمت؟

إلهام مانع



علام الصمت؟

تسألني؟

عم نكتب إذن؟

عن صراخ، ونحيب، ونواح، ثم تشفي؟

ثم تشفي؟

عن دماء تسفك، كل يوم، ونحن نهلل لسفكها؟

نهلل لسفكها؟

وندعوها كل يوم أن تنحر نفسها أكثر،

وأكثر. انزفي أكثر، وأكثر، فدمائك لا

تكفيينا.

"يا غزة اصمدي.

"يا غزة، كلنا فدائك.

"يا غزة، كلنا شهدائك.

"تموت معك، يا غزة.. إلى آخر قطرة من دمنا".

ودماء غزة هي التي تسفك... إلى آخر قطرة.

ونحن، ككل مرة، ندعمها صوتاً، نهلل، ونصرخ، ونلعن العدو،

إلهام مانع

من أجل هوية الأساقفة



ثم ننسى العدو فينا.. ككل مرة.

لا نكف عن فعل ذلك... ككل مرة.

في كل أزمة، في كل حرب، في كل موقف يستدعي أن نأخذ فيه موقفاً عقلائياً، يراعي مصالحنا، ثم يراعي حرمة دمنا، دم الإنسان، ندوس عقولنا بأحذيتنا، ثم ننتزع ألسنتنا من حلوقها، ونلوح بها غاضبين، نافرين، ومصممين على النصر... ككل مرة.

وككل مرة... نعود خائبين، لكننا على ذلك فرحين... بصوتنا.

ظاهرة صوتية نحن.

عرفنا ذلك منذ قالها تشرشل.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

لكننا أيضاً ظاهرة غير عقلانية.

لا نرى أيدينا وهي تنحر بالسكين في أحشائنا. لا نراها.

كم قتل من أهل غزة؟ ولم قتل كل هؤلاء من أهل غزة؟ ثم هل كان بالإمكان تفادي هذه الحرب؟

نعرف الإجابة، ونصر في الوقت نفسه على أنه "ليس الآن وقت الحساب".

متى يكون وقت الحساب إذن؟ ألم يأت بعد؟

متى نحاسب حماس على الجريمة التي ارتكبتها بحق شعب غزة؟

أم أن الدماء التي سُفكت لا تكفي؟

وحماس تقول إنها ستحارب حتى آخر قطرة من دم الشعب. وكانت تعرف أن بمقدورها أن تحمي هذا الشعب، لكنها صممت، ستحارب حتى آخر قطرة... حتى النصر! نصر بالطريقة الصوتية التي اعتدنا عليها.

مسكين هذا الشعب، يعيش رهينة لمن تقول إنها تدافع عن مصالحه، ثم تدفعه إلى الموت دفعاً، وتسارع إلى الكاميرات، تصرخ، انظروا ما يفعلون بنا! إسرائيل نعرفها.

دأبت دوماً على حماية مصالح شعبها، بغض النظر عن الثمن الإنساني الفادح، الذي يدفعه من تحمي مصالحها على حسابها، والأخلاقي الذي تدفعه هي نفسها كدولة تقول إنها تريد أن تعيش في سلام، ثم تمارس عقاباً جماعياً على شعب بأسره من أجل هذا السلام. مسكين أنت أيها السلام.

لكن العدو فينا، نصر على تجاهله. نصر على أنه ليس فينا. لا نراه، ثم لا نرى اللعبة الإقليمية التي يقوم بها لصالح أنظمة ومنظمات أقل ما يقال عنها أنها فاشية الفكر والمنهج. وندعمها هي الأخرى... بصراخنا.

.....

كم قتل من أهل غزة؟

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

وكم منهم سيقتل أكثر؟

وكم منا سيخرج عن صمته، ويدين حماس قبل إسرائيل في ما حدث؟ يدين كل هذه الدماء التي سفكت ونحن نهلل لسفكها. "اصمدي يا غزة. اصمدي يا غزة. لا تستسلمي".

ألا تخجلون؟

ثم كم منا يدرك أبعاد ما يحدث يومنا هذا.

ألا تدركون؟

أيها العرب الأجلاء، أخشى أن الطريق الذي اختارته حماس، وسارعت إسرائيل إلى ملاقاتها فيه، لن يؤد إلى دولة فلسطين، بل سيقضي على فكرة هذه الدولة من أساسها. فهل ستهللون حينها أيضاً؟

.....

علام الصمت؟

تسألني؟

أعجزتني الكلمات أيها العزيز.

عندما يغيب المنطق، ومعه العقل، وراء الحذاء، يصبح الصمت ملاذ الغريب بين أهله.

● "النداء"، العدد ١٨٠، الأربعاء ٢١ يناير ٢٠٠٩

أنا "نجدود"!

إلهام مانع

"أنا نجدود، في العاشرة من العمر، ومطلقة".
هذا عنوان كتاب صدر حديثاً باللغة الألمانية لدار نشر
"كناور"، ترجم عن الفرنسية، وكتبته الصحافية الفرنسية
دلفين مينوي، تحكي فيه قصة "نجدود".

هل تذكرونها؟

"نجدود"، زوّجها أبوها وهي في الثامنة، قبض
ثمنها، ورماها لرجل في الثلاثينات من العمر.
رجل الثلاثينات وعد أباهاً بأنه لن يلمسها
حتى تبلغ، وابنة الثماني سنوات قال لها
أهلها: "لا تخافي، لن يؤذيكَ". والطفلة لا
تفهم ما يحدث، ذهبت معه، فاغتصبها!

هل تذكرونها؟

"نجدود"! أرادت أن تلعب. طوال الوقت. أرادت أن

تلعب. حتى بعد أن اغتصبها. حتى بعد أن ضربها. حتى بعد أن

أصر عليها أنها امرأة وعليها أن تتصرف كأمراة. ابنة الثامنة، امرأة؟! لكنها

أرادت أن تلعب. طفولتها انتصرت. ورجل الثلاثينات يجرها من بين الأطفال إلى الغرفة،
يجردها من ملابسها، ويفعل بها "أشياء وقحة"، هكذا حكّت في المحكمة باكية. تريد أن تلعب،





• نجود

والرجل يصر على اغتصاب الطفلة.

ونحن، مجتمع الجزيرة العربية، مجتمع اليمن، نشيح بوجوهنا.

"لعنة الله على الفقر". بعضنا، يمصمص شفاهه، ويحوقل.

"أب متوحش"، غيرنا يقول، وينسى القانون الذي سمح للمتوحش أن يزوج ابنة الثامنة.

"ظاهرة ملعونة"، غيرنا يحشرج صوته، ينظر خلسة إلى وجه الصغيرة، ويتصور منظرها

وهي تغتصب، ثم يغيب بخياله... المريض.



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

وغيرنا يقول إن الصغيرة عجينة، يشكلها الرجل كما يشاء. لا يريد لها بالغ، لا يريد لها ناضجة، لا يريد لها امرأة عاقلة تكون له نداءً ثم سندا. يريد لها طفلة. يشكلها كما يشاء، يوجهها كما يشاء، يقول لها تحركي، فتتحرك. يقول لها امشي، فتمشي، ثم يقول لها نامي، فتنام معه.

لكنها لم تطاوعه، ما أروعها! رفضت فعله، لأنه شنيع. طفلة هي، هل نلومها؟ من يحميها من صمتنا؟ من يحميها من تواطئنا.

و... "زواج الصغيرة حلال"، يضيف بعض من شيوخنا. والبلاء هنا وخيم العاقبة. لعنة الله على شيوخ هكذا. "حلال، حلال، حلال...".

لا يرون خللاً في اغتصاب الطفلة. لا يرون فيها جريمة. مسألة طبيعية. يقولون. هكذا يقول رجال ديننا من السلفيين، وغيرهم من الشيعة لا يرى ضيراً من مفاخدة ابنة التاسعة. ولو كنا في مجتمعات أخرى، لأدخلوا إلى مصحات نفسية لعلاج المجرمين الخطرين من منتهكي الطفولة. لكن الداعين إلى اغتصاب الطفلة نقف لهم في مجتمعاتنا احتراماً، ونخصص لهم برامج تلفزيونية، ثم لا نرى ضيراً في كل ذلك. أين الإنسان فينا؟ لا تصمتوا أمامهم. لنلقمهم حجراً. لنلقمهم حجراً.

"نجد"، هل تذكرونها؟

وحدها أدركت، أن ما يحدث بشع، بشع، بشع. لأنها طفلة أدركت هذا. فقررت ألا تستسلم لمصيرها.

"لا تستسلمي لمصيرك، أيتها الصغيرة القوية".

استقلت سيارة أجرة، أخذتها إلى المحكمة.

قالت: سأقول: لا.

"قولي أنت أيضاً: لا".

قالت: مصيري بيدي.

"قولي أنت أيضاً: مصيري، ووجودي، بيدي، ثم رهناً لإرادتي".

فانتصرت المحامية شذى محمد ناصر والقاضي محمد القاضي لطفولتها. ما أجمل الخير

عندما ينتصر!

"نجد"، كيف ننساها؟

أظنكم تذكرونها.

جيداً.

فلا تشيحوا بوجوهكم.

وأظنكم تدركون جيداً أن ما يحدث جريمة.

لا تتجاهلوها إذن.

ومادمنا نعرف أن هناك جريمة تحدث، فالأحرى أن نعالج جذورها. أم أن الصمت دوماً

دواؤنا؟

البداية كما تعرفون تكون عادة بالقانون. وبعدها بشيوخنا، لكن هذا حديث آخر.

ولذا، حان الوقت كي نلغي المادة ١٥ من قانون الأحوال الشخصية المعدل عام ١٩٩٩، التي

تعطي للأب الحق في تزويج ابنته إذا اعتبرها صالحة للوطء. لاحظوا أن هذه المادة عدلت عام

١٩٩٩، بعد أن كانت واضحة النص في تحديد السن الأدنى للزواج بـ ١٥ عاماً.

لكنها عدّلت، ويا خزي من تركها تمر هكذا! الناس يتقدمون، ونحن نمشي إلى الوراء،

فأصبح من حق ولي الأمر أن يزوج ابنته إذا اعتبرها صالحة للوطء. من يمنعه إذن إذا اعتبر

ابنة الخامسة من العمر صالحة للوطء؟

التغيير يبدأ بنا. فلندفع بإصدار قانون صريح واضح يحدد سناً أدنى للزواج، وحبذا لو

كانت الثامنة عشرة من العمر هي ذاك الحد.

التغيير يبدأ بنا. و"نجد" هي صوت ضميرنا، فكفوا عن الصمت، ولنغير القانون. ثم

لنلتفت إلى شيوخنا. لكن هذا حديث آخر.

● "النداء"، العدد ١٨٢، الأربعاء ٤ فبراير ٢٠٠٩

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

حذار من التفكير!

إلهام مانع



الغريب أننا لم ننزعج، ولم نرى سبباً للقلق، وأن القرار صيغ ثم صوت عليه، ونحن نتفرج. والأغرب أننا لم نصرخ، وأن غيرنا لم يجد حرجاً في أن يشيخ بوجهه، ككل مرة. أما الفضيحة فهي أن من صوت على القرار يفترض فيه أن يدافع عن حقوق الإنسان!

القرار الذي أعنيه هو الصادر بتاريخ ٢٧ مارس ٢٠٠٩ عن مجلس حقوق الإنسان في جلسته الأربعين، بعنوان "محاربة إهانة الأديان"، والذي تمكنت ٢١ دولة (منها دول عربية، على رأسها مصر والسعودية وقطر والأردن، وأخرى آسيوية مسلمة مثل ماليزيا وإندونيسيا وبنغلاديش والباكستان، وبدعم من جنوب أفريقيا والصين وروسيا) من تمريره رغم معارضة عشر دول، معظمها دول معروفة باحترامها حرية الرأي والعقيدة، ككندا وسويسرا وبريطانيا، وامتناع ١٤ دولة عن التصويت.

انقسم المجلس، وفي انقسامه مؤشر إلى خطورة الموضوع. لكن الدول الإسلامية والصين وروسيا، وهي دول لها جميعاً سجل معروف في انتهاك حقوق الإنسان، تمكنت من إخراجها

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

رغمًا عن البقية.

ما الذي قاله مجلس حقوق الإنسان -إذن- في قراره؟ عبر المجلس عن "قلقه العميق من تزايد وتيرة حملات إهانة الأديان والتنميط الديني للأقليات المسلمة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر المأساوية"، في إشارة واضحة إلى رسوم الكاريكاتير الدانمركية للرسول محمد، وإلى إحساس الأقليات المهاجرة ممن تنتمي إلى الدين الإسلامي (بخاصة في أوروبا) بأنها "تحت المراقبة" بسبب انتمائها الديني.

ثم أكد أن "احترام كل الأديان وحمايتها من الإهانة هو عنصر أساسي ضروري لممارسة حرية التعبير عن الفكر والعقيدة والدين". وزاد على ذلك أن شدد على أن "حرية التعبير عن الرأي وممارستها تحمل في طياتها مسؤوليات وواجبات، ولذلك يمكن أن تكون عرضة لبعض القيود المقننة والضرورية لحماية حقوق وسمعة الآخر أو لحماية الأمن الوطني أو النظام العام أو الصحة العامة أو الأخلاق".

مجلس يفترض فيه أنه يدافع عن حقوق الإنسان، يخرج علينا بقرار يدعو فيه صراحة إلى تقييد حق التعبير عن الرأي! والأدهى أنه استخدم اللغة نفسها التي تستخدمها دولنا العربية العزيزة في تكميم أفواهنا وعقولنا، بدعوى "حماية الأمن الوطني، أو النظام العام، أو الصحة العامة (لم أفهم موضوع الصحة هذه) أو الأخلاق!"

ماذا ترك المجلس لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذن؟!

أن تشتكي الأقليات المهاجرة من مسألة تنميطها في أوروبا أمر أفهمه؛ فأحداث الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية حولتها فجأة إلى أقليات "مسلمة" بعد أن كانت "عربية"، "بلقانية"، "تركية"، أو "باكستانية". فجأة أصبحنا جميعاً "مسلمين". وهذا التصنيف أفرح كثيرًا الإسلاميين المقيمين في أوروبا، وهم كثر على فكرة؛ أفرحهم لأنهم أدركوا أن أمامهم فرصة يمكن أن يستغلوها، فما دامت الهوية أصبحت "إسلامية"، فليدفعوا -إذن- بمطالبهم "الإسلامية"، حماية للأقلية المسلمة.

ومطالبهم كانت -وما زالت- مدروسة بدقة، تماما كما فعلوا في الدول العربية والآسيوية، تنطلق من رغبة في تغيير مجتمعي تدريجي، وهدفها استراتيجي بعيد المدى: "دعونا نركز على مسألة تثقيف النشء الصغير المهاجر وتعليمه أصول دينه". وهذه الأصول لا تخرج إلا من منظور حسن البنأ وابن تيمية للدين، تدعوه إلى كره الغير، وتغيب وجود المرأة، ثم تؤكد له أن احترام الرأي الآخر ثم الاختلاف كفر صريح.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

إذن، أن تشتكي الأقليات المهاجرة من مسألة تنميطها أمر أفهمه، بخاصة وأنه أمر يصب في مصلحة الإسلاميين أولاً وأخيراً.

لكني أدعوها، بدلاً من الشكوى، إلى أن تكف عن الشكوى وتمثيل دور الضحية، وأن تقف موقفاً واضحاً من هؤلاء الإسلاميين، ومطالبهم.

كفوا عن النواح والنحيب.

كفوا عن الشكوى.

ثم خذوا موقفاً.

اتخذوا قراراً!

في صف من تقفون؟

وعندما يتعلق الأمر بالدعوة إلى العنف، بما يسميه الإسلاميون "الجهاد"، علينا أيضاً أن نأخذ موقفاً واضحاً لا لبس فيه؛ موقفاً يسمي الأشياء بأسمائها:

الجهاد أدعوه إرهاب؛ لأنه -أعزائي- إرهاب.

لا أوّمن بالعنف أيّاً كان مبرره. وأرفضه. ثم أأخذ موقفاً واضحاً منه. وأصر على أن لا دين يحترم نفسه يمكن أن يتخذ من العنف كياناً له. ولا أخجل من قول ذلك في وجه من يدعو إليه.

لأنهم -عزيزاتي- يعتمدون كثيراً على صمتنا.

يعتمدون كثيراً على صمتنا.

فلا تصمتي.

ثم لا تصمت.

ارفع صوتك.

ثم سمّ الأشياء بأسمائها.

ثم فليكن كل منكما عضواً فاعلاً في هذا المجتمع.

لست ضيفة في وطني سويسرا.

لست ضيفة فيه.

أعمل فيه، وأعمل، كالنحلة، كي أكون شيئاً.

لا أعتد على نظام الضمان الاجتماعي فيه، كما يفعل البعض من المهاجرين، يرون فيه بقرة حلباً، يحلبونها ويمتصون حليبها، ثم لا يخلون وهم يشكون!
جزء منه، أنا، وفاعل أيضاً.

مصلحته من مصلحتي، وولائي لهذا الوطن أولاً وأخيراً.

فالوطن الديمقراطي الذي يحترم حقوق الإنسان والمرأة، الوطن الذي أتنفس فيه حرة، يستحق هذا الولاء.

هذا الشق الأول من قرار مجلس حقوق الإنسان، المنزعج من تنميط الأقلية "المسلمة"، يمكن الرد عليه.

الثاني هو الطامة.

الشق الثاني يقول لنا بالعامية: "صحيح هناك حرية للتعبير، لكن يجب تقييدها حماية للمصلحة العامة. وتقييدها يصبح ضرورياً إذا استهدف الأديان!"

بعبارة أخرى، يحذر مجلس يسمى نفسه مدافعاً عن حقوق الإنسان، يحذر الإنسان من التفكير خارج دوائر التفكير الرسمية".

أية مصيبة هذه يا رب؟!

رسوم الكاريكاتير الدانمركية يعتبرها المجلس "إهانة للأديان"!

وأنا لا أعتبرها سوى تعبير عن رأي رسام لم يسمع في العقدين الأخيرين سوى دوي قنابل يفجرها أشخاص يبررون ما يفعلونه بدينهم الإسلامي. هل نلومه هو، أم هم؟

أن يرسم الرسام قنبلة على عمامة الرسول الكريم أمر قد يجرح فعلاً المشاعر الدينية للكثيرين؛ لكن حرية التعبير تتضمن هذا الحق أيضاً؛ الحق في قول الأشياء بلا مواربة، كما يراها، حتى لو كانت طريقته جارحة. والرد عليه لا يكون بتقييد هذا الحق، الرد عليه لا يكون بتهديده بالقتل، بل بالرأي والكلمة.

لاحظوا أن الدول التي تبنت القرار كلها معروفة بانتهاكها لحق الإنسان في التعبير عن الرأي. وهي تفعل ذلك بشكل منهجي منظم؛ تفعله لأنها تدرك جيداً أن فتح الباب للتعبير عن الرأي سيؤدي حتماً إلى قلب أنظمتها السياسية. لأننا إذا تحدثنا كما نفكر، لن ننسى أن نستهدفها بسهامنا، وأن نضغط بأصابعنا على موضع الجرح، وهي أصله. من هنا يأتي إصرارها على استهداف حرية التعبير والتفكير.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

ولأنها كذلك فإنها تصر على أن هناك دوائر مغلقة للتفكير تتصل بثلاثة جوانب أساسية: الدين، المرأة، والسياسة. جوانب هي المنطلق الأول لأي إصلاح جوهري نتمناه لمجتمعاتنا. إهانة الأديان ستصبح اليوم البعبع الذي يخيفوننا به كي نكف عن التشكيك في الإسلام الرسمي للدولة، والإسلام السياسي للحركات الإسلامية، والإسلام الكلاسيكي الارثوذكسي السائد منذ القرن الحادي عشر.

إهانة الأديان ستصبح الشماعة التي تمنع الباحثين من كسر دوائر التفكير المغلقة، واقتحام مجالات يقولون لنا إلى اليوم إن من المستحيل التفكير فيها، أهمها طبيعة النص القرآني الكريم.

أتعرفون لماذا؟

عندما نبدأ في إثارة علامات الاستفهام على طريقة جمع النص القرآني، وكيف تمت، ومن قام بها، سنبدأ أيضًا في إثارة التساؤلات عن مدى إلزامية آيات قرآنية تدعونا إلى "طاعة ولي الأمر"!

أليس كذلك؟

"حذار، حذار من التفكير!"

هذا لسان حال الدول المنتهكة لحقوق الإنسان، في مجلس حقوق الإنسان. ولأنها معروفة بسجلها، فقد جاء قرارها مضحكًا ومخزيًا في آن واحد. لكنها تخطئ كثيرًا.

تخطئ إذا ظنت أنها قادرة على تقييد التفكير.

كل ما عليها فعله هو أن تنظر إلى نموذج الاتحاد السوفييتي، كيف انهار في لحظة كبرج من رمل، انهار بسبب قلة من أفراد، قلة فكرت... ولم تخف.

● "النداء"، العدد ١٩١، الأربعاء ٨ أبريل ٢٠٠٩

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

تراث التعددية!

إلهام مانع

صوتها هو أكثر ما يلفت انتباهي وأنا أستمع إليها.
صوتها المندesh.
صوت أروى عثمان.
يندهش دوماً كلما طرحت عليها السؤال ذاته،
مرتين: مرة في زيارتي الميدانية إلى اليمن عام
٢٠٠٦، ومرة في حديثنا الأخير عبر الهاتف.
أسألها: ما سر كل حرصك هذا على جمع
التراث اليمني؟

أسألها وأنا صادقة في حيرتي.

ستفهمون حيرتي عندما تدركون أن
أروى عثمان استثمرت كل ريال جنته بعرق
جبينها في جمع التراث اليمني.

بدأت في جمع موزاييك المقتنيات والأزياء الشعبية
منذ أكثر من عشرين عاماً.

يوماً بعد يوم، سنة بعد سنة.

كانت تسافر من منطقة إلى أخرى في أرجاء اليمن، من قرية إلى قرية، على حسابها



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام



الشخصي، وتجمع، وتجمع، وتدفع من جيبها، وهمّها أن تقتني نماذج من التراث اليمني.
لم تفكر يوماً في أن تدخر مبلغاً لنفسها أو لبنيتها. لم تفكر يوماً أن تشتري لنفسها سيارة،
شقة، أو بيتاً، اكتفت باستئجار شقة تبحث فيها عن شرفة تحتسي فيها قهوتها المرة. أه! ما
أصعب الإنسان عندما يؤمن بهدفه!

الحقيقة أنها لم تفكر إلا في جمع ذلك التراث. ونجحت فعلاً عندما أسست بيت التراث
الشعبي، فخرها، الذي أرادت أن تحوّلته إلى متحف شعبي، ولم تندم، رغم غصتها.

لم كل هذا الحرص على جمع التراث يا أروى؟

أروى عثمان، الكاتبة، الباحثة، والأديبة، رائدة نسائية يمنية.

طريقك كان سيكون سهلاً لو اخترت مهمة أيسر، لو تحولت إلى هدف آخر.. لو...؟
وهي...؟

هي تنظر إلى محدثتها، ودهشتها تسيل من صوتها.

ترد: "تصدقي أنني عندما أسأل هذا السؤال لا أعرف الإجابة. لكن مع الوقت بدأت أفهم".

أتذكرون يوم قلت يوماً إن "الأسود أصبح لون الحياة"؟

تحول إلى السواد مع انتشار مد الإسلام السياسي، بأطيافه السنية والشيوعية. الأسود
ينتشر، يكره الألوان، يكره التنوع، ويصر على لون واحد، واحد، واحد لا طعم له، يدعو إلى
الموت فيتحول إلى الحياة، ويقتلها، ويناشد الإنسان أن ينحر روحه، وعيناه منبهرتين.

وأروى عثمان انتبهت، انتبهت إلى أن ألوان التراث اليمني بدأت تختفي.

تقول: "عرفت حينها الجواب على السؤال لماذا؟ أنا نشأت وتربيت في منطقة في تعز بالقرب
من سوق الصميل، منطقة تراثية، كان فيها دائماً كرنفال من الأزياء والرقص والموالد والنساء،
كرنفال من الألوان. ومع الوقت بدأت ألاحظ أنها تختفي، تذوب، وتراجع. وتساءلت: لم بدأت
الورود تختفي؟ فأصبح مثل الهم".

وهمّها أصبح هدفها.

تقول: "أريد أن يرى العالم ألوان تراثنا الزاهية. أريده أن يرى أننا كنا دوماً نحب الحياة،
نحبها وألوانها المتعددة".

ولأنها أدركت ذلك، لم يكن غريباً أن تتحول هدفاً للهجوم ممن يدعو إلى السواد.

كان طبيعياً أيضاً أن تتعرض للتهديد من سلفيين غاضبين عندما تمكنت في عام ٢٠٠٥ من إنجاز أولى فعاليات بيت الموروث الشعبي في مهرجان المدرهة (الأرجوحة)، تقاليد الحجيج، تقاليد تكاد تندثر، تحتفي بالحجاج بالغناء والأهازيج والمدرهة (الأرجوحة)، ويشترك فيها الرجال والنساء والأطفال معاً.

كنا نغني معاً، لم نرَ في ذلك جرأً في ديننا.

نرتدي أزياءنا الشعبية الملونة، لم نرَ في ذلك جرأً في إيماننا.

وكنا نحفل معاً، رجالاً ونساءً، ولم نرَ في ذلك هتكاً لأعراضنا.

كيف غابت ذاكرتنا؟ ثم كيف زالت الألوان، فأصبح الأسود لون الحياة؟

بيت الموروث الشعبي بقي الدليل على أن التراث اليمني كان دائماً ملوناً، متعددًا، محباً للحياة كان الشاهد. وأروى عثمان نجحت في أن تجعله قبلة للسياح، وتحوله في الوقت ذاته إلى مؤسسة بحثية تعنى بإنتاج الدراسات والبحوث عن التراث والفلكلور والثقافة الشعبية.

ولذا كانت لوعتها فاجعة وهي ترى بيت التراث يختنق أمام عينيها. فالبيت، الذي وجدته بعد جهد جهيد، بدأ يتهالك بسبب موقعه المطل على مذابح سوق القاع، محاصر بأكداس القمامة من الأمام، وروائح الذبائح، من مواشٍ ودجاج وأسماك، من الخلف، ومهاجم من فئران انتشرت من بيت مهجور قريب.

فاجعة.

الشاهد الحي على تراث يكاد ينقرض، تكالبت عليه القوارض.

فكرت في أن تغلقه أكثر من مرة، بسبب الظروف المادية الصعبة وشحة مواردها.

لكن قلبها لم يطاوعها. وتبحث عن الريال، تجمععه، كي تضعه في البيت من جديد. قرينة مخرومة. تحتاج إلى دعم حكومي وغير حكومي.

الدعم الحكومي جاء -والحمد لله- أخيراً. فشكراً للدعم.

لعله ينصفها.

لعله يُمكنها من أن تجسد حلمها واقعاً إلى متحف عريق يحفظ ذاكرتنا.

ليته يفعل!

فحلمها مرآة لذاكرتنا.

كي لا ننسى،

لا ننسى،

أننا يوماً كنا نحب الحياة.. ونعشق أطياف ألوانها.

● "النداء"، العدد ١٩٢، الأربعاء ١٥ أبريل ٢٠٠٩



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

يا عيباته!

إلهام مانع

في الواقع تعجبت؛ وأظنكم تعبتم من كثر تعجبي.
لكني، كل مرة، أجد دوماً أن هناك ما يستدعي
التعجب.

فتحملوا، واستمعوا إليّ!

ما الذي أثار تعجبي؟ تسألون.

لا، لم تثر الضجة الدولية حول قانون العائلة
الأفغاني، تعجبي. تلك كانت ضرورية. ولذا
أحني لها رأسي احتراماً.

بل التغطية المؤدبة التي أعقبتها في
وسائل إعلامنا العربية.

كأننا نتحدث عن موضوع عجيب، غريب،

لا نعرف له شبيهاً في منظومتنا القانونية.

كأننا نتحدث عن واقع في كوكب بعيد. ولذلك، وكل
مرة، أعود لأقول لكم: وماذا عن هنا؟

لن لم يتابع الموضوع، إليكم خلفيته:

الضجة أثيرت بعد توقيع الرئيس الأفغاني حامد كرزاي، في نهاية مارس الماضي، على
قانون للعائلة وضع خصيصاً لأقلية الهزارة الشيعية. يمنع قانون "شؤون الأسرة الأفغانية"



إلهام مانع

من أجل هوية النساء



الزوجة من رفض إقامة علاقة جنسية مع زوجها، أو مغادرة المنزل الزوجي، أو العمل، أو التعلم، أو زيارة طبيب، بدون الحصول على إذن من الزوج.
 زوجة وزوج، يفترض فيهما أن يعيشا على الحلو والمرة، وأن يؤسسا حياة مشتركة.
 احترام، محبة، مودة، وعشرة حسنة.
 هكذا تصورت يوماً مفهوم الزواج، رغم أن كل النماذج التي شاهدها في حياتي، مع استثناءات قليلة، كانت تقول لي العكس.
 ثم يأتي قانون، ويحوّل الزواج إلى مصيبة.
 كارثة وحطت على رأس المرأة.
 يحولها من إنسان إلى جارية.



جارية! جارية! جارية!

بضاعة متعة، لها دور يتوجب عليها أن تقوم به، شاعت أم أبت.

يقول لها "إنسان"؟ أي إنسان يا مرة؟ أية مودة ومحبة وعشرة حسنة يا مرة؟ ما أنت إلا جارية تسمع وتطيع. زوجك هو ربك، هو الله. إذا قال لك زوجك: تعالي! هبي لندائه. وإذا قال لك: مارس الجنس معي! اخلي رداك وافتح ركبتيك، ثم اهمني، وموتي.. كمداً.

لحسن الحظ أن الناشطات الأفغانيات، والمنظمات الأفغانية لحقوق الإنسان، تعلمن الدرس الذي أدركه كثير من الناشطات الحقوقيات في الآونة الأخيرة: "لا تصمتن! ارفعن أصواتكن، وطالبن بحقوقكن! الجأن إلى وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والإلكترونية، ولا تترددن في تسمية الأشياء بأسمائها! هل لاحظتن كيف أصبح الـ"فيسبوك" منبراً للكثير من النشاط الحقوقي العربي؟ لو لم تلاحظن، أنصحكن بفتح حساب فيه اليوم".

الناشطات الأفغانيات فعلن ذلك، رفعن أصواتهن، لم يلتفتن لصمت الحكومات الغربية أثناء مناقشة البرلمان للقانون، وواصلن احتجاجهن، ثم لجأن إلى حملة دولية عبر الـ"فيسبوك" لفتت أخيراً انتباه وسائل الإعلام الدولية، والتي بدورها مارست ضغطاً بتساؤلاتها على الدول المانحة؛ الدول نفسها التي كانت قبل ذلك صامتة.

فبدأت الدول المانحة، واحدة بعد الأخرى، ترفع أصواتها محتجة. لسان حالها كان مستهجنًا: "كيف يمكننا أن ندعم نظاماً يجيز اغتصاب الزوجة رسمياً؟".

سبحان الله!

ألم يكن يجيز اغتصاب الزوجة رسمياً قبل ذلك؟

ما علينا!

المهم أنهم اضطروا إلى التحرك والاحتجاج. وبسبب ذلك الاحتجاج، لا غير، قرر الرئيس الأفغاني، إعادة النظر في القانون، معلناً أن وزير العدل "سيدرس تفاصيل كل بند بدقة"، مضيفاً: "وإذا مثل أي بند مشكلة فإننا سنتخذ الإجراءات الضرورية بالتشاور مع العلماء". جميل.

هذه هي خلفية الموضوع.

ما أثار تعجبي هو الطريقة التي مارست بها وسائل الإعلام العربية تغطية مؤدبة للموضوع.

إلهام مانع

من أجل هوية الصحافة

بعضها حاول أن يغمز بأن القانون يتعلق بالأقلية الشيعية، ولذا، فالمسألة تتعلق بالمذهب الشيعي تحديداً.

هذا البعض عليه أن يخجل من نفسه، بخاصة وأنه أدرك أنه لا فرق كبير بين المذهبين الشيعي والسني عندما يتعلق الأمر بقوانين العائلة التي تحتكم إليها الدول العربية. البعض الآخر، غطى الموضوع كأنه غير معني بها إطلاقاً، كأننا نتحدث عن قضية تتعلق بأهل المريح! حسبها (المرأة) الله ونعم الوكيل!

وسؤالي هنا تحديداً: هل القضية لا تعنيننا بالفعل؟

دعوني أقدم لكم نماذج من قوانين العائلة العربية، كي تدركون أن القضية تعنيننا نحن أيضاً.

المادة ٤٠ من قانون العائلة اليمني لعام ١٩٩٢، تشير، تحت بند "في العشرة الحسنة"، إلى أن "للزوج على الزوجة حق الطاعة في ما يحقق مصلحة الأسرة، على الأخص في ما يلي: الانتقال معه إلى منزل الزوجية، تمكينه منها صالحة للوطء المشروع في غير حضور أحد، الامتثال لأمره والقيام بعملها في بيت الزوجية مثل غيرها، عدم الخروج من منزل الزوجية إلا بإذنه...".

قانون العائلة اليمني ينص على أن المرأة عليها أن تطيع زوجها، وأن هذه الطاعة تشمل الذهاب معه أينما ذهب، كأنها غير معنية بالموضوع، تمكينه من نفسها: ممارسة الجنس معه، أرادت ذلك أم لم ترد، والامتثال لأوامره، ثم القيام بعملها في بيت الزوجية، وألا تخرج من منزل الزوجية إلا إذا أذن لها!

كأنها أجيرة. أليس كذلك؟

القانون اليمني يقف على قمة الهرم هو والأحكام الشرعية الممارسة في المملكة العربية السعودية "لا يوجد قانون للأحوال الشخصية في المملكة" عندما يتعلق بهذا الشأن.

وبعدهما تتدرج قوانين الأحوال الشخصية العربية (باستثناء تونس والمغرب) في مدى قربها أو بعدها من هذا النموذج المؤسس لدونية المرأة ودورها كجارية، لا كشريكة للحياة. فالزواج وفقاً لهذه الرؤية ليس نظاماً يقوم على الاحترام، يتكون من فردين، يتمعتان بالقدر نفسه من الحقوق والواجبات.

لاحظوا أيضًا أن قوانين الأحوال الشخصية للمواطنين في البلدان العربية ممن يدينون بالديانة المسيحية أو اليهودية، ليست أفضل حالاً، وإن كانت أقل حدة من نظيراتها الإسلامية (لم يفرض أي منها على المرأة أن تمارس الجنس مع زوجها غصباً ورغماً عن أنفها). لكن الجوهر هو أن المسألة تتعلق برؤية ذكورية للأديان، أيًا كانت، أسست لهيمنة الرجل في العلاقات الأسرية.

على سبيل المثال: المادة ٤٦ من قانون الأحوال الشخصية للأرمن الأرثوذكس في سورية ولبنان، تقول: "الرجل هو رأس العائلة وممثلها القانوني والطبيعي، على الرجل أن يحمي زوجته، وعلى المرأة أن تطيع زوجها".

أطيعي زوجك!

لم لا يطيعني هو؟

هل يبدو الأمر مزعجاً لو انقلبت الآية وأطاع الزوج زوجته؟ تخيلوا لو نص قانون الأحوال الشخصية اليمني على المادة التالية: "للزوجة على الزوج حق الطاعة، وعليه أن يلبي رغبتها الجنسية متى شاءت، وحذا لو غسل المواعين قبل ذلك".

منطق غريب. يؤلم ويجرح في الواقع. أليس كذلك؟ لكن أيضاً هو غريب لو تعلق بالرجل أو المرأة على حد سواء؛ لا يؤمن بالشراكة والاحترام كأساس لعلاقة زواج اختيارية.

أنا أختار أن أتزوج.

ليس قدراً ولعنة. وقد أختار أن ألا أتزوج.

وعندما أختار الزواج أفعل ذلك كي أضيف شيئاً إيجابياً إلى حياتي.

ليست بلية أو مصيبة.

ولكيلا تكون بلية أو مصيبة، أدرك أنني عندما أتزوج، أتزوج كإنسان، تماماً كزوجي: إنسان.

فردين متساويين، محبين.

ما أجمل الواقع عندما يكون عادلاً!

"رومانسية حاملة". بعضكم يبتسم الآن.

لعلها كذلك!

لكنها تظل بديلاً لرؤية تقول للمرأة إنها ليست إنساناً؛ إنها إمعة، مطية، يركبها الرجل متى شاء، وهي عليها أن تسمع وتطيع، وتبتسم فوق هذا.

إذن!

هل فهتم سبب تعجبي؟

ما يحدث في أفغانستان يحدث لدينا اليوم.

في هذه اللحظة.

في هذه الثانية.

وهي ليست نصوص قوانين جامدة.

بل نعيشها واقعاً تضطر معه المرأة إلى قتل آدميتها كل ليلة في فراش الزوجية.

هل نسيتم "بدور"؟ لا تنسوها!

فحبذا لو صرخنا نحن أيضاً، وطالبنا بتغيير قوانين الأحوال الشخصية العربية؛

لأن ذلك هو المفتاح إلى التغيير، لو كنتم تدركون!

يومكم سعيد.

● "النداء"، العدد ١٩٣، الأربعاء ٢٢ أبريل ٢٠٠٩

دفاعاً عن الإنسان!

إلهام مانع



هناك أوقات يتوجب فيها على الإنسان أن يتخذ موقفاً.
اليوم أقف في هذا الموضع.
أنظر إلى حال اليمن، وأقول لنفسي: "لا تصمتي!
قولي شيئاً! عبري عن موقفك!".
وفي الواقع، يصعب على المرء أن يقول شيئاً في
زمن يؤدلج فيه كل شيء، ويصنف الإنسان فيه
في خانات يتفتت معها ليصبح أشلاء... ممزقاً.
ممزقاً.

يقولون:

"هذا مع السلطة، وذاك معارض".
"هذا مؤتمري، وذاك اشتراكي"، ثم غيره
"إصلاحي".

"هذا شمالي، وذاك جنوبي".

"هذا هاشمي، وذاك حميري".

"وهذا زيدي، وذاك شافعي".

"هذا سني، وذاك شيعي".

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

"وهذا مسلم، وذاك يهودي".

ثم "هذا حضرمي، وذاك عدني، وغيره من أبين"...

وفي الواقع لست مع هذا ولا مع ذاك.

لست مع السلطة ولا مع المعارضة.

وحتماً لست زيدية أو شافعية.

كما أنني لست شمالية أو جنوبية.

ولو أردتم الصدق، لا أعترف بالحدود هوية.

جلدي يمني.

لن أسلخه.

لكنني قبل كل شيء إنسان.

وفي الواقع، لا أرى أيّاً من هذه التصنيفات وأنا أتحدث معكم اليوم.

في الواقع، لا أعترف بها حتى وهي تفرض نفسها علينا غصباً.

في الواقع، وأنا أتخذ موقفاً الآن، لا أرى سوى وجه الإنسان في وطني.

الإنسان!

وجهه، ووجهها.

ثم دمعهما.

معاً.

وجه الشيخ العجوز الذي التقيته يوماً وهو "يراجع" في دوائر حكومية، يبحث عن تعويض حكومي لأرضه، أخذتها الدولة كي تبني مشروعا للمياه لم يُبنَ. والعجوز يدور بين الدوائر، وكلّ يتلقفه ككرة، يرميه يوماً بعد آخر إلى مراجعة جديدة. وهو حائر، ملهوف، خائف، يخاف من الأيام، لو أسرع مات، فمن يكفل أحفاده؟! وحيدا بعد أن فقد ابنه، من يحمي حقهم لو مات هو الآخر؟! ويمسك الأمر الحكومي في يده، المرتعشة دوماً، ويسأل: "أين التعويض يا ناس؟!".

لم يكن العجوز جنوبياً. كان شمالياً، إذا كنتم تحبون التصنيفات.

الإهام مانع

من أجل هوية الإنسان

وجه "أمنة"، التي التقيتها مع فريق تلفزيون سويسري ونحن نصور فيلماً عن مشكلة المياه في اليمن، في التسعينيات.

"أمنة" الطيبة، لا تعرف عدد أطفالها.

"أمنة" الطيبة، تعيش وزوجها وأطفالها، ثلاثة أو أربعة، مع بقرتهم، في غرفة مظلمة بلا نوافذ.

"أمنة" تحكي لنا عن الماء.

من منا يدرك مصاب اليمن في فقد الماء؟

"أمنة" ترسل أطفالها، كل يوم ليجلبوا لها الماء.

ساعتين كل يوم.

يمشونها كل يوم،

كي يجلبوا لها جردلين من الماء.

يشربون منهما، يغسلون منهما، ويغتسلون فيهما... ثم تشرب البقرة منهما.

هل تستشرفون مستقبل أطفال "أمنة"؟

وجه "أمنة" وأطفالها يبتسم رغم الفاقة.

طيب رغم المشقة.

ويثق بك، حتى وهي تدري أنك حتماً تكذب وأنت تواسيها أو تمنيتها.

"أمنة" وأطفالها يعيشون في المناطق الوسطى، مادمتم تصرون على التصنيفات.

ووجه الشاب، شاب يافع ويأس.

هرب من وطنه، بحثاً عن الرزق.

وطن يخيفه. لا يشعر فيه بالأمان.

فهرب من الوطن، وخلفه تسع أخوات، وأم تدعو له ليل نهار.

بحث عن الرزق في أوروبا.

ووجد نفسه يصنف كـ"مهاجر غير شرعي".

يضطر للعمل "سراً"، ليستغله من يوظفه "سراً".

ويصر على البقاء، رغم أنه يعيش "سرًا".

التقيته صدفة في قطار.

واكتشفت أن هويتنا واحدة.

الشاب جنوبي، إذا كنتم ممن يؤمنون بالتصنيفات.

ثم وجه الأب، ملهوف على ابنته. يحملها بين ذراعيه، وهي هامدة، هامدة. يصرخ في رواق مستشفى حكومي، يصرخ وهو ينتظر دوره، دورها، ينتظر منذ ليلة وصباح، ويرى أصحاب الوسطة يدخلون أمامه في لحظة، وابنته لا تتحرك، جثة بين ذراعيه هامدة. صرخته المحترقة لاتزال ترن في أذني إلى اليوم.

المستشفى في صنعاء، كي أذكركم بالتصنيفات.

والرجل لا أدري!

لعله كان شمالياً! لعله كان جنوبياً! لعله كان شافعيًا! لعله كان زيديًا!...

لعله...!

لكن لوعته كانت لوعة إنسان.

وحرقته كانت في وطنه.

اليمن.

وجه الإنسان في وطني.

هذا هو كل ما أراه في هذه الأزمة التي تقف أمامها اليمن.

وجهه، ووجهها.

وجه من لا صوت له.

الفقير لا صوت له في وطننا.

المسكين لا صوت له في وطننا.

والضعيف لا صوت له في وطننا.

والمحتاج لا صوت له في وطننا.

بغض النظر عن التصنيفات.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

رجلاً كان أم امرأة.

شمالياً أم جنوبياً... لا صوت لهما.

وصوتهما (هل اندهشتم؟) يبدو أيضاً غائباً في هذه الأزمة.

كم مرة تقاتلنا؟!

قبل الوحدة، وبعدها!

كم مرة؟!

في الشمال وفي الجنوب، وبين الشمال والجنوب، ثم بين أطراف اليمن الواحد.

يندى الجبين ونحن نتذكر.

لم لا تخجلون؟!

وكنا نتقاتل في كل شطر،

وكنا نتقاتل، بعضنا ضد بعضنا.

وكنا نتقاتل، الشطر ضد الشطر.

بعضنا يقتل بعضنا.

ونبرر القتل بالقتل.

وفي كل قتال كان أنين الإنسان صامتاً.

لم نسمعه، رغم الصراخ.

لم نأبه له، رغم الدماء.

واليوم أيضاً نريد أن نتقاتل.

متى ستكفون عن قتل بعضكم بعضاً؟!

ألم تتعبوا من الدماء؟!

يقولون إن التاريخ يعيد نفسه. وأنا أرى أن هذه العبارة محض هراء. فالتاريخ يصنعه

الإنسان، وهو يختلف باختلاف الزمن والموقف ثم المعطيات.

نحن من يصنع التاريخ.

ولأننا كذلك، قررنا في مايو ١٩٩٠ أن نتحد.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان



كان قرارًا..

قرارًا.

وكان قرارًا لا يعتمد على معطيات موضوعية.

ففي الواقع إن التصنيفات والتقسيمات كانت دائمًا موجودة، إن لم تكن في لغتنا، ففي ذواتنا.

موجودة.

لكننا قررنا أن نتناسى ذلك، وأن نتحد. هكذا تصنع الأوطان، بقرار متعمد بتكوينها، لو تدرون! سماها أندرسون "المجتمعات المتخيلة".

وكنا فرحين.

كان هناك أمل.

وكان هناك وعد بمستقبل.

الأمل تلاشى، والمستقبل معه.

ومن جديد نقف أمام نفق: حرب، دمار، وأنين.

ومن جديد علينا أن نختار.

فما العمل؟

لا أجد حلًا إلا في أن نقف في صف الإنسان.

صف من لا صوت له في وطننا.

وصدقوني، أن هذا الحل هو الأصعب.

ولعلي لذلك أطرحه عليكم وأنا حزينة. لأنني أدري، أننا كثيرًا ما نبحث عن الحلول البسيطة، نستسهل معها نحر أنفسنا بأنفسنا. ثم نفيق على الدماء.. من جديد.

لكنني سأطرحه عليكم رغم الإدراك.

دعونا مرة، نكف عن الصراخ، ونرفع أصبعنا عن الزناد، ونقف أمام الأزمة، ونجد لها حلًا.

حلًا يعترف بأن هناك مشكلة في الجنوب.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

وأن علاجها لا يكون بتجاهلها.

بل بالاحترام والندية.

وحلاً يعترف بأن هناك مشكلة في كل أرجاء الوطن، لا في الجنوب فحسب. فأنين الإنسان في كل أرجائه، لم أسمعه في الجنوب فقط.

وحلاً يعترف بأننا إذا أردنا أن نتحد، فإن الوحدة لا تقوم إلا على أساس احترام الإنسان في داخل هذه الوحدة، بغض النظر عن التصنيفات.

وأن هدر كرامة هذا الإنسان لا محالة سيؤدي إلى تشرذم الوطن، لا محالة.

دعونا نبحث عن حلٍ يحمي هذا الإنسان.

يحمي العجوز، "أمّة" وأطفالها، الشاب، ثم الأب الملهوف، وابنته...

لأن هذا الإنسان هو من يجد نفسه دائماً محشوراً في معمة القتال، مرعوباً.

هو من يحمل في النهاية أشلاء أطفاله، ويجمعها ملثاعاً.

وهو في النهاية، من يجد نفسه مدفوناً في بحر من الدماء.

نسفكها، ونحن نصرخ، كلاً وتصنيفه.

لو أصختم السمع، ستسمعون أنيه.

ولو دققتم النظر، سترون ملامحه.

ولذا، أسألكم من جديد: ألم تتعبوا من الدماء؟

● "النداء"، العدد ١٩٥، الأربعاء ٢٤ يونيو ٢٠٠٩



انزعجت!

إلهام مانع

انزعجت كثيراً لخبر تعيين داليا مجاهد عضواً في المجلس الاستشاري للأديان للرئيس الأمريكي باراك أوباما.

وانزعجت أكثر من انزعاجي.

قلت لنفسي: لا تكوني متطرفة في علمانيتك، ولا تمتعضي من حجابها، نصف أعضاء عائلتك من النساء يرتدين الحجاب، والمسألة في النهاية قطعة قماش قد لا تحدد في الواقع طريقة تفكيرها.

لكني، كي أكون أمينة معكم، كنت منزعة لسببين: الأول هو أن من تنشأ في بيئة عربية ثم تقرر ارتداء الحجاب عادة ما تكون متأثرة بفكر ديني أكثر محافظة مما هو سائد في بلدانها العربية. وإن كنت أقر أن حالة التأسلم الشعبية السائدة حالياً في البلدان العربية، لم تعد تعطي مجالاً للتفريق بين تدين المهجر الحاد ونظيره في البلد الأصلي.

السبب الثاني كان: حالة الفرح التي سادت وسائل الإعلام الممولة من المملكة العربية السعودية، إضافة إلى ترحيب منظمة إسلامية أمريكية معروفة بميولها الإخوانية الإسلامية، بتعيين داليا مجاهد في المجلس الاستشاري.



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

ولأنهم رحبوا كثيراً بتعيينها استغربت، ثم تخوفت.

رغم ذلك، أخذت مسافة من آرائي، وقلت: انتظري، الوقت وحده سيتكفل بتوضيح لونها ومواقفها.

ثم جاء خطاب الرئيس باراك أوباما الذي وجهه من جامعة القاهرة إلى العالم الإسلامي. أعجبني في مجمله؛ لولا عبارة قالها خاطفة، لفتت انتباهي مرة أخرى، فلسعني امتعاضي من جديد.

أدرك أن أي خطاب لرئيس في دولة غربية، يمر بمراحل وقنوات عديدة قبل أن يصل إلى صورته الأخيرة. ولذا لا أريد أن أضخم من دور المجلس الاستشاري للأديان، أو عضوة فيه من بين عشرين.

لكني استغربت للعبارة! كان الرئيس أوباما يفتخر بالحريات المتوافرة للمسلمين في الولايات المتحدة، وإلى المدى الذي دفع بالحكومة الأمريكية، على حد قوله، إلى "الذهاب إلى المحاكم للدفاع عن حق المرأة والفتيات في ارتداء الحجاب، وعقاب من يحرّمهم من هذا الحق".

هنا أدركت أن الرئيس أوباما يستمع إلى وجهة نظر أحادية في هذا الشأن، وأن وجهة النظر الأحادية هذه تقف مستفردة بالتعبير عما "يمثل المسلمين والمسلمات"، وهي وحدها التي تقول: "هذا ما يريده المسلمون والمسلمات". ولعلها في الواقع لا تقول إلا ما يمثل رؤيتها هي للإسلام. رؤية متأسلمة.

أن تذهب الحكومة الأمريكية إلى المحاكم للدفاع عن حق المرأة في ارتداء الحجاب، شأن يمكن أن نختلف عليه. فهناك من يقول إن الحجاب جزء من الدين. والكثير من النساء ممن يرتدين الحجاب اليوم يعلنن ذلك لأنهن مقتنعات فعلاً أنه جزء من دينهن.

في المقابل، اليوم، ارتفع العديد من الأصوات من داخل البلدان العربية والإسلامية، التي تؤكد وتصر على أن الحجاب رمز سياسي جاء مع مد سياسي إسلامي، وفي الواقع لا علاقة له بالدين. هو الرمز الذي اتخذه حسن البناء، مؤسس حركة الإخوان المسلمين، كنمط مضاد لصورة المرأة التي تبناها كمال أتاتورك في تركيا العلمانية بعد أن أعلن إنهاء زمن الخلافة العثمانية. لكنه، وهو يفعل ذلك، لم يقل هذا رأيي، بل قال: هذا رأي الله. الله هو الذي قال، رغم أن حسن البناء فقط هو الذي قال. وهذا الشد والجذب بين الصوتين، يثير قدراً من التشوش والبلبل، قد تبرر سبب اندفاع الحكومة الأمريكية الحماسي في الدفاع عن حقوق المحجبات

من النساء.

لكن أن تذهب الحكومة الأمريكية إلى المحاكم للدفاع عن حق الفتيات في ارتداء الحجاب أمر لا يثير فقط الاستغراب، بل الاستهجان، لأنها بذلك لا تدافع عن "حق إنساني" بل تساهم في انتهاك حقوق هذه الصغيرات.

كم منا رأى طفلة في السادسة أو التاسعة ترتدي الحجاب؟ ومنذ متى بدأنا نرى هذه الصورة؟ صورة طفلة صغيرة تغطي نفسها كاملة! هل كنا نفكر يوماً في تغطية طفلة في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الماضي؟ بالطبع لا. وإلى يومنا هذا في المجتمعات المدنية في البلدان العربية، لا نسمع عن طفلة في السادسة من العمر تضطر إلى ارتداء الحجاب.

لأنها -أعزائي- طفلة، تحب أن تلعب وتجري وتقفز، لا أن نجرها بحبال من قماش يخنقها وأنفاسها في كل حركة.

فلنحكم عقولنا، إخوتي، من يدافع عن الحجاب، يطالب بتغطية الجانب الأنثوي في المرأة كي لا تثير الرجل، هذا المنكوب بغرائزه. ولو افترضنا فرضاً أننا نقبل بهذه الرؤية (الحيوانية) للإنسان، ذكرنا كان أم أنثى، فإن من المنطقي القول إن الطفلة مستثناة من هذه المطلب؛ أليست طفلة؟ والطفلة ليست امرأة تصلح للنكاح. ورجوتكم أن تحتفظوا لأنفسكم بآراء من تعرفونهم من الفقهاء عن زواج الصغيرات. لأنها مخجلة، مخزية، ومهينة، لهم ولن يؤمن بها.

مد الإسلام السياسي ومعه هوجة التأسلم الشعبي التي امتدت إلى بعض أوساط المهاجرين في البلدان الغربية دفع بهم إلى التطرف، إلى حد أصبح فيه الفارق بين طفلة وامرأة لا يعني الكثير بالنسبة لهم. طفلة أو امرأة سيان. هي أنثى والسلام، وكل ما هو أنثى خطر، يجب حجبها وتكفينه. ومع المد أصبحنا نرى البعض يصرخ في البلدان الغربية مدافعاً عن حق الطفلة في أن تتحجب! وأن تعامل كامرأة! وأن تنتهك طفولتها! والصارخ لا يرى غضاضة في منطقها!

لذلك، لم تكن عبارة الرئيس موفقة.

فالرجل كان يفاخر في الواقع بانتهاك حكومته لحقوق الأطفال في مجتمعه.

والأهم أن عبارته لم تأت من فراغ، بل عبرت عن رؤية من يقدم له النصيح.

صممت رغم ذلك، على ألا أدع رؤيتي أنا الأخرى تتحكم في.

قلت لنفسني: الإنسان يُعرف مما كتبه أخيراً. فبحثت عن الكتاب الذي اشتهرت من خلاله

داليا مجاهد، وعنوانه "من يتحدث باسم الإسلام؟"، والذي نشر في نيويورك باللغة الإنجليزية عام ٢٠٠٧.

كتاب أجرت فيه الباحثة، وزميلها جون إسبوزيتو، مسحاً ميدانيا لعينة من السكان في العديد من البلدان في المعمورة، ضمن إطار مسح جالوب المعروف، وتزعم فيه وزميلها أن نتائجه تعبر عن آراء أكثر من مليار مسلم.

ما أجمل الخيال في صورته العلمية!

لا أعرف رأيكن أخواتي، لكنني أعمل في مجال البحث العلمي، وأرى من المستحيل لأي مسح ميداني أن يعبر عن آراء أكثر من مليار شخص. من يزعم ذلك لا يبالغ فقط، بل يتجاوز حدود الإدراك المعرفي العلمي.

فتشت في الكتاب عن مفهوم "الشريعة"، أردت أن أرى، هل تدافع فيه الباحثة عن رؤية مدنية للقانون في البلدان الإسلامية؟ وهذه نقطة ليست فلسفية من جانبي، لكنها ضرورية لأي إصلاح فعلي: قانون مدني يستند إلى مفاهيم حقوق الإنسان، يتعامل مع المواطنين في الدولة على قدم المساواة، بغض النظر عن الدين (والمذهب)، الجنس، اللون، أو العرق.

وجدتها في الواقع تدافع عن الشريعة قائلة هي وزميلها إن هناك خلطاً في المفاهيم بين الشريعة والقانون الإسلامي، الشريعة على حد رأيهما هي: "بوصلة، تعبر عن المبادئ التي تتعدى الزمان ولا يمكن تغييرها"، والقانون الإسلامي (الفقه) الذي هو: "خريطة، يجب أن تتفق مع البوصلة".

وجدت من الغريب، بعد ذلك التمييز بين الشريعة والقانون الإسلامي، ألا يثار خلال الحديث عن حقوق المرأة موضوع قوانين الأحوال الشخصية العربية، التي طالب تقرير التنمية البشرية العربي لعام ٢٠٠٥ بتغييرها لضمان النهوض بالمرأة العربية من واقعها المتخلف.

تلك القوانين تعتمد في مضمونها على نصوص قرآنية، أي أنها تدخل صميمًا في مفهوم الباحثة للشريعة/ البوصلة، وهي تؤسس للتمييز القائم ضد المرأة ضمن نطاق العائلة. ولأنها مجحفة، وفقًا لقراءتنا اليوم لمفاهيم حقوق الإنسان، فإنها بالتأكيد مبادئ مرتبطة بزمان نزولها، ويمكن تغييرها حتما بصورة تضمن حق المرأة في الكرامة والاستقلال. بكلمات أخرى: الشريعة يمكن تغييرها.

ووجدت من الأغرب أنها وزميلها عندما يتحدثان عن "الإسلاموفوبيا" الأوروبي، يتغافلان عن وجود مجتمعات موازية متأصلة في أوروبا، تصر على الفصل بين الجنسين، وتصر على

فرض صورة نمطية للمرأة، وتنتهك مفاهيم المساواة التي وصلت إليها هذه المجتمعات بعد مئات السنين من الكفاح.

وجدت كل هذا غريباً.

فمن يتحدث عن واقع، يتوجب عليه أن ينظر إليه من أوجهه المتعددة، لا من وجه أحادي ضيق.

أما الأغرب فهو أن الرئيس الأمريكي أوباما في سعيه إلى فتح حوار مع العالم الإسلامي اختار صوتاً لا يعبر عن التعددية القائمة في الآراء والمواقف في البلدان الإسلامية. بل اختار صوتاً يقول له: "هذا هو الإسلام، وهكذا هم المسلمون والمسلمات"، بدلاً من أن يقول له: "هذه رؤيتي للإسلام، وهذه رؤيتي لما يراه المسلمون والمسلمات".

والفرق بين العبارتين شاسع.

تمنيت لو أن الرئيس الأمريكي اختار أكثر من شخصية في مجلس مستشاريه، لا داليا مجاهد فقط، كي تمثل المليار مسلم، التي تزعم الباحثة في كتابها أنها تتحدث باسمهم.

أكثر من شخصية تعبر عن تعددية الآراء والمواقف المدنية والعلمانية القائمة في البلدان العربية والإسلامية، إضافة إلى شخصيات تعبر عن مواقف الأقليات الدينية والمذهبية فيها، وصوت هؤلاء كما تعرفون يبدو دائماً غائباً. وعندما تجتمع في مجلس واحد ستكون قادرة على تقديم رؤية متوازنة للواقع الذي يسعى أوباما إلى فهمه. وأظن أن في الولايات المتحدة الكثير من العقول والشخصيات القادرة على القيام بهذه المهمة على أكمل وجه.

هل تفهمون سبب انزعاجي، ثم امتعاضي؟

فالخوف، كل الخوف، أن الرئيس أوباما، لأنه لا يريد أن يكون كالرئيس بوش في مواقفه الأحادية، سيعمد هو الآخر إلى تبني رؤى أحادية مضادة.

وكلاهما يظل أحادياً، غير متعدد.

● "النداء"، العدد ١٩٧، الأربعاء ٨ يوليو ٢٠٠٩

وجه الله... وجه غاضب؟

إلهام مانع



ومنذ متى كان الله كارهاً لخلقه؟

تساءلت، وأنا أستمع إليها.

ووالله، أنني احترقت، وأنا أردده.

وها أنذا أعيد السؤال إليكما: منذ متى كان الله

كارهاً لخلقه؟

فتمعن، ثم تأملي، قبل أن تردا!

محدثتي كانت صحافية ماليزية، هندوسية

الديانة.

التقيتها على هامش مؤتمر "تعلم الحياة

في عالم متعدد الثقافات"، الذي عقد في

Caux في سويسرا، بين الخامس والتاسع

من يوليو الماضي، والذي رعته منظمة المبادرة من

أجل التغيير.

كانت تحدثني عما يحدث في ماليزيا. كانت تحدثني عن أُلها.

عن التغيير الذي يحدث في بلدها... تغيير أثر على حياتها، وحياة غيرها. وكانت تقص

عليّ حكاية عرفتھا من بداياتها، لأنها القصة نفسها التي تكررت فصولها في بلداننا العربية

بدءاً بمصر، مروراً بسوريا، واليمن... وبلدان المغرب العربي.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

محدثتي قالت لي إنها كانت تحيا في منطقة، سُمّتها التعدد. منطقة هي بؤرة مصغرة لماليزيا. وكما تعرفون، دولة ماليزيا تجمع بين قوميات وديانات متعددة. نصف سكانها ملاويون يدينون بالإسلام، ثلث السكان ماليزيون من أصل صيني، ومعظمهم يدينون بالبوذية، ونحو ٧٪ ماليزيون من الهنود يدينون بالهندوسية أو المسيحية، إضافة إلى جماعات سكانية تنتمي إلى أصول تايلاندية أو إندونيسية.

محدثتي قالت لي إنها في الماضي كانت تعيش مع مواطنيها من الماليزيين في وئام ومحبة.. إلى حد. لأنهم، كانوا يتعايشون معًا، ولا يتزاوجون فيما بينهم. في كل الأحوال، وعلى الأقل، كانوا يعيشون معًا، كلٌ ودينه، ويختلطون ويتزاوجون. وكان التسامح سمة الحياة.

ثم هبت رياح التأسلم الشعبي، حركته جماعات الإسلام السياسي. تماما كما هبت تلك الرياح في بلداننا العربية، وغيرت من طابعها. نراه اليوم من جديد في بلدان جنوب شرق آسيا.

فاقتلعت المحبة والتسامح من جذورها.

محدثتي قالت لي إن الزيارات التي كانت يومية مع جاراتها وصديقاتها من الماليزيات المسلمات تباعدت... فأصبحت أسبوعية.

ثم تباعدت أكثر فأصبحت شهرية.

ثم انقطعت.

وقبل أن تنقطع، عاداتها بعض من تلك الصديقات. قلن لها إن الأئمة الجدد في المساجد يحذرونهن من الاختلاط بمن لا يدين بدينهن. وأنهم أكثرنا من النصح، بكلمات تنز بالكرهية، قالوا لهن: "لا تودوا من لا يدين بدينكن. اقطعوا صلة المحبة والود. وحبذا لو أضمرت لهن الكراهية في القلب".

ولأنهن ظنن أن الأئمة في مساجدهن يحدثونهن بحديث الله، صدقن ما يقولونه. وكما تعرفون، فإن بعض الظن إثم.

إلهام مانع

من أجل هوية المسلمين

خفن، فابتعدن، حتى انقطعن عن صديقتهن الماليزية الهندية الأصل، الهندوسية الديانة.

فعاد السؤال إليّ من جديد: ومنذ متى كان الله كارهاً لخلقه؟

لا أقول ذلك بأريحية من يقتنع بتفوق دينه، كما يفعل الكثير من مفكرينا المسلمين.

كأنه يتصدق على خلق الله، بمحبة الله أو كراهيته.

بل أقولها لأنني على قناعة أننا جميعاً نقف أمامه سواسية.

مسلمون، مسيحيون، يهوديون، بوذيون، هندوسيون، ملحدون. كلنا خلقه.

الله المحبة. هكذا تصورته دائماً. نوره المحبة.

أما الله الذي يصوره لنا الفكر الديني السلفي، فهو لا يزيد عن رجل غاضب. هكذا يصوره لنا.

رجل غاضب، وجهه مكفهر، متجهم، كئيب، كئيب. لا يحب. بل يكره.

ونخافه. أي والله نخافه، يقولون لنا أن نخافه، فترتعد فرائصنا منه، هو ومعه الموت.

فلا نأمن له.

كأنه صورة مجسدة لمن يروج للفكر السلفي نفسه.

الله المحب، لا وجود له ضمن هذا الفكر.

لا يحبنا. وفي الواقع لا يحب لنا الخير.

فهو عندما يحبنا يَمُن علينا بالبلايا.

هل تذكرون تلك العبارة التي ما فتئوا يكررونها علينا: "إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه!".

يقولون لنا إن الله عندما يحبنا يكرهنا! فيتصدق علينا بالبلايا! بالله عليكم، هل نريد حبه

بعد هذا؟

ومع الوجه المكفهر للرحمن الذي يصورونه لنا، كذلك الدين الذي يدعونا إليه.

دين لا يحب الحياة. بل يدعونا إلى الموت، وإلى الموت ونحن نحيا.

دين لا يؤمن بالجمال في الحياة. بل ينفر من كل ما هو جميل في الحياة.

لا يؤمن بالحب، بالفن، بالغناء، بالموسيقى، بالرقص، والرسم... لا يؤمن بالجمال.
تخليوا: نغمة موسيقية جميلة، نطرب لها، نهز رؤوسنا معها، فينعق علينا صائح:
"الموسيقى حرام". لا يؤمن بالجمال بل يصر على القبح، الظلام، الكراهية، ثم الموت.

أريد صورة للرحمن "طبيعية".

يحبنا، ونحبه.

لا نخافه.

بل نحبه.

ليس بعبءًا، نخيف به الأطفال، فيصابوا بالكوابيس، ويبللوا أسرتهم ليلاً.

وأريد ديناً، لا يدعو إلى الموت في الحياة. بل يدعونا إلى الحياة، ومحبتها.

فأنا أريد أن أحيأ. وليس في الحياة، أو محبته، ما يعيب.

هذه رؤيتي للرحمن، وهذه رؤيتي للدين كما أمارسه. قد تتفقون معها، وقد تختلفون. وفي كل الأحوال سأحترم موقفكم.

لكن، عندما يتعلق الأمر بعلاقة الإنسان بغيره من البشر، عندما يتعلق بالعلاقة مع الماليزية من أصل هندي، وديانتها هندوسية، رجوتكم، رجوتكم كثيراً، ألا تقحموا الدين في الموضوع.

وأنا أعني هذه العبارة كما فهمتموها.

لا تدخلوا الدين في علاقة الإنسان بالإنسان، سواء كان هذا الدين داعياً إلى المحبة أو الكراهية.

بكلمات أخرى، حتى لو جاء إنسان يدين بالمسيحية، في صورتها المتسامحة (فالتطرف في كل الأديان كما تعرفون)، ليقول لي إن دينه يدعو إلى محبة غيره من غير المسيحيين، فإن موقفني سيظل حذراً من مثل هذا الحب. فكما أحبني لأن دينه يقول له ذلك، فهل سيكرهني لو دعاه دينه إلى الكراهية؟

هما وجهان لعملة واحدة. سلوكٌ يتحكم فيه فكر ديني.

إلهام مانع

من أجل هوية المسلمين

وأنا لا أريدها محبة دينية.

بل أريدها محبة إنسانية.

أخرجوا الدين من تعاملنا مع الإنسان.

لا تحبوا إنساناً أو تكرهوه لدينه، أو لأن دينكم يقول لكم بالمحبة أو الكراهية.

بل اقبلوا الإنسان كما هو.

مجرداً.

هكذا.

إنسان.

لو كان فعله خيراً، أحببته. وسأحبه، لا أسأل هل هو بوذي، هندوسي، ملحد، مسلم، مسيحي، أو يهودي.

ولو كان فعله سيئاً، ابتعدت عنه. ولن أسأل.

لكني لن أنقطع عن زيارة جرتي، لأنها هندوسية الديانة.

ولن أكف عن تحيتها ومعايدتها في الأفراح والأحزان، لأنها تؤمن بالهة متعددة.

ما تؤمن به شأنها، مادام لا ينتهك حقوقاً إنسانية.

وما يربطني بها هوية هي الأسمى: هوية الإنسان.

وكما أن الله لا يكره خلقه، كذلك الإنسان لا يكره نظيره.

ولذا، أعود، لأقول لكم: هي الحكاية نفسها تتكرر فصولها، نراها اليوم في ماليزيا وإندونيسيا، كما تابعناها صامتين، في بلداننا العربية، تكتب سطورها رياح الإسلام السياسي، ولن يقف في وجهها، ويتصدى لها غير إيمان الإنسان.. بهوية الإنسان.

● "النداء"، العدد ٢٠٢، الأربعاء ١٢ أغسطس ٢٠٠٩

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

ولي أمري أدري؟

إلهام مانع

والله، إني كدت أبتسم.

لكني احترت كيف أبتسم؟

ثم قلت لنفسي، إن الإنسان هو الإنسان.

في حكمته أو ضعفه.

هنا أو هناك.

لا فرق.

فعدت عن الابتسام، وتفكرت.

بعض السيدات السعوديات، تفتقت

قريحتهن.

أردن أن يأخذن موقفاً من الحركة المدنية

الناشطة الداعية إلى منح المرأة السعودية بعضاً

(وليس الكل) من الحقوق التي تتمتع بها نظيراتها من النساء

العربيات. فخرجن علينا بحملة عنوانها "ولي أمري أدري بأمرى".

فتحولت حملتهن إلى مادة للتندر.

هل نلومهن؟ كل ما أردنه هو أن يكحلن واقعاً، لا يعرفنه، فزدنه عمى.



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

وفي الواقع سيكون غريباً أن نتوقع منهن أمراً لا يفهمنه. ففاقد الشيء لا يعطيه، كما تعرفون.

معظمهن ينتمين إلى الطبقة الأرستقراطية السعودية.

ورئيستهن أميرة.

أيديهن مخملية. ويعشن في القصور والفيلات. فهل نلومهن إن جهلن واقع المرأة السعودية؟

سيدات الحملة خفن على نساء المملكة. خفن على النساء من النساء.

من ناشطات سعوديات، يعشن يومياً واقع المرأة في شرق المملكة وغربها، في شمالها وجنوبها. يعرفن كيف تعاني، يعرفن كيف تعيش مذلة يومية.

لسن أميرات. لحسن الحظ!

ويؤمن أنه من حقهن أن يعاملن كإنسان بالغ راشد.

إنسان.

ليست طفلة المرأة.

ليست قاصراً المرأة.

وليست عاراً نغطيه.

ناشطات تعبن من واقع المعاناة والمذلة اليومية.

فطالبن بإلغاء مبدأ الوصاية على المرأة السعودية.

لم يستغربن أن بلدهن هو البلد المسلم الوحيد الذي يمنع المرأة من قيادة السيارة. ألا يبدو غريباً أن تنفرد السعودية بهذا المذهب الغريب؟ لكنه كان دوماً غريباً.

لم يتساءلن لم ينفرد وطنهن بين البلدان الإسلامية، بأن زاد الخناق على المرأة فيه ألف ضعف، فأصبحت المسكينة لا تتحرك دون إذن من ذكر، لا يميزه سوى عضوه الذكري.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

فأصبحنا نرى امرأة في العشرين، ينهرها أخوها ابن العاشرة.

ولي أمري أدرى بأمرى؟

بالله عليكم؟

لم يستغربن أن المرأة في بلدهن لا تستطيع أن تتحرك شبرًا دون إذن من وليها. لا يحق لها أن تخرج من بيتها، أن تدرس، أن تذهب إلى المستوصف... دون إذن من ولي أمرها.

وولي أمرها هو أبوها أو أخوها أو أي ذكر في عائلتها حتى تتزوج. ثم يصبح ولي أمرها زوجها حتى يموت أو تموت. يزوجها وهي في العاشرة، يضربها، أو يعنفها، أو... يُحسن معاملتها. هي وحظها.

كالبطيخة، قد تكون ناضجة حمراء تنزح حلاوة، أو تعثر، فتكون مُرة، حامضة، مقبّية كالقطران.

يعشن أميرات. والقيود التي تخنق المرأة العادية كل يوم، لا تطبق عليهن.

هل واجهن يوماً رجلاً من هيئة كتم أنفاس الخلق؟ لو وقع نظر رجل من الهيئة على واحدة منهن، لتوارى خوفاً.

فالدين كما تطبقه الهيئة لا يعترف إلا بالقوة. قوة ولي الأمر.

أين من رجالها والدين؟

ولي أمري أدرى بأمرى؟

بالله عليكم؟

لم يستغربن. لم يتساءلن.

بل انزعجن، بسذاجة يُحسدن عليها، تذكرنا بسذاجة ماري إنطوانيت، من مطالب من احترقت أيديهن بنار الواقع اليومي للمرأة السعودية.

فبعثن برسالة إلى العاهل السعودي، يدعونه إلى الثبات على الظلم.

إلهام مانع

من أجل هوية المرأة

"من قال إننا في حاجة إلى حقوق؟"

"لا نريد حقوقًا تتنافى مع عاداتنا!"

"كف أيديهن عنا!"

"اقطع ألسنتهن!"

"ثم أخرس أصواتهن!"

"دعنا كما نحن!"

"كائن في درجة أقرب إلى الحيوان! (مع احترامي للحيوان)"

والدهش، أني لم أندesh. لم أندesh من الحملة.

أتعرفن لماذا؟

لأن تاريخ الحركات النسائية المطالبة بحقوق المرأة في كل أرجاء العالم، كان مليئاً بحملات شبيهة بحملة "الرجل أدرى بأمرى" هذه.

مقابل كل امرأة ناشطة طالبت بحقوقها، وقفت أكثر من امرأة تلعنّها، باسم العادات، باسم التقاليد، وباسم الدين (أياً كان هذا الدين)، وتُعيب عليها سعيها إلى التغيير.

ليست غريبة هذه الحملة.

تشبه حملة أخرى قامت بها نساء سويسريات في العشرينيات ثم في الخمسينيات والستينيات ضد المطالبات بحق المرأة في التصويت. هن أيضاً لجأن إلى الدين والعادات والتقاليد كذريعة تقف أمام التطور.

حتى في هذه لسنا فريدين.

فالإنسان كما قلت من قبل هو الإنسان.

في حكمته، وقوته.

وفي ضعفه وسذاجته.

هنا أو هناك.

لا فرق.

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

لكن ولي أمري، ليس أدري بأمرى.
فأنا الأحق بشأني.
والأدري بأمرى.
حتى وأنا أحنى رأسي إجلالاً لأبي.
وصاحبات الحملة يصرون على البقاء قاصرات.
ذاك شأنهن.
لكن من قال إنهن يتحدثن باسم المرأة السعودية؟

● «النداء»، العدد ٢٠٥، الأربعاء ٢ سبتمبر ٢٠٠٩



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلاميات

حملة الأربطة السوداء

إلهام مانع



الأسود لون الحياة، هل تذكرون؟

حياة امرأة في شبه الجزيرة العربية.

حياة بلا ألوان، تغيب فيها البهجة، كما يُغيب الظلام

النور.

حياة بلا حياة.

لا لون لا طعم لا رائحة. أية حياة حياتنا في

شبه الجزيرة العربية؟

يقولون لها، للطفلة، للفتاة، للمرأة: "عيشي

صاغرة، صامطة، مستكينة، متمسكة، عيشي

ثم أطيعي، وإياك أن تكوني.

"لا ترفعي صوتك، حذار من صوتك،

خافي منه، كما تخافين من جسدك، ابلعي

صوتك، فصوتك عورة، وحبذا لو قطعت لسانك كي

لا نسمعه.

"عيشي بكماء، أنت والخرس سواء، خرساء في وجودك، مكبوتة في

كيانك، كأنك لا شيء، فتلة، بعوضة، قشة، أو شيء، شيء نفعل به ما نشاء، نُحرّكه، نرفعه،

نُزّله، نُزوجه، نمارس معه الجنس غصباً، ونضربه، ثم نطلقه، أو نقتله نحرّاً وهو حي، أو دفناً

وهو ميت، ونلفه في سواد الخوف، سواد داخل سواد."

إلهام مانع

من أجل هوية الأسبوع

يكفنونها في سواد فكرهم ثم يناشدونها مبتهلين "حبذا لو دفنت نفسك حية"، ويهزون
رأسهم معجبين. يا الله، ما أغربهم.

"موتي. فحياتك موت".

وهي؟

هي لا تريد الصمت، تريد لسانها طويلاً، هل تسمعون، طويلاً، وتريد صوتها عالياً يفرق
بضحكاتها مرحاً. ولا تريد الموت والكفن، بل تريد الحياة، وتريد أن تحيا، تحيا بتعمد، كل
لحظة، كل دقيقة، كل ثانية، تريدها حية، عامدة متعمدة، أن تحيا، كإنسان، له وجود، ويفخر
بهذا الوجود. أه ما أجمل الحياة عندما نقدر على أن نعيشها.

لكنهم لا يأبهون لما تريد، بل يهمسون ليل نهار في أذنها: "أنت تابع، تابع، تابع، اسمعي
وأطيعي، ولا تجادلي، إياك أن تجادلي، فالجدل رجس من عمل الشيطان، أطيعي، وكوني
نكرة".

ويقولون لها: "حذار حذار من جسدك، هو والشيطان رديفان، العنيه صباح مساء، ثم ضمديه
بالسواد، وأخفيه عن العيون كي لا تدنسه النظرات، ملعون أيها الجسد، ملعونة أنت أيضاً يا
من تحملين هذا الجسد، هذا الرجس، حبذا لو مسخت كيانك فأصبحت أنت والظلام سواداً".

شرنقة، يخنقونها بالسواد كي لا تتنفس، كي لا ترى، كي لا تفكر، كي لا تقرر، كي لا تكون
إنساناً.

"وجودك مصيبة وكذلك جسدك، فحبذا لو اخترت السواد حياة، حياة بلا لون، لونها
أسوداً!".

وهي؟

هي تحب هذا الجسد، وتريد أن تحياه هو الآخر، وتكره أن تكفنه، تريد أن تمزق تلك الأربطة
والأقمشة السوداء من على جسدها، وتُخرجه ملوناً زاهياً، مبتسماً وفخوراً. من قال إن خلق
الله فيه ما يُخل ويُعيب؟ لا ترى في كيانها الأنثوي جريمة، ثم لا تعتبر الجمال خطيئة، وتصر
أن تفكر، تصر أن تقرر، تصر أن تختار، تصر أن تكون هي هي، لا أحد غيرها، ولي أمرها، ولذا
تتمرد. من قال إن التفكير خطيئة أيها البشر؟

لكنهم لا ييأسون، فيهمسون من جديد "الله يقول إن السواد قدرك، الله يريد أن يدفنك حية،
الله هو المذنب، فاقبلي بقرارات الله"، وينظمون الحياة وفقاً لرؤيتهم هذه، يقولون أن الله هو
الذي صاغها، الله هو الذي وضعها، ومن جادل حده السيف.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

هل نلومها لو سمعت وأصاغت ثم لبت وأطاعت.

لكنها لا تصدق، أي والله لا تصدق. تُطيع قدراً وهي تقول: "أه كم من جرائم نرتكبها باسم الله؟". تحني رأسها قليلاً وهي تقول "من يصدق أن الله يقول هذا. رجال يقولون، ثم يقولون: الله هو الذي قال. أي رب يكون لو قال ذلك حقاً؟ رب ظالم؟ سبحان الله ما أبجحهم".

الأسود لون حياتها. حياة بلا لون، حياة بلا إرادة.

لكن الأسود أيضاً رمز للقوة، القوة لا غير.

رمز لقوتها. قوة المرأة عندما تنتمرد.

قوة الصلدا تخرج من صلب الصهد شهاباً.

لم أعرف لوناً أقوى منه، يخرج لسانه لمن حوله ويقول ها أنا، كما أنا، لست لوناً، لكن هل من لون يغلبني؟ هل جربتم مرة مزج السواد بغيره من الألوان؟ قوي هو.

وقوته في تفرده.

كذلك امرأتنا، امرأتنا القوية.

تلك التي عندما تنتمرد تُفزع من حولها، فيسارعون إلى خنقها وكتم أنفاسها.

هل رأيتم كيف تمكنت الصحافية لبنى في السودان في إثارة أزمة تصدرت صحف العالم لأنها ببساطة رفضت أن تجاري قانوناً سخيلاً يمنع المرأة السودانية من ارتداء البنطال؟ لبنى تمردت، وقالت لا. لم تفعل أكثر من أن استجمعت شجاعته وقالت "لا"، قانون كهذا ينتهك آدميتي يجب أن يلغى، فأصبحت مثلاً ونموذجاً. تمردت. ولم تخف.

وامراتنا القوية في السعودية فعلت الشيء نفسه يوم التاسع من نوفمبر الجاري.

الكاتبة والناشطة وجبهة الحويدر وزميلاتها من الناشطات السعوديات قلن أيضاً "لا"، قلنها في ذكرى الأربعين امرأة سعودية، الرائدات، اللاتي قررن في نفس اليوم قبل ٢٠ عاماً أن يمارسن حقاً طبيعياً تمارسه كل النساء في كل أرجاء العالم، قدن سياراتهن علناً في شوارع الرياض. ولأنهن جرؤن، كان الثمن باهظاً: قُبض عليهن، سُحبت جوازات سفرهن، وفقدن وظائفهن، والمخزي أن "أولياء أمورهن" اضطروا أن يتعهدوا بأن تُحسن "نساؤهن" السيرة بعد ذلك.

تلك الذكرى رمزية في دلالتها، لأنها تظهر واقع المرأة السعودية بصورة مختصرة: حتى لو

كانت المرأة تنتمي إلى شريحة اجتماعية مثقفة أو اقتصادية مرتفعة، فإنها لحظة مواجهتها مع السلطات تتحول إلى "شيء يملكه رجل". رجل يتولى أمورها من يوم ولادتها إلى مماتها، رجل يقود سيارتها، رجل يزوجها، وآخر يتزوجها، والشيء ينتقل من يد رجل إلى رجل آخر. وجبهة الحويدر وزميلاتها قررن أن مثل هذا الوضع ينتهك آدميتهن، وتمردن. قلن ببساطة "لا"، وعبرن عن موقفهن بأسلوب سلمي كله حب. لم يفعلن أكثر من أن ارتدين أربطة سوداء حول رُسغهن، وناشدن غيرهن وغيرهم أن يفعلوا الشيء نفسه. وعندما فعلن ذلك، كن يدركن أنهن بأسلوبهن السلمي إنما يخاطبن الإنسان في من حولهن، حتى لو كان ضدهن. تمامًا كما فعل غاندي، تمامًا كما فعل مارتن لوثر كنج.

لم يخفن من اللعن والشتائم، ذاك قدر من يجروء على المطالبة بالتغيير.

لم يدارين وجوههن في السواد.

بل رفعن أيديهن بالرباط الأسود.

حياة بلا لون، لونها أسود.

وقوة تخرج من رحم التمرد، رمزها الأسود.

كم منا يقدر على ما تفعله وجبهة وزميلاتها من الناشطات السعوديات؟

عن نفسي ارتديت رباطاً أسود، وأرثديه إلى يومنا هذا، فالحملة بدأت في التاسع من نوفمبر الجاري، وهي مستمرة.

وابنتي، ابنة العاشرة، ارتدته أيضاً، وأقنعت زميلاتها في المدرسة، تلميذات سويسريات في الصف الرابع الابتدائي، أقنعتن أن يرتدين تلك الأربطة تضامناً مع أخواتهن في السعودية.

وأنا أدري أن ما أفعله رمزي مقابل ما تفعله وجبهة وزميلاتها من داخل المملكة.

لكن، تخيلوا لو أن كلا منا ارتدى رباطاً أسود تضامناً معهن، ألن تصل الرسالة إلى صاحبها؟

أحلام يقظة؟ بعضكم يبتسم من جديد.

وأنا بدوري أبتسم، وأرد: "نعم، لكن من حقنا أن نحلم".

● «النداء»، العدد ٢١٤، الاثنين ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٩

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

ماذا حدث في سويسرا؟

إلهام مانع



بالطبع أشعر بالإحباط.

ولعلي كدت أبكي. فما أصعب الخيبة، وأنت تراها تتجلى أمام عينيك.

لكنني عدت أقول من جديد، الإنسان هو الإنسان، في قوته وضعفه، في الخير الذي فيه، تماماً كما في خوفه وتحيزه.

هنا، أو هناك، لا فرق.

ولأن الأمر كذلك، قلت لنفسني: "كان لزاماً الإصرار والتمسك بقوة بمبدأ عالمية حقوق الإنسان!"

ماذا حدث إذن في سويسرا الأحد يوم التاسع والعشرين من نوفمبر الماضي؟

صوّت الشعب السويسري بأغلبية نسبية، نحو ٥٧٪، على مبادرة شعبية تقضي بحظر بناء المآذن.

من المهم التأكيد هنا أن الحظر يطال المآذن فقط، ولا يمس حرية العقيدة، وممارسة المسلمين لشعائهم أو تنظيمهم لأنفسهم في منظمات أو جمعيات. ومن المهم أيضاً التذكير بأن الحكومة السويسرية كانت أول من أعرب عن أسفها العميق لنتيجة هذه المبادرة،

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

التي وصفتها من قبل بأنها ستمثل انتهاكاً لحقوق أقلية دينية. ومن المهم أيضاً القول إن القوى السياسية الكبرى، باستثناء حزب الشعب السويسري اليميني المتطرف، أصيبت بصدمة نتيجة الاستفتاء وأدانتته.

كل هذا لا ينفى أن ما حدث يعد تمييزاً واضحاً ضد أقلية دينية، هي أقلية مسلمة هذه المرة. فلو أن الحظر استهدف كل الرموز الدينية لكل الأديان، ما كنت سأنزعج. لكنه هنا استهدف أقلية واحدة، ولذلك كان تمييزاً.

حدثٌ مذهل، لأننا ببساطة لم نتوقعه.

توقعنا أن تأتي النتيجة متقاربة، ولكن برفض يتماشى مع العقلانية السويسرية وتسامحها.

لكن هذا لم يحدث.

ما حدث هو أن اليمين المتطرف نجح في إثارة مخاوف الشعب السويسري بصورة دفعته إلى اتخاذ قرار يتناقض مع مبادئ الدولة التي ينتمي إليها.

الخوف مم؟ تتساءلون؟

خط اليمين المتطرف بين قضايا ثلاث جمعها في سلة واحدة رمز لها بالماذن.

الخوف من إسلام سياسي أصولي متطرف، سيكون من الغباء القول إنه غير متواجد.

والخوف من عادات وممارسات تنتهك حقوق المرأة تتواجد لدى شريحة من المهاجرين من بلدان إسلامية، على رأسها إكراه الفتيات على الزواج، عادة الختان، ومنع الفتيات من المشاركة في بعض الصفوف الدراسية، خاصة السباحة ومادة الثقافة الجنسية، بحجة الخصوصية الثقافية.

والخوف من عولمة غيرت من التركيبة السكانية لسويسرا في وتيرة تنقطع معها الأنفاس. عشرون في المائة من السكان اليوم هم من الأجانب والمهاجرين.

الخوف -ممزوجاً- لا يفرق بين مشكلة إسلام سياسي تجب مواجهته، ومشاكل اندماج تجب معالجتها بصرامة، وتغيير أصاب العالم بأسره، فسويسرا ليست جزيرة منعزلة عنه.

لعب اليمين المتطرف على هذه المخاوف جيداً، وبصورة خلط فيها بين الأوراق، ففرغت أغلبية، وصوتت كما صوتت. يا للخيبة.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام



لكن بعض رموز الجالية المسلمة ساعدت اليمين المتطرف كثيراً في تغذية هذه المخاوف، بسبب بعض مواقفها.

تصرفت كما لو كانت ضيفة في هذا المجتمع.

اعتبر بعض زعماء الجالية المسلمة، أو على الأقل من يقولون إنهم يتحدثون باسمها، أن المبادرة الداعية إلى حظر المآذن شأن سياسي، وأنهم لذلك كجماعة دينية لن يتدخلوا فيها!

كانهم يعيشون في المريخ، ولا علاقة لهم بالموضوع.

كما لم يأخذوا هذه المخاوف بعين الجدية.

اثنان من أبرز قاداتهم أصرا على أنه على حد علمهما لا وجود لإسلام سياسي متطرف في سويسرا! حقاً؟

يقولان ذلك رغم أن تقارير مخابراتية وصحافية أظهرت العكس. نعم هناك وجود لإسلام متطرف، لكنه يظل محصوراً في أقلية. إنكار وجوده لن يساهم إلا في تغذية المخاوف. لأن الكذب يظل كذباً. حتى لو كان هدفه تحسين صورة جالية.

أتساءل، لم يصعب علينا أخذ موقف حاسم رافض للحركات الإسلامية السياسية الأصولية، ويدين أهدافها؟ يرفضها دون أن يضيف جملة: "نعم نحن ضدها، ولكن...". سؤال يتوجب عليهم الإجابة عليه.

الخوف الأعماق والأهم في رأيي ليس فقط من الأصولية المتطرفة، بل من تغيير مجتمعي لا يتفق مع مبادئ هذا المجتمع وقيمه.

فالقشة التي قصمت ظهر البعير كانت في الموقف الذي اتخذته بعض هؤلاء تجاه رأي عبر



عنه أكاديمي سويسري في بدايات هذا العام، اقترح فيه السماح للمسلمين بتطبيق بعض جوانب الشريعة الإسلامية في قوانينهم العائلية.

بدلاً من أن يأخذ هؤلاء موقفاً حاسماً واضحاً لا لبس فيه ضد هذا المقترح، عبر البعض عن ارتياحه للموضوع، وآخر اعتبر أن الوقت غير مناسب لطرحه، ليترك المجال مفتوحاً للتساؤل عما إذا كان يرغب في طرحه في المستقبل.

وكان من الضروري لنا نحن النساء المهاجرات القادمات من دول إسلامية، أن نأخذ موقفاً حازماً يدين هذا التوجه ويبرز كيف سيؤدي إلى انتهاكه لحقوق المرأة.

هل نهرب من جحيم كي ندخل في جحيم آخر بمحض إرادتنا؟

هذا الموضوع في رأيي كان القشة التي قصمت ظهر البعير.

هذه القشة هي التي تفسر أن نسبة كبيرة من المصوتين ضد المآذن كن من النساء السويسريات. فالسويسريات عانين كثيراً هنا كي يصلن إلى الحقوق التي وصلن إليها، لم يكن الأمر سهلاً بالنسبة لهن. وقد كافحن كثيراً حتى حصلن على حق التصويت، وتمكن من تغيير قانون عائلي عام ١٩٨٨ كان يعطي للرجل الحق في السماح لزوجته بالعمل، وتقرير مكان إقامة أسرته.

وهن لسن على استعداد للقبول بقوانين عائلية تعيد الساعة إلى الوراء، وتمحي تلك الحقوق التي اكتسبناها حتى لو كان الأمر لا يعنينا.

ففي النهاية، التمييز إذا حدث سيحيط على رأس النساء المهاجرات من دول إسلامية.

هناك خوف عميق لدى شرائح واسعة هنا في سويسرا. وخوفها الأكبر هو أن هؤلاء الذين يتحدثون باسم الجالية الإسلامية، لديهم أجندة خفية، ويسعون لتغيير قوانين البلاد خطوة خطوة.

إلى يومنا هذا، لم يقف هؤلاء الذين يزعمون التحدث باسم الجالية الإسلامية، ويعلنوا بوضوح رفضهم لتطبيق أي جانب من جوانب الشريعة الإسلامية، أو الإقرار بانتهاكها لحقوق الإنسان والمرأة.

الخوف لن يزول إلا إذا تحدثنا بصدق، وأظهرنا وجوهنا كما هي. عساها تكون فعلاً كما

يقولون.

لن يزول إلا إذا أقرنا أن هناك مشاكل جوهرية وحقيقية.

لا أسعنا ان ندفن رؤوسنا في الرمال ونقول الزواج بالإكراه لا يحدث في جاليتنا. ١٧ ألف حالة زواج قسري حدثت في سويسرا، وأغلبية كبيرة منها حدثت لدى مهاجرين من دول إسلامية. أن تحدث حالات زواج قهري لدى مهاجرين من أديان أخرى لا يعفينا من النظر إلى المشكلة والتعامل معها بجدية.

تماماً كما لا يسعنا تجاهل أن نسبة كبيرة من حوادث العنف يرتكبها شباب من الجيل الثاني أو الثالث من المهاجرين المسلمين. شباب ضائع بين عالمين، عائلاتهم تصر عليهم ألا يندمجوا في مجتمعهم الجديد، تقول لهم أن يرفضوا ثقافته، ثم تفرض عليه عنفاً من نوع آخر، عندما تصر على تزويجه، شاباً كان أو شابة، غصباً عنه. وبعضنا يحيا في هذا البلد، في مجتمعات موازية، ينظر إليه على أنه غريب، يتندر عليه وعلى ثقافته، وينظر إليه بعلو وتكبر. وأظن أن بعضنا من العرب يفهم ما أقوله جيداً.

هذه مشاكل موجودة.

إنكارها، ووصف من يطرحها على النقاش بأنه مصاب بالإسلامفوبيا لن يؤدي إلا إلى تعميق المخاوف الموجودة لدى شريحة كبيرة من الشعب السويسري. مخاوف لم ندرك مدى عمقها إلا عندما جمع اليمين المتطرف كل هذه المشاكل ورمها في سلة واحدة، رمز لها بالمتئذنة، وصوّت عليها الشعب السويسري يوم الأحد الماضي.



أقول هذا رغم أنني متألمة؛

من نجاح هذا اليمين المتطرف في استثمار هذا الخوف لدى قطاع واسع لدى الشعب السويسري. ومن أن هذا البلد الآمن الطيب، الذي حمل ولازال يحمل راية حماية حقوق الإنسان بجدارة، مُرّرت فيه مبادرة شعبية ستؤدي إلى تمييز ضد أقلية دينية. لكنه كان درساً.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

ذكرني بما أمنت به دوماً.
حقوق الإنسان عالمية.
ليست مرتبطة بثقافة دون أخرى.
هدفها حماية الإنسان من ضعف هذا الإنسان.
وهي ملزمة للدول العربية تماماً كما أنها ملزمة لسويسرا.
هنا أو هناك. لا فرق.

● «النداء»، العدد ٢١٥، الاثنين ١٤ ديسمبر ٢٠٠٩



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

من يخشى نصر أبو زيد؟

إلهام مانع



"من الذي يملك أوطاننا؟".

تساءل مفكرنا الجليل نصر حامد أبو زيد. وكاد أن يكون مندهشاً. فهل اندهشتم؟

وأنا لن أردد السؤال من بعده. ولن أسأل. فالجواب نعرفه، أنتم وأنا. أمام أعينكم. فهل رأيتموه؟

ولأن لكل سؤال مقدمة، دعوني أقص عليكم الحكاية من بدايتها. بعدها اطرحوا السؤال على أنفسكم، لكن في صيغة أخرى. اسألوا أنفسكم: من يخشى نصر أبو زيد إلى هذا الحد؟ وحينها ستفهمون.

البداية تعرفونها. خبر سمعتموه، بعد أن كررته وسائل الإعلام: منعت سلطات الأمن الكويتية يوم الثلاثاء الموافق ١٦ ديسمبر، مفكرنا الجليل نصر حامد أبو زيد من دخول

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان



• نصر أبو زيد

الكويت. كان مدعوًا من قبل مركز الحوار للثقافة (تنوير) والجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية ليلقي محاضرتين عن "الإصلاح الديني في الدولة الدستورية" وعن "قضايا المرأة بين أفق القرآن والفكر الفقهي".

كان مقررًا أن يحاضر. فمنعوه.

منعوه رغم أن وزارة الداخلية الكويتية منحته تأشيرة دخول.

ولأن التأشيرة كانت على جواز سفره، سافر وهو مطمئن. ظن أنه يتعامل مع دولة ذات مؤسسات. وكنا نظن الكويت كذلك. لكن ظنه خاب عند وصوله إلى مطار الكويت.

لماذا منعوه؟

قالوا "منعناه حماية له". قالوا إن

الحكومة الكويتية، التي وفرت الحماية للرئيس الأمريكي السابق بوش بجدارة، غير قادرة على توفير الحماية الأمنية للمفكر المصري. وذكروا بفتوى إهدار دمه الشهيرة. خافوا أن يتعرض لمحاولة اغتيال!

هل ابتسمتم؟ أنا أيضًا كدت أبتسم.

فالمذهل حقًا، أن من ردد هذا العذر (الذي لن أصفه)، توقع أن نصدقه.

كالنعامة تدفن رأسها في التراب وتنسى أن تغطي مؤخرتها. أليست كبيرة؟ المؤخرة، لا النعامة.

إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

وصمتوا عن الجعجة التي أثارها إسلاميون كويتيون، ينسى المرء أسماءهم من فرط تشابههم في اللفظ والفكر. من فرط إصرارهم على إقصاء الآخر، أيًا كان هذا الآخر.

وصفوا مفكر القرن الحادي والعشرين بـ "الزنيق"، و "الكافر"، و "الملحد". وكلهم، أراهنكم، لم يقرأوا سطرًا من كتبه. اعتمدوا على السمع. "طوبى للعقلاء، وغفر الله للبيغاوات"، على حد قول مفكرنا الجليل.

لكن ألاحظهم كما ترون تتناسب مع فكرهم، وتعكس ببساطة متناهية رؤيتهم للعالم. ولذا، اسمعوني جيدًا، لم يكن غريبًا أن يصفوه هكذا. هل انتبهتُم؟ موقفهم لم يكن غريبًا. هم إسلاميون، وفكرهم متطرف. هل نتوقع منهم أن يلاقوه بالأحضان والزهور؟

ولأن الأمر كذلك، فإن دعوتهم إلى منعه أيضًا طبيعية.

هم يرون فيه عدوًا. عدوًا تمكن بجدارة من تعرية خطابهم الديني.

فمفكرنا عندما قال إن "النصوص الدينية تأنست منذ تجسدت في التاريخ واللغة وتوجهت بمنطوقها ومدلولها إلى البشر"، لم يفعل أكثر من أن سحب البساط من تحت أقدام هؤلاء الذين يعتاشون على، ويرترقون من الخطاب الديني، بعد أن حولوا النصوص إلى صنم يعبدونه.

لذا، أكرر، لم يكن موقفهم مفاجئًا. بل كان طبيعيًا، يتماشى مع نسق فكرهم.

السؤال الذي يجب طرحه هو: إذا كان من الطبيعي أن يطالب إسلاميون بمنع دخول نصر أبو زيد إلى الكويت، فهل كانت استجابة السلطات الحكومية لهذا الطلب مفاجئة؟

بعضكم سيرد بنعم، ويذكر بأن نفس هذه الجهات الحكومية سمحت بدخول المفكر محمد أركون الكويت العام الماضي.

وتحديدًا هذه المقارنة بين نصر حامد أبو زيد ومحمد أركون هي التي تفسر التفاوت في موقف السلطة. وهي التي تظهر في الواقع أن منع دخول أبو زيد لا يجب أن يكون مفاجئًا، بل يتماشى هو الآخر مع طبيعة أنظمتنا الحاكمة.

المفكر الكبير محمد أركون كان وما زال مهمومًا بدراسة النص الديني، والقرآن تحديدًا، دراسة علمية، وبصورة نقدية تفكيكية، مستخدمًا في ذلك مناهج بحث علمية حديثة. تمامًا

كمفكرنا أبو زيد.

لكن الدكتور نصر حامد أبو زيد قرر في الوقت ذاته أن يعري المدلولات السياسية لتفكيك الخطاب الديني، معبراً عن استقلاليته كمفكر ومثقف.

قرر ألا يصمت عن الزواج القائم بين خطاب السلطة السياسية والخطاب الديني. قال ببساطة إنهما وجهان لعملة واحدة. كل يعتمد على الآخر، وكل يستمد بقاءه من الآخر.

هل نسيتم ما قاله في نقد الخطاب الديني؟

"إن دعوى احتكار الحقائق، وما يترتب عليها من دعوى احتكار القرار، تمثل الأساس النظري لمفهوم الحاكمية الديني، ولا يكتفي الخطاب السياسي بهذه الدعوى الخطيرة، بل يقرنها بدعوى لا تقل عنها خطورة من حيث قيام مفهوم الحاكمية عليها، تلك دعوى الصواب الدائم وعدم اقتراف أي خطأ. وتتبدى هذه الدعوى واضحة في تحميل الخطاب السياسي كل أوجه القصور والعجز في سياساته، بل وكل أزمات الواقع ومشكلاته، على أكتاف المواطن العادي..."

بكلمات بسيطة، لم يكتف نصر أبو زيد بنقد الإسلاميين، وتعرية خطابهم، بل انتقد أيضاً السلطة السياسية التي تعتمد على هذا الخطاب في تبرير بقائها حتى وهي تحارب الإسلاميين.

وهو ما يعني بداهة، أن أي حديث عن إصلاح ديني نسعى إليه في أوطاننا لا معنى له دون إصلاح سياسي مرادف له. الاثنان يأتیان معاً.

نصر أبو زيد لم يمسك العصا من الوسط. وضع إصبعه على الداء، ووصف الدواء في الوقت ذاته.

ولأنه كذلك كان خطراً، ليس فقط على الإسلاميين، الذين جعجعوا لغطاً، بل على السلطة التي منحتة التأشيرة ثم أدركت أن محاضرة تجمع في عنوانها "الإصلاح الديني" و"الدولة

الدستورية"، ستعري عورتها. فغيرت رأيها.

لم يكن موقف السلطات الكويتية مفاجئاً.

تماماً كموقف الإسلاميين وحناجرهم الزاعقة.

في الواقع، المفاجأة الوحيدة والسارة، كانت في الموقف الملتزم المتحدي الراقي لمنظمي الندوة، الذين أصروا على عقد الندوة في وقتها، واتصلوا بالمفكر نصر أبو زيد، الذي ألقى محاضراته على مدى ساعة كاملة. لسان حالهم: "حتى لو منعتموه من دخول الكويت، فصوته، ومعه فكره، معنا!".

إصرارهم وإصرارهن أظهر أن الأمل في الإصلاح قائم.

وإن الإنسان في أوطاننا هو حامل شعلة هذا الأمل.

فالإنسان، لا تنسوا، هو الحل.

الإنسان.

● «النداء»، العدد ٢١٧، الاثنين ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٩



علينا أن نختار!

إلهام مانع



"هذا يعني أنه لم يكن المسؤول عما حدث. أليس كذلك؟".
سألتني ابنتي، ابنة العاشرة، وأحسست في سؤالها
ابتهالاً. كأنها تريد أن تعفيه من تداعيات ما فعله.
وأنا رددت عليها: "بل يتحمل أيضاً المسؤولية. لأنه
في النهاية كان قادراً على الاختيار. كان بإمكانه أن
يقول لا".

كان بإمكانه أن يقول "لا".

لكنه لم يقلها.

فكان عليه أن يتحمل تداعيات ما حاول
فعله.

كنا نتحدث عن الشاب النيجيري الذي
حاول تفجير نفسه وركاب طائرة متوجهة إلى ديترويت
في أعياد الميلاد.
كنا نتحدث عن فعله.

حدثها عن حياته، كابن لعائلة مرموقة في نيجيريا، وعن مستقبله الذي كان يمكن أن يكون



مشرقاً. وعن أسرته، عن أبيه، وحرقة قلب والديه. أم، من لديه ابن أو ابنة سيدرك لوعة قلبهما. كيف ضاع ابنهما منهما، وكانا قد وفرا له أفضل السبل كي يشق حياته.

ثم حكيت لها عن زيارته إلى اليمن، ثم إلى بريطانيا، وكيف اجتمع عليه إسلاميون، غسلوا دماغه غسلاً، فنسي أهله، ونسي مستقبله، بل كره أهله، وكره حياته. وعندما قالوا له إن الإيمان يعني أن ينتحر ويقتل غيره في الوقت ذاته! صدقهم. استقل طائرة يريد أن يفجرها. لهذا قلت لها إنه "أيضاً" يتحمل المسؤولية.

فأنا لم أنس أنه زار اليمن. وأن تقارير عديدة آخرها ما ذكره توماس فريدمان في مقاله المنشور في "الهيرالد تريبون" في السابع من يناير، أظهرت أنه أرسل إلى أسرته من اليمن يحدثهم عن "اكتشافه" للإسلام الحقيقي.

لم أنس أن زيارته تلك، و"اكتشافه" ذاك، جعله يتحول إلى "إسلام" يدعو إلى القتل والإرهاب. "دين" لا يجد ما يضير في قتل الإنسان لنفسه. في الانتحار. ويشجع من يرغب في الانتحار على قتل غيره. قتل الطفل والمرأة والرجل والشيخ. قتل الإنسان. ويسمونه جهاداً؟ بل اسمه إرهاب.

سموا الأشياء بأسمائها. لا تضللوا العقول، كي لا يسقط شاب مثله من جديد في الفخ. ولم أنس أن هناك من غسل دماغ ذلك الشاب. غسلها غسلاً، في اليمن، وفي بريطانيا حيث تنتشر أيضاً حركات إسلامية، تصر أنها "اكتشفت إسلاماً حقيقياً"، وتدعو مريديها إلى القتل، تدعوهم إلى "الجهاد" (لا تنسوا اسمه من جديد) تدعوهم إلى الإرهاب. ورغم أنني لم أنس كل هذا، لم أنس أيضاً أن الشاب اختار. اختار.

فميزة الإنسان قدرته على الاختيار.

كان بإمكانه أن يقول "لا".

كان بإمكانه أن يفكر. أن يتدبر. أن يتساءل: "كيف يكون قتل البريء طريقاً إلى الله؟ أي رب يدعو إلى القتل؟ ولماذا يرسلونني أنا، أنا من دون غيري، للانتحار والقتل؟".

كما كان بإمكانه أن يتراجع عن الفكرة.

كان بإمكانه أن ينظر إلى وجوه المسافرين معه على متن الطائرة، الأم تحنو على طفلها،

الصغير يبتسم وهو يلعب، الزوج والزوجة يتحدثان، المسن يتحرك في مقعده قلقاً، والشابة سعيدة ببقاء أسرتها في الأعياد، أن ينظر إلى وجه الإنسان من حوله، ويتساءل، ماذا فعلوا كي يستحقوا القتل؟ بأي ذنب أقتلهم؟ ولو طرح السؤال على نفسه، ما كان سيجد جواباً.

لكنه لم يتراجع. فكان عليه أن يتحمل مسؤولية ما فعله.

الاثنان يتحملان المسؤولية.

الجماعة التي غسلت دماغ الشاب، والشاب الذي اختار.

ففي النهاية ما يصنع الإنسان هو قراره.

لكن الصورة لم تكتمل بعد.

نحن أيضاً نتحمل المسؤولية في ما يحدث اليوم، في هؤلاء الشباب الذي يفجرون أنفسهم في العراق، في أفغانستان، في باكستان، في داغستان، وفي العالم بأسره، يرهبون العالم لأننا صامتون.

نحن.

نحن: قنواتنا التلفزيونية التي تُمجد ثقافة "الجهاد"، فيصدقها الشباب بريئاً، ليقدم على القتل والإرهاب. وإعلامنا يحول المحرضين من نوعية يوسف القرضاوي (لم أسمعه يوماً يحرض على الجهاد ضد قطر؟) وعبدالمجيد الزنداني، هذا عدا شيوخ السلفية الوهابيين، يحول هؤلاء إلى أبطال، ينظر إليهم شبابنا اليافع مصدقاً مبهوراً، لا يدري أين سيقوده انبهاره.

نحن: حكوماتنا التي ما فتئت تغازل الإسلام السياسي، تجيره لصالحها، تظن أنها ذكية، حتى انقلب ضدها، فأصبحت اليوم تخافه، ولأنها لازالت تخافه لم نسمع إلى يومنا هذا مسؤولاً يخرج علينا يدين "الجهاد" ويسميه باسمه (لا تنسوه من جديد)، اسمه "إرهاب".

نحن: ديننا الإسلامي نتعامل معه كأنه حجر صلد ننحني أمامه كأنه صنم. نرفض أن نقر أن ديننا في حاجة إلى إصلاح جذري، وأن هذا الإصلاح لن يجدي طالما لم نقر بالطبيعة البشرية للقرآن والسنة، كي نصل إلى مرحلة تمكنا من القول: "نعم، هناك نص في القرآن، لكن هذا النص لا يعنيننا اليوم". في الواقع، اليوم، يتوجب علينا أن نفصل بين الدين والدولة كي نتمكن من أن نحيا.

نحن: من يرفض ما يحدث ويظل رغم ذلك صامتاً. يظن أن في الصمت الأمان، ليصحو يوماً على ابنه منتحراً قاتلاً.

نحن إذن مسؤولون أيضاً.

كذلك الشاب النيجيري ومن غسل دماغه.

عن نفسي، اعتدت أن أتحمّل مسؤوليتي، ولذا قررت من جديد ألا أصمت.

قررت أن أبدأ سلسلة جديدة تحت عنوان "من أجل إسلام إنساني". أتحدث فيها عن الهوية، عن حرية الاختيار، عن طبيعة القرآن، وعن المرأة في ديننا. وقبل كل هذا سأحدث عن مضامين دعوة الإسلام السياسي، مضامينها الفاشية.

وسأفعل ذلك كل أسبوعين، في موقع شفاف الذي استضافني دوماً، ولذا أظل ممتنة له، وعلى صفحات جريدة النداء اليمنية المستقلة، التي أشكرها على استضافتها الدائمة، وعلى مدونتي أيضاً.

قد أتأخر بضعة أيام، فلا تنزعجاً، أنتِ وأنتِ، مني.

فانا أعمل كما تعرفان، أعمل كي أتمكن من كتابة هذه الكلمات وأنا حرة.

لكنني لن أتأخر أكثر من ذلك.

فقراري ببساطة لا يزيد عما يجب أن نفعله نحن جميعاً، أن نبدأ بقول كلمة "لا"، "لا" لفكر يقتل آدميتنا، يبرر القتل والإرهاب، ويدعو شبابنا، كالنيجيري الشاب، إلى الانتحار والقتل، ويدفعه دفعاً إلى الجحيم بدعوى أن "في القتل الخلاص".

هذا الفكر أرفضه، جملة وتفصيلاً.

وسأعبر عن رفضي له بالكلمة.

ففي البدء، كما تعرفون، كانت الكلمة!

• «النداء»، العدد ٢١٩، الاثنين ١١ يناير ٢٠١٠

إلهام مانع

من أجل هوية إنسانية

أمة؟

إلهام مانع



في البدء كانت الكلمة!
والكلمة كانت إنساناً!
والإنسان لا يكره!

.....

دعوني أقص عليكم حكاية قديمة!
حكاية حكيناها ألف مرة، كل قرن، كل عقد، وكل
سنة.

نخط سطوراً وكلمات جديدة، ومضمونها
ظل هو هو. لا يتغير. كأن قدرنا أن نحيا
حياة لا تتغير فصولها.

المضمون كان في كلمة واحدة: "أمة".

هل تذكران؟

كانت "أمة إسلامية"، ثم تحولت إلى "أمة عربية"، ثم عادت
لتصبح "إسلامية" من جديد.

لكن هل وجدت هذه الأمة فعلاً؟

لو طرحت عليكم هذا السؤال، عزيزي الشاب، عزيزتي الشابة، لما ترددتما في الرد: "بالطبع



إلهام مانع
من أجل هوية إسلامية

توجد هذه الأمة!

ستقولان: "هناك أمة، وهي إسلامية. هذه حقيقة ساطعة كالشمس".
وغيركما في الأمس القريب كانا سيقولان: "بالطبع توجد أمة، وهي عربية، تمتد من بغداد إلى الرباط، هذه حقيقة ساطعة كالشمس".
لكني تمنيت عليكم أن تتحليا بملكتي الشك والصبر معاً.
أن تشكا كثيراً في "الحقائق الساطعة كالشمس"، التي لا تسطع إلا لتغيب بالكذب.
شكا في كل ما يقال لكما، في كتب التاريخ، وفي خطب المساجد، وفي أحاديث شيوخنا،
بخاصة ذاك الذي يُحني لحيته بالحناء. يعرف نفسه فلا تبتسما.
فليس كل ما لقنوه لكما صحيحاً. في الغالب ما قيل لكما لا يمت إلى حقائق التاريخ
بصلة.

وأن تصبرا عليّ، وأنا أتحدث إليكما. لأنني لا أتحدث بالرموز. فقط أهيئ للنقاش معكما.
فحديثي سيكون معكما طويلاً في هذه السلسلة. وكما قلت لكما في المقال السابق، أني
سأستهل سلسلة "من أجل إسلام إنساني" بالحديث عن الإسلام السياسي. ذاك الذي يدغدغ
حبكما لله بحديثه، ثم يأخذكما معه في طريق يدعوكما به إلى القتل والانتحار. فشكا كثيراً
في نواياه، واطرحا السؤال دوماً "كيف نُقتل حباً في الله؟"، "وباسم من نقتل؟" ولو طرحتما
السؤال بهذه الصيغة، ستكتشفان أنه والكراهية وجه واحد.

هذا الفكر، فكر الإسلام السياسي، يتخذ من كلمة "أمة" محوراً لرؤيته للوجود:

"أمة إسلامية في حالة حرب.

كانت دوماً في حالة حرب.

أمة إسلامية تقف مقاومة ضد الكفار".

وهؤلاء الكفار يشملون بشرّاً، مثلكما، شاباً وشابة مثلكما، يدينان بديانات مختلفة، أو
مذاهب إسلامية مختلفة، أو اختاروا طريقاً مختلفاً لا يؤمن. هذا حقهما. هما بشر مثلكما، لكنهما
يختلفان عنكما، تماماً كما تختلفان عنهما. لكن الرحم هو هو: الإنسان فيهما وفيكما.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

مسكينة هذه الأمة.

"تدخل في حرب، لتخرج من حرب، لتواجه حرباً من جديد.

وكلها حروب مصيرية.

علينا أن ندخلها أو نموت.

ومن يرفض الدخول فيها نقتله.

من يُشكك فيها يصبح منافقاً".

هكذا يفكرون، وهكذا يقولون.

وسيضربون بي مثلاً. فانتبها.

سيقولون لكما: "هذه منافقة، باعت نفسها، تكره دينها وأمتها".

هذه ابتسامة، أهديتها لكما، كي لا تصدقا.

فأنا أحب الإنسان. هو وطني. وأؤمن بالعقل، هو طريقي إلى الإيمان، ومُصرّة أن الأمة لم توجد قط!

وأؤمن أن الحروب لا تؤدي إلا إلى الخراب. ألم نتعب من الحروب بعد؟

وأن القتل، ينحر الإنسان فينا، وأنه لا توجد قضية في العالم بأسره أقتل من أجلها. لن أقتل إنساناً من أجل فكرة. فاتركا القتل للمجرمين.

ثم هذه زهرة، أقدمها لكما، كي لا تطعنا في نيتي. فأنا أقف معكما في صف واحد. وأبحث معكما عن طريق لمستقبل تعيشان فيه وأنا وغيري معكما، بكرامة واحترام ورفاهية.

مستقبل يكون لكما.

أنتِ وأنتِ.

مستقبل في وطن لكما.

وطن. ليس أمة.

بل وطن. له حدود. حدود جغرافية. وفي داخله مواطن ومواطنة. يقفان متساويين أمام

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

القانون، بلا تمييز، بسبب الدين، النوع، العرق، أو الهوية.

إنسان يقف أمام قانون يحترم إنسانيته.

ولأنني أقص عليكما حكاية، سأخط أولى صفحاتها المرة القادمة بحكاية الأمة، تلك التي لم توجد قط!

في البدء كانت الكلمة!

والكلمة كانت إنساناً!

والإنسان لا يقتل!

• «النداء»، العدد ٢٢١، الاثنين ٢٥ يناير ٢٠١٠

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

لأن الأمة لم توجد قط!

إلهام مانع



"كلما جاؤوا إلى الدكان، تخاصمنا!"

قالها لي منزعجاً. قالها لي متأماً.

وابنتي تسألني، لم يشترون من دكانه ماداموا يتخاصمون معه كل مرة؟ وسؤالها في الواقع هو المحك.

مُحدثي يعمل في مطعم صغير لبيع ساندوتشات الدوّنر كباب التركية، تشبه الشاورما، لكن كمية اللحم فيها مخيفة، قنبلة من السعرات الحرارية، لكني أحبها رغم ذلك. أذهب وابنتي إليه من وقت إلى آخر. فنتحدث. فمادام لساننا عربياً، سيكون من الغريب ألا نتحدث.

ومُحدثي شاب عراقي. عراقي شيعي.

هرب من جحيم الحرب في العراق، عندما كانت

الحرب المذهبية مازالت مستعرة. عراقي سني يقتل عراقياً

شيعياً، وعراقي شيعي يقتل عراقياً سنياً. وهو على قناعة أنه على الرغم

من كل الأزمات التي حدثت في العراق بعد سقوط نظام صدام حسين الديكتاتوري، فإنها تظل

أفضل ألف مرة من حكم الرئيس السابق صدام حسين.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

محدثي هرب من الموت والحرب. لكنه يظل مصرًا على موقفه. هكذا يشعر.

ومن يخاصمونه عرب. هكذا وصفهم. سنيون. هكذا وصفهم. يأتون إليه كل مرة، كي يتخاصموا معه. يشترون الساندويتشات، يدفعون ثمنها، ويلعنونه وهم يفعلون ذلك!

لكن، انتبها لما أقوله الآن، خصامهم كان حول وصف الحرب بـ "المذهبية". مخاصموه يصرون أن "أمريكا هي التي زرعت الفرقة والمذهبية في العراق"، وأنها "أشعلت الحرب المذهبية أو الطائفية عامدة متعمدة"، وأن المذهبية طارئ جديد على المنطقة.

وينزعجون منه دائماً، ويودون دوماً لو يخنقوا صوته عندما يقول "كنا دوماً منقسمين"، و"أمريكا ليست من زرع المذهبية والطائفية"، بل "كانت دوماً فينا!"

هاتان قراءتان للتاريخ. قراءة "مخاصمي محدثي"، تصف موقف أغلبية في المنطقة العربية، تصر على أن تقرأ التاريخ بعيداً عن الحقائق التاريخية لما حدث فعلاً على أرض الواقع. والثانية، قراءة محدثي، التي تعكس رؤية لأقلية أو أغلبية مهمشة تعرف دوماً أن الانقسام كان موجوداً، وأنه ليس مزروعاً من قوى خارجية، بل هو خصيصة تميز هذه المنطقة ومجتمعاتها، لكنها هي أول من عانى بسبب القراءة الأولى للتاريخ.

كيف نقرأ التاريخ؟

عندما قلت لكما في المقال السابق إن "الأمة لم توجد قط"، ظن بعض منكما أنني أمزح. لست جادة، أو لعل بعضكما همس في نفسه، "ها هي تغالط التاريخ من جديد". وفي الواقع أنا جادة تماماً في ما أقول. فالأمة لم توجد إلا في ذهن من قرأ التاريخ وفقاً لهواه، ورفض أن يراها على تعدديتها وتنوعها. تعددية تجعل من الحديث عن أمة عبثاً.

أعود وأطرح السؤال من جديد "كيف نقرأ التاريخ؟".

قراءة مخاصمي محدثي، هي في الواقع القراءة الرسمية لكثير من الدول العربية، تلك التي نقرأها في كتب تاريخنا.

هل قرأت تاريخاً للأقباط في التاريخ الذي يُدرس في صفوفنا المدرسية في مصر؟ أي والله لهم تاريخ، تاريخ عريق، وهو جزء لا يتجزأ من تاريخ مصر نفسها، وعمره خمسمائة عام! هل تعرفين شيئاً عنه؟

وهل قرأت تاريخاً أو رؤية للدين تعترف بوجود الشيعة في المملكة العربية السعودية؟ كيف يسمونهم في الكتب المدرسية السعودية؟ رافضة! ومصيرهم النار!

وغالباً عندما نتحدث عن المملكة نراها بوجه متجه سلفي. لكن لو أزلت ذلك القناع ستري تعددية ملونة، بين طوائف سنية شافعية وغيرها صوفية، إضافة إلى الحنبلية الوهابية، وأخرى شيعية جعفرية وإسماعيلية وزيدية. تعددية، تعكس تعدد المناطق التي تتشكل منها المنطقة. لكن القراءة الرسمية للتاريخ في المملكة لا تعترف بهذه التعددية. كأن سكان المملكة لم يكونوا!

وهل قرأتما كتب التاريخ في اليمن، شمالاً أو جنوباً، ثم يمناً واحداً؟ كلها كانت ومازالت تصر على أن ألوان المجتمع المذهبية غير موجودة، شافعية وزيدية وصوفية وإسماعيلية، وانقسامها القبلي ليس سوى تفصيل. وإذا لم تعترف بوجود هؤلاء كيف ستبني دولة تقوم على مفهوم المواطنة؟ فأساس مفهوم المواطنة، أنك تدرك أن هناك تنوعاً واختلافاً، تحترمه، وتصر في الوقت ذاته أن الوطن يجمع الكل في بوتقة واحدة. كن ما تكون، في النهاية أنت مواطن.

وماذا عن كتب التاريخ في سوريا؟ هل هناك أي ذكر لوجود الأقلية الكردية؟ أو تاريخ الكنيسة الشرقية بتعدد مذاهبها، ثم ماذا عن تاريخ الطائفة العلوية والدرزية؟ هل يشار إليها في سوريا؟ مجرد الإشارة إليها من فم شخص حسن النية ستؤدي به إلى السجن.

ولا تنسيا الأمازيغ (البربر كما هي التسمية الشائعة) في بلدان شمال إفريقيا، السكان الأصليين في تلك البلدان، هل تاريخهم أيضاً يدرس ضمن التاريخ الرسمي لتلك الدول؟

والأقلية اليهودية؟ تلك التي كانت جزءاً من نسيج مجتمعاتنا، ثم طردنا أغلبها بعد تأسيس إسرائيل؟ لو قيل لكما إنهم خرجوا بمحض إرادتهم لأنهم طابور خامس، كما قيل لي من سابق، أنصحكما بقراءة كتب تاريخ المنطقة بلغات أخرى غير العربية، وحبذا لو عدتم إلى أرشيف الصحف العربية التي كانت تصدر في تلك المرحلة التاريخية. ستجدون أن أغلبية من الأقلية اليهودية طُردت من أوطانها، وأُجبرت على ترك الغالي والرخيص، وأن من أجبرهم على ذلك هي الدول العربية نفسها وأنظمتها الحاكمة القائمة آنذاك.

بعض هذه الأقلية اليهودية لازال موجوداً في بلداننا. في سوريا، في لبنان، في مصر، في المغرب، في تونس، وبالطبع في اليمن. تصر أنها منا، وأن أوطاننا أوطانها، رغم رفض

الأوطان والمجتمعات لها. أي وجود حزين هذا يا رب؟ هل نعتزف بوجودها؟
لاحظنا أنني في كل حديثي هذا لا أجد أية مشكلة من وجود هذه التعددية في مجتمعاتنا.
ليست مصدرًا للفرقة والبلبله. بل أعتبرها ضرورية.
لأن التعدد والتنوع كان دومًا سمة إنسانية.
كل منا له رأي، أو دين، أو مذهب، عرق، أو لغة، أو جنس، أو لون.
وهذا التنوع ضروري، بحكم أننا بشر، ولأن الإنسان ولد حرًا. هو بالطبع لم يختر العرق
أو الجنس أو اللون الذي ولد به. وغالبًا ما سيتحدث بلغة محيطه. لكن هذه الخصائص
الطبيعية لا تعد انتقاصًا في شخصه.

هو وهي هكذا.

ولدا هكذا.

وهكذا أقبليهما.

أقبليهما بلا تحفظ.

لا أرى فيهما سوى الإنسان.

بتنوعهما.

وأحترمهما.

أيضًا بلا تحفظ.

وبلا شروط.

لأنهما إنسان. مثلي. مثلكما.

وهما، مثلكما، ولدا أحرارًا.

وحريتهما تستلزم اختيارهما للدين الذي يرغبانه، وللمذهب الذي يشاءانه، أو للرأي
والموقف الذي يفضلانه. في الواقع حريتهما تستلزم حقهما في عدم اختيار أي دين إذا
أرادا.

لا أرى مشكلة في هذا التعدد، وأدين في الوقت ذاته تلك القراءة الرسمية للتاريخ في الكثير
من دولنا العربية، لأنها ببساطة لا تريد أن تعترف أن مواطنيها متعددون، وأنهم متساوون

أمام قوانينها رغم هذا التعدد.

وتصر على منظور يقول بأن الدولة لها هوية دينية، غالباً ما تكون مسلمة سنية (أو غير سنية وتخشى من السنة)، وفي الأغلب تحولت إلى حارس شخصي لمصالح فئة دينية، مذهبية، أو قبلية، ولأنها كذلك فإنها ببساطة تفتقد الشرعية، خاصة في نظر مواطنيها "الآخرين" ممن يريدونها أن تكون ممثلة لهم هم أيضاً.

يريدونها دولة محايدة.

دولة مواطنين، متساوين أمام القانون بغض النظر عن دينهم مذهبهم قبيلتهم جنسهم عرقهم أو لونهم. أهو كثير ما يطالبون به هنا؟

لاحظ أن هذه القراءة الرسمية للتاريخ لا تقول بالضرورة إن هناك أمة، إسلامية أو عربية. هي فقط لا تعترف بتعدد مجتمعاتها. لكن معظم الدول العربية مدرجة تماماً لمعطيات الواقع المجتمعي والسياسي في المنطقة، وأنها دول، ليست جزءاً من أمة، عربية أو إسلامية، وتدري أنها في سياساتها ستتبع حتماً ما تمليه عليه مصالحها الإستراتيجية، كدول ذات سيادة ولها حدود. معظم الدول العربية تدرك ذلك وتمارسه عملياً.

في المقابل، هناك قراءة ثانية للتاريخ.

قراءة الإسلام السياسي.

هي أيضاً ترفض التعددية لكن من منطلق مختلف.

وهي أيضاً تقرأ التاريخ كأن التاريخ لم يحدث فعلاً.

قراءة محورها الأمة... أمة تكره!

ولأنها تكره، تدعوكم إلى القتل.

أسرد قراءتها عليكم في المقال القادم.

● «النداء»، العدد ٢٢٢، الاثنين ١ فبراير ٢٠١٠

إلهام مانع
من أجل هوية إسلامية

أمةٌ تكره؟

إلهام مانع

أمةٌ تكره؟

لا تؤمن بالإنسان.

لا تؤمن بالحرية.

ولا تحب.

تكره.

ثم تدعو إلى القتل.

لمَ لا تُحب؟

وإلى أن يأتي يوم تقدّر فيه على الحب،
أهديكما زهرة... بدلاً من رصاصة.

الكرهية هي عنوان قراءة الإسلام
السياسي لتاريخ بلداننا العربية.
كرهية.
وعمية.

لا تهتم كثيراً بحقائق التاريخ. في الواقع لا ترى داعياً للعودة إلى التاريخ. بل تختلقه
اختلاقاً، ثم تقدمه لكما، على ورق سوليفان، في طبق فضة، وتؤكد لكما أن التاريخ كان دوماً



إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

هكذا. وعليكما، عزيزي الشاب، عزيزتي الشابة، أن تصدقاه، شئتما أم أبيتما. وإذا ترددتما، إذا قررتما أن تستخدمما خلايا عقلكما كما أراد الله لها أن تستخدم، أعني في التفكير، تصبحان تلقائياً... ملعونين.

فمن لا يصدق الداعين إلى الإسلام السياسي يصبح مكروهاً.
فلا تصدقا.

والأمة هي من جديد المحور لهذه القراءة للتاريخ. يصر عليها فرحين مروجو فكر الإسلام السياسي، وشيوخ بلحيات حمراء، بيضاء، أو سوداء، لا يهم.
تماماً كما لن يهم كثيراً إذا كانوا سلفيين أو من المتحزبين لله، فالاثنتان يتفقان على تقسيم العالم إلى دارين؛ دار حرب ودار سلام. يقف فيها العالم منقسماً إلى معسكرين: أمة إسلامية، وأعداء هذه الأمة.

الأولى ضحية تدافع عن نفسها، والثانية عدوة تكره هذه الأمة.

لكن الطريف، أنهما حتى وهما يروجان لمفهوم الأمة، سيختلفان على طبيعتها.

السلفيون يقولون إنها أمة سنية، وحبذا لو كانت حنبلية، والإخوان سيطبلون من بعدهم، وعلى رأسهم شيخهم القرضاوي. وشيخ المتحزبين لله، سيرى أنها أمة إسلامية، وسيغض الطرف عن "الانقسام الطائفي"، لأن "المعركة أكبر من هذه الانقسامات"، وإن كان لن يمانع كثيراً لو أضيف عليها مسحة "شيوعية".

لكن الاثنان سيتفقان على أن "الكافرين" يستهدفون الأمة الإسلامية، وأنهم (أي الكافرين) "جندوا لذلك جنوداً متعددة وأجندة متنوعة"، وسعوا بكل ما يستطيعون من قوة إلى أن "يجعلوا المسلمين أقساماً متفرقة، وأصنافاً متناحرة، وألواناً متباينة، مستهدفين من خلال ذلك المتمسكين بدينهم".

التاريخ وفقاً لهذه الرؤية صيرورة... سلسلة لا تنقطع من الأزمات تعاني منها الأمة.

والأمة دوما ضحية، يستهدفها الأعداء، مسكينة، عانت ولا زالت تعاني، من حقد الغريب، كراهيته، ذاك الذي يسعى إلى تدميرها وسحقها سحقاً.

كان العالم لم يجد غيرنا ليكرهه.

ونحن؟

لا علاقة لنا بالتاريخ. لسنا مسؤولين. كأننا غرباء عن صناعة التاريخ. وسيقولون إن كل ما نحاول فعله أمس واليوم وغداً لا يزيد عن "الدفاع عن أنفسنا". ولذا من حقنا أن نقتل ذلك الغريب".

فانتبها لقراءة الإسلام السياسي للتاريخ. لأنه في الواقع يدفعكما دفعاً إلى القتل، يحولكما إلى مجرمين، بدعوى الدفاع عن "فكرة" اختلقها ثم صدقها.

ثم يصرون على أننا إخوة، وينسون وجود الأخوات. وهذه فاصلة.

ثم يؤكدون على أن الأخوة التي تجمعنا لها لون واحد لا غير.

إما سني حنبلي، أو إخواني مسلم، أو شيوعي متحزب.

لا يؤمنون بالتعددية، بل يرفضونها رفضاً، ويعتبرون أن تنوع المجتمعات العربية، بين مذاهب وأديان وأعراق ولغات مختلفة، أمر مشين، أمر سيئ.

ولذلك يكرهون الديمقراطية.

أفضل نظام سياسي وصلت إليه البشرية، يعتبرونه بدعة كافرة.

ولو قبلوه فبشروط. وشروطهم تنسف مفهوم الديمقراطية من أساسه.

ما يريدونه هو حكم ديني مستبد. حكم بشر، يستخدم الدين كغطاء وذريعة.

لا يحميك ولا يحميك.

بل ينتهك آدميتكما.

كل ما عليكم فعله هو أن تنظروا إلى نماذج الحكم الديني التي جربناها في تاريخنا الحديث:

طالبان في أفغانستان، حكم المؤسسة الدينية في السعودية وإيران، حكم الشباب المسلم في الصومال، هذا عدا عن الحكم الديني في السودان منذ عهد النميري.

وستدركان أنها والحرية على طرفي نقيض.

الحرية لا مكان لها في رؤية الإسلام السياسي.

حرية الإنسان.
في أن يكون كما يشاء.

والتعدد يُعتبر هو الآخر خطيئة.
ومن كان مختلفاً، هكذا يرون، يصبح عدواً للأمة.
ولذلك عندما يقرؤون التاريخ يحولونه إلى قصة لا علاقة لها بالتاريخ.
سيقولون لكما إن الإسلام كان دائماً واحداً.
رغم أن الإسلام كان دائماً متعددًا:

متعددًا في المذاهب والفرق: بين سني وشيعي وصوفي، وزيدي وعلوي ودرزي. هذا عدا أن مجتمعاته كانت دائماً متعددة في الأديان واللغات والأعراق. أين مكان المسيحية واليهودية والصابئة والأكراد والأمازيغ من هذه القراءة؟ وفقاً لهذه الرؤية هم ذميون أو فرق ضالة، وكلهم لم يعانون تمييزاً في مجتمعاتهم، بالعكس، هي تصر على أنهم عاشوا سعيدين راضين مبتهجين في ظل حكم "الدولة الإسلامية". كأن التمييز والتجريح لم يكن، وكأن المذابح التي طالت علويين ومسيحيين ويهوداً لم تكن. التاريخ كما يقرؤونه هنا لا علاقة له بحقائق التاريخ.

ومتعددًا في العادات والتقاليد: هل لاحظتم الفرق بين إسلام إندونيسيا وإسلام نجد في المملكة السعودية؟
فرق شاسع.

إسلام إندونيسيا، على الأقل قبل أن يمتد إليه مد التأسلم الشعبي والإسلام السياسي، عكس الطبيعة الأموية الحنونة (من الأم) لمجتمعاته، في حين أن إسلام نجد يُظهر وجهاً قليلاً أبوياً متجهماً، وجهاً لفحته صحراء قاسية.

فكل مجتمع يتبنى الدين، أي دين، ثم يغيره وفقاً لطبيعة الإنسان في هذا المجتمع. ولذا تجددين أيتها العريضة أن المذهب المالكي السني في الكويت يختلف في مواقفه تجاه المرأة عن المذهب المالكي السني في المغرب. الأول تشرب بمواقف العشيرة المتشددة من المرأة، والثاني عكس المرونة المنفتحة للمجتمع المغربي المتنوع.

هذه واحدة.

وسيقولان لكما إن تاريخ الإسلام منذ بداياته، أي منذ عهد الرسول الكريم إلى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، كان تاريخاً نقيّاً، واحداً هو الآخر. وسيمرون مرور الكرام على الحروب التي عصفت به، وإذا مروا بها سيفعلون ذلك للتأكيد على أن الصراع كان دائماً بين خيرٍ وشر. وهدفهم في النهاية أن يعودوا بنا إلى ذلك الزمن. يقولون لكما إن هذا الزمن كان نقيّاً طاهراً، كي يقنعكما بضرورة العودة بحياتنا إلى تلك الفترة. فلو كان غير ذلك، لأصبح الحديث عن إعادته في زمننا هذا ضرباً من العبث.

وفي الواقع، عزيزي الشاب عزيزتي الشابة، لم يكن ذلك التاريخ نقيّاً. كما لم يكن واحداً، تماماً كما أن الصراع لم يكن بين خيرٍ وشر. كان ببساطة تاريخاً إنسانياً. إنسانياً.

عكسته طبيعة الإنسان في تلك الفترة، وطبيعة المرحلة التاريخية التي مر بها. ولأنه كذلك، تخللته حروب كثيرة، لم يكن الدين فيها إلا هامشاً. في الواقع كانت تلك الحروب قبلية عشائرية، بين بني هاشم وبين بني أمية، بين قريش وبين الأوس والخزرج، وبين هؤلاء وقبائل اليمن.

وكانت الحروب القبلية تهدف إلى حسم أمر واحد فقط، من هذه القبائل أو العشائر سيتحكم في السلطة. الصراع كان على السلطة، لا على الدين. ولذا تقاتلوا وتنازعوا وتناحروا، ولم يمت في فراشه سوى الخليفة أبو بكر الصديق. الصراع كان دوماً على السلطة.

أكرها كي ترسخ.

ولذلك ستجد أن ما يسمونه في كتب تاريخنا "حروب الردة"، التي حدثت في عهد الخليفة الصديق، لم يشنها الخليفة لأن القبائل اليمنية رفضت "الإيمان" برسالة الرسول الكريم. في الواقع تلك القبائل قالت إنها مؤمنة برسالة الرسول الكريم. لكنها رفضت "الاعتراف" بسلطة الصديق. وكان هذا حاسماً. ثم اعتبرت أن أبناءها أحق بالزكاة التي

طالبها بها الخليفة. فحوربت. ولم يكن غريباً أن تجد من رفض هذه الحروب واعتبرها خطأ. وأول من اعترض عليها هو عمر بن الخطاب.

الصراع إذن كان دوماً على السلطة. والدين كان هامشاً. فمن تحاربوا كانوا كلهم يؤمنون برسالة النبي الكريم. فعلام كان القتال إذن؟

ولذا فإن الدعوة إلى العودة إلى عهد السلف الكريم، تبدو غريبة حقاً. هل نريد العودة إلى عهد مزقته الحروب والنزاعات؟ ثم إن هذا العهد كان يعكس واقع مجتمع شبه الجزيرة العربية الصحراوي في القرن السابع الميلادي.

واقعاً كان القتل فيه والغزو وسبي النساء جزءاً من الحياة اليومية. واقعاً يرتبط بتاريخه.

هو جزء من تاريخي فلن أنكره.

أتعامل معه من ضمن معطياته.

لا أحكم عليه بمعاييرنا اليوم.

لكني أدين من يدعو إلى العودة إليه اليوم في واقعنا الحالي. فالقتل والغزو وسبي النساء لا محل له اليوم في مجتمعاتنا المدنية الحديثة.

هو انتهاك لحق الإنسان في الحياة والكرامة والأمان.

لكنهم يسمون "القتل والغزو وسبي النساء" "جهاداً".

و"المجاهد" هنا يدافع عن "الأمة".

فانتبهوا لما يطالبانكما به.

وهذه الثانية.

الثالثة، ترتبط برؤية الإسلام السياسي للدولة. فهو مقتنع أن الدولة "إسلامية"، و"لا حدود لها". ولو ترك الأمر له، فإن حدودها هي العالم بأسره. ولذا سيصرخ في وجهكما: "لا تحدثني عن انتمائك الوطني، حدثني هنا عن انتمائك الديني! الوطن انسه. وتذكر أننا مسلمون أولاً، وأخيراً".

الوطن لا يهم كثيرًا.

"طر في الوطن"، هكذا قالها مرشد الإخوان في مصر مرة.

فانتبها لما يقوله.

والإسلام هنا، ذاك الذي يجمع تلك الأمة في كيان واحد، كالعادة، لونه واحد، صوته واحد، ورائحته واحدة.

يا الله يخنقني برائحته.

متطرف، متطرف.

متجهم متجهم.

متعنت متعنت.

معجون بالكراهية.

كراهية الآخر، أيًا كان هذا الآخر.

ولذا يكاد يكره نفسه.

وأكاد أجزم أنه لو نزل الرسول الكريم من السماء اليوم، وقال إن الدين كما يفسرونه لا علاقة له برسالته، لاعتبروه كافرًا.

فاحذرا، وحاذرا، وتمعنا في ما يقولونه لكما.

قراءة الإسلام السياسي للتاريخ تصر على أننا أمة، أمة تحارب.

وترفض أن ترانا كما نحن، متعددين.

وتصر أن لا إرادة للإنسان.

ثم تتعمد قتل حرية هذا الإنسان.

والمحك أنها تؤكد مرارًا وتكرارًا أن الهوية هي الدين.

لسان حالها: "أنت مسلم أولاً وأخيراً". كررته علينا على مدى العقود الماضية حتى صدقها الكثيرون.

لكن الدين لم يكن يوماً هوية، أيها العزيزان.

الدين لم يكن يوماً هوية.

بل الدين اختيـار.

أنا أختار هذا الدين أو غيره كي أنظم علاقتي الروحانية مع الخالق. وقد لا أختار أن أدين بأي دين. هي طريقة. ليست هوية.

ولذا لا تسموني مسلمة، فالدين ليس هويتي. بل وسيلتي إلى الخالق. والهوية معقدة، متشابكة، لكن روحها إنسان. الهوية إنسان.

إنسان.

إنسان يحب.

لا يكره.

فابحثا عنه فيكما، وستفهما.

■ هناك قراءة ثالثة لتاريخ منطقتنا، قراءة إنسانية، أسردها عليكما في المقال التالي.

● «النداء»، العدد ٢٢٥، الاثنين ٢٢ فبراير ٢٠١٠

إلهام مانع
من أجل هوية إسلامية

الوطن.. الإنسان!

(٥)

إلهام مانع



من بين المواد التي أدرّسها في جامعة زيورخ مادة "سياسات شبه الجزيرة العربية".

عنوان المحاضرة الثانية فيها هي "التاريخ والأسطورة"! محورها هو عبارة واحدة: "التاريخ يكتبه البشر". والتاريخ، عزيزتي الشابة عزيزي الشاب، مشكلتنا اليوم.

كيف نقرأ التاريخ؟

في محاضرة "التاريخ والأسطورة"، عادة ما أقرأ على طلابي وطلباتي عبارة: "الأسطورة تقول لنا إن الكونفدرالية السويسرية تأسست عام ١٢٩١، لكن الحقائق التاريخية تقول لنا إن سويسرا كدولة بين الدول الأوروبية لم تظهر إلى الوجود فعلاً إلا في القرن الخامس عشر".

وهذه العبارة ليست عبارتي، بل كتبها الباحث التاريخي السويسري المعروف أورليخ إيم هوف في كتابه "أسطورة سويسرا: الهوية، الأمة، التاريخ، ١٢٩١-١٩٩١".

أمهد لطلباتي وطلابي بهذه العبارة لأن تاريخ شبه الجزيرة العربية كتب أيضاً بصورة

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

تعكس الرؤية الرسمية للدولة، وهذه الصورة لا علاقة لها في أحيان كثيرة بحقائق ما حدث فعلاً على أرض الواقع.

لو قرأتما تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث كما يُدرس في الكتب المدرسية، ستجدان أن الهدف منه هو أن يخلق علاقة ارتباط بين الحاكم والمحكوم، ولكن وفقاً لرؤية محددة: رؤية تصر على أن التحالف القائم بين أسرة آل سعود الحاكمة وأسرة آل الشيخ محمد عبدالوهاب كان ضرورياً لإنقاذ سكان أقاليم المملكة من التردّي والضياع والزياع، عن طريق الإسلام "الصحيح".

هذه القراءة للتاريخ تبرر لما حدث بعد ذلك في بدايات القرن الـ٢٠، من غزو لمناطق الأحساء والحجاز ثم عسير ونجران، ولتأسيس المملكة أيضاً.

والسؤال هو، هل كانت أقاليم المملكة فعلاً تعيش في حالة الضياع هذه؟ دعونا نطرح السؤال بصيغة أكثر تحديداً، كيف كان حال منطقة الحجاز قبل ضمها إلى المملكة بعد حصار ١٩٢٥-١٩٢٦؟ كانت تحت الوصاية العثمانية، وكانت في الواقع قبلة للحجاج المسلمين من كافة أرجاء العالم، وكانت حاضرة مدنية. دعوني أكرر هذه العبارة من جديد: "كانت حاضرة مدنية". ولأنها كذلك ظلت إلى منتصف السبعينيات المقر الذي يضم السفارات والبعثات الدبلوماسية العربية والأجنبية. ولأنها كذلك، كان أبناؤها (الذين مثلوا الفئة الأكثر تعليماً في المملكة) هم الكادر الإداري الذي بنيت عليه الدولة السعودية، إلى أن بدأت عملية نجدة الإدارة في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز.

لم تكن وكراً لمشركين.

ولم تكن تعاني من حالة انهيار أخلاقي وديني.

التاريخ هنا يبدو ملفقاً وفقاً لرواية الدولة الرسمية، خاصة إذا اعتبرت ما حدث من مروعات في الأحساء على سبيل المثال "فتحاً" "ابتهج" به سكان الأحساء من الشيعة. بالنسبة لهم، كانت نكبة.

والتاريخ هنا يصبح تعدياً على الإنسان، عندما يتعلم الطفل في مدرسته أن مذهب والديه، رافضي ضال كافر، يستحق من يؤمن به القتل.

بنفس النسق، تصر كتب تاريخنا اليمني الحديث على تسمية الحرب الأهلية التي حدثت في صيف عام ١٩٩٤ على أنها حرب "انفصال".

"كانت حرب انفصال، لا حرباً أهلية". هذه هي الرواية الرسمية.

وتصويرها على أنها حرب تهدف إلى انفصال، يحولها مباشرة إلى حرب بين "حق" و"باطل". في حين أن القول بأنها كانت حرباً أهلية، يضعها في سياقها الطبيعي: حرب بين شريحتين في القيادة الحاكمة للدولة اليمنية الموحدة، اختلفا على أسلوب الحكم، وفلسفة الدولة، وتنازعا في الوقت ذاته على القوة والسلطة، ولم يثق أحدهما في الآخر منذ لحظة توقيع اتفاقية الوحدة، ولذا كانت الحرب تحصيل حاصل.

أقول لطلابي إنه إذا كان من الطبيعي لكل المجتمعات والدول أن "تخلق" تاريخها إلى "حدّ ما"، فإن المشكلة في شبه الجزيرة العربية أن هذا "الاختلاق" يمهد في الواقع "لهيمنة" فئة محددة في الدولة على باقي فئات المجتمع. وهنا المعضلة.

أقول لطلاباتي إن من يريد أن يدرس هذه المنطقة عليه أن يدرك حقيقة أساسية، وهي أن كل دول المنطقة (في شبه الجزيرة العربية) دول جديدة. حديثة النشأة. قد تكون مجتمعاتها قديمة، لكنها كدول مازالت جديدة، وإن هذه الجدة، تفسر الكثير مما يحدث على أرض الواقع اليوم. أقول لهن أيضاً إن هذه الدول منذ نشأتها وإلى يومنا هذا تواجه رؤيتين فكريتين؛ الأولى قومية عربية، تقول بوجود الأمة العربية، والثانية إسلامية عالمية، تقول بوجود أمة إسلامية، وكلتاهما لا تعترفان بوجود هذه الدول بحدودها الجغرافية. وإن هاتين الرؤيتين تمثلان في الواقع محور الأزمة التي تمر بها دول المنطقة: هل هي دول لها حدود جغرافية وسيادة، ويعيش فيها مواطنون ومواطنات متساوون أمام القانون؟ أم هي جزء من أمة، بلا حدود، تجمعها قومية أو هوية دينية؟ والمشكلة، أن كلتاهما لا تعترفان بمفهوم الإنسان، وحقوقه.

كل منهما تضع أمام الإنسان تصنيفات وتضييقات تنسف مفهوم حقوق الإنسان الذي نعرفه اليوم من جذوره.

الفكر القومي العربي في كل تطبيقاته السياسية التي عرفناها في تاريخنا الحديث كان تجسيداً للحكم الشمولي.

والفكر الإسلامي في تطبيقاته السياسية وتصنيفاته الفكرية لا يعترف بحقوق وحرّيات الفرد، ويُعرف الإنسان بأنه ذكراً مسلماً!

ثم أذكر طالباتي وطلابي بأن احتلال العراق للكويت دفع كل هذه الدول، ومعها دول المنطقة

العربية الأخرى، إلى مواجهة هذا السؤال.

الكويت أدركت أنها وإن كان بعض من مثقفها يدعمون فكر القومية العربية، وبعض من ناشطيها يدعمون فكر الإخوان المسلمين، إلا أنها أولاً وأخيراً دولة لها حدود جغرافية، وأن هناك شيئاً اسمه الكويت بالفعل، حتى لو كانت كتب التاريخ لم تأتِ على ذكر اسم الكويت قبل ٢٥٠ عاماً.

اليوم هي دولة ذات حيز ونطاق، يمثل التعدي عليه من دولة "عربية" أو "إسلامية" احتلالاً. كان اسمه احتلالاً، إذا كان مازال لدى البعض شك في ذلك. ووقف مثقفو الكويت ومعهم ناشطو الإخوان كلهم جميعاً صفّاً واحداً دفاعاً عن الكويت، دفاعاً عن وطنهم.

وأقول لهما إن بعض كيانات المنطقة ستظل مصطنعة هشّة قابلة للانهار طالما لم تقر النخبة الحاكمة فيها بأن خلاصها هو في الإيمان بالإنسان في أوطانها. بالتعامل مع هذا الإنسان، رجلاً كان أم امرأة، على أنه كيان راشد عاقل، له رأي، ويتمتع بحق الحرية والاختيار.

بالتعامل مع الإنسان في أوطانها على أنه مواطن يقف مع غيره من المواطنين متساوياً أمام القانون، بغض النظر عن هويته، دينية كانت، أو مذهبية، أو عرقية، أو لونية، أو نوعية (جنسية).

أقول لهما إن دول المنطقة لن تستمر، أكرلن تستمر، طالما تظن أنها محصنة ضد الديمقراطية وحقوق الإنسان.

فاعتمادها على دعم أقلية مذهبية أو قبلية يظل هشاً، وبقاؤها مرهون حتماً بدعم كافة شرائح المجتمع.

فالأحرى أن تبدأ بإصلاح نفسها، قبل أن ينقلب شعبها عليها، ويصبح الإصلاح ضمن إطار الدولة الواحدة مستحيلاً.

في المحاضرة الأخيرة من مادة سياسات شبه الجزيرة العربية، أودع طلابي وطلباتي بعبارة تحذير، أكررها كل مرة:

"ما قدمته لكما في هذه المادة هو قراءة من بين قراءات متعددة للتاريخ السياسي للمنطقة،

وهي وإن اعتمدت على مناهج بحث علمية، إلا أنها تظل ملونة بالعدسة التي أستخدمها في هذه القراءة، عدسة حقوق المواطن والإنسان. ولأنها كذلك، فإنها قد تكون متحيزة، متحيزة للإنسان. فلا تأخذ ما درسته لكما على علته. لا تصدقاني! بل دققا، وشككا، ثم انقدا، ولعلكما تصلان إلى رؤية مغايرة لما طرحته في هذا المادة. كلاكما له عقل، استخدماه."

في نهاية هذه العبارة، أرى الدهشة في عيون طلابي وطالباتي، لكنها دهشة ممزوجة برغبة متجددة في الاستزادة المعرفية عن المنطقة.

دهشة الذي استفاق. كان يظن أن من أمامه يخرج من فمها الحق، وها هي تقول له: "لا تصدقني. الحقيقة متعددة، ابحث عنها في صورها المتعددة بنفسك. لا تنتظر مني أن ألقنك المعرفة. فدوري أن أقدم لك إطاراً، تبحث فيه أو خارجه، في النهاية، عقلك مادام منهجه علمياً سيكون الحكم!"

لم يكن غريباً لذلك أن مجموعات من طلابي وطالباتي عمدت إلى السفر في رحلات بحثية إلى المنطقة. أرادوا أن يعرفوها، ويكتشفوها بأنفسهم.

وفي الواقع، لا أظن أنهم كانوا سيرغبون في فعل ذلك، لو أن مضمون ما درسته لهم هو "كراهية المنطقة".

على العكس، في نهاية تلك المادة، يصبح واضحاً جداً، مدى حبي لهذه المنطقة.

أحبها إخوتي، أحبها.

تماماً كما أحب لغتي. الرحم.

وهي جلدي، تلتصق بلحمي، أنا منها، لكني أختنق بواقع الإنسان فيها.

ولأنني أختنق،

أنتقد.

■ في المقال القادم أحدثكما عن الخلافة والإخوان. وسأحدثكما عن العلمانية. تلك التي تؤمن بها.

● «النداء»، العدد ٢٢٧، الاثنين ٨ مارس ٢٠١٠

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

"معاً مع حسن البنا ضد الحداثة"!

إلهام مانع

لم يكن شيخاً.

أعني حسن البنا.

لا.

كما لم يكن إماماً، لا أكبر ولا أصغر.

كان معلماً في مدرسة ابتدائية بمدينة الإسمايلية

في مصر..

ووجهته الدينية بدأت عندما أصبح من

مريدي شيخ الطريقة الحصافية الصوفية،

عبد الوهاب الحصافي. ذاك الذي كان يوصي

مريديه دوماً، بألا يرددوا كلام "الملاحدة

والزنادقة والمبشرين".

فتأثر الشاب. ثم خرج علينا بحزب

سياسي: الإخوان المسلمين.

حسن البنا عاش في بدايات القرن العشرين.

فترة مخاض.

العالم يتغير بسرعة تسرق الأنفاس. الأفكار تتوالد وهي تلهث، ثم ترفس ما كان قبلها كي



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام



• حسن البنا

تحل محلها، عادات وتقاليده تزل، تزيحها أنماط أخرى بقيم جديدة، ودول عظمى تتهاوى،
لتحل محلها أخرى.

العالم كان يتغير، ويعيش فترة مخاض.

وحسن البنا عايش هذه الفترة. بكل ما فيها من تغيير. بكل ما فيها من تجديد. وبكل
الخوف والفرع الذي يثيره التغيير.

بكل الخوف والفرع الذي يثيره التغيير.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

عاش فترة بدأت فيها نساء الطبقة الوسطى والعليا في مصر في الخروج من الحرمك.
خرجن من الحرمك -تقليد وعادة أخذتها مصر عن أترك الدولة العثمانية.
يفصل فيها المقتدرون نساءهم ويعزلونهن عن العالم.
كسرن القيد. وبدأن في خلع النقاب، الواحدة بعد الأخرى. خرجن من الظلام إلى الحياة.
أردن أن يتعلمن، أردن أن يعشن. يتنفسن هواءً طلقاً، ويمارسن دورهن في مجتمعهن.
أردن أن يكنَّ.

ما أجمل الحياة عندما نعيشها.

وأقول المقتدرين من المصريين عامدة.

فالغالبية الساحقة من الشعب المصري، التي كانت تعيش في الأرياف، لم تكن لتفكر في مثل
هذا "الترف الإقصائي"، في فصل نسائهم في حرمك. ما كانت قادرة على ذلك. فالمرأة والرجل
كانا يعملان معاً في الحقل، يزرعان الأرض بأيديهما، ولأنهما جزء من الطبيعة، لم يكن من
الطبيعي أن ترتدي المرأة الفلاحة رداء أسود يقيد حركتها وهي تعمل، كما لم يكن من الطبيعي
أن تغطي وجهها وتخفق أنفاسها، وهي تنحني على الأرض تبذر، تزرع، تسمد، وتحصد.
وفوق كل هذا ترعى أسرتها وأطفالها.

كانت عادة، عادة غير طبيعية. ضد طبيعة الإنسان. تخنق المرأة. تقيدها في شرنقة. وتمنعها
من أن تمارس حياتها كما أراد الخالق لها أن تمارس. فنبتتها المرأة المصرية الفلاحة.
ما أجمل الحكمة عندما نذكرها بالفطرة.

فقط المقتدرون كانوا قادرين على عزل نسائهم. لم يكونوا حكماء. كانوا مقلدين. قلدوا
غيرهم دون أن يفكروا. ففرضوا التعاسة على نسائهم.

لكن الزمن كان يتغير، والنساء أدركن بعد أن تعلمن وقرأن أن عزلهن قيدٌ يتناقض مع
الطبيعة. وأنها عادة. فقط عادة، يمكن تغييرها، وإدانتها أيضاً.
فخلعن النقاب.

أنتِ أيضاً قادرة اليوم على خلعه.

اخلعيه أنتِ أيضاً.

واخرجني إلى الحياة.

وكوني.

كوني ما تريد.

حسن البنا عايش هذه الفترة.

كان يرى تغييراً اجتماعياً يتجسد أمام عينيه.

لم يرَ فقط النساء يخرجن من الحرمك. بل رأى المجتمع كله يتغير.

المرأة تخرج لتتعليم، والأسر معها تتغير.

والقيم تتغير.

فزغ يتغلغل في نفس حسن البنا. عالمه يتهاوى. يتمدن. الحداثة تمتد إليه. وهو يقف جامداً. لا يريد أن يتغير. لا يريد أن يتمدن. يريد عالمه كما كان. —الأهم، أن حسن البنا كان يرى العالم السياسي كما فهمه يتهاوى أما ناظره.

الدولة العثمانية، الخلافة الإسلامية كما كان يسميها، تنهار.

انقسمت أجزاؤها، تبعثرت، بعضها استقل، وغيرها استعمر، أو وُضع تحت وصاية.

والدولة العثمانية نفسها، انكمشت لتصبح الدولة التركية.

والدولة التركية، أمله، تلك التي كان يأمل أن ترفع لواء الخلافة، رفضت رفع ذلك اللواء. كانت حكيمة هي الأخرى.

أدركت، لحسن حظها، أن الزمان غير الزمان، وأن المستقبل لدولة حديثة، لا لخلافة عثمانية مهترئة متهاكة.

المستقبل للحداثة.

كمال أتاتورك جاء، ألغى منصب الخلافة، عزل الخليفة، وأحل محل نظام الخلافة نظاماً جمهورياً يقوم على مبدأ القومية الوطنية: "نحن أتراك. ومسؤوليتنا تجاه وطننا. تركيا".

فتهاوى النظام السياسي الذي اعتبره حسن البنا نموذجاً.

كان أتاتورك رجلاً طموحاً لديه رؤية للمستقبل، أدرك أن تركيا التي يحلم بها لن تكون قوية

ما لم تكن مهياةً للمستقبل، ولكي تكون كذلك، عليها أن تتبنى نظاماً سياسياً جديداً، يُمكنها من الدخول إلى الحداثة.

فجعل العلمانية أساس الدولة التركية الحديثة.

فَصَلَ الدين عن الدولة.

لم يقل للناس كفوا عن الإيمان بالله.

كل ما قاله، إن الدين مكانه الحيز الخاص.

أن تؤمن أو لا تؤمن شأنك أنت وأنت. شأنكما الخاص.

لكن الحيز العام لا يحكمه الدين. الدين ينظم علاقة الإنسان بالله. لكن علاقة الإنسان بالدولة يحكمها القانون. والقانون يجب أن يكون علمانياً كي تستطيع الدولة أن تتعامل مع مواطنيها بحياد، أيًا كان هذا المواطن: مسلماً، ملحدًا، سنياً، صوفياً، شيعياً، مسيحياً، يهودياً، رجلاً، امرأة...

المواطنة هي المحك.

لا الدين.

الدين لا يجب أن نقحمه في تنظيم حياتنا السياسية والقانونية والاجتماعية (قوانين العائلة).

مكانه الحيز الخاص. حيث تؤمن أو لا تؤمن. وعندما تضعه في ذلك الحيز، يمكنك بالفعل أن تكتشف معنى الروحانية. إذا رغبت في اكتشاف تلك الروحانية.

ولهذا أعتبر العلمانية الجوهر الذي لا يمكن الاستغناء عنه لبناء دولة مدنية حديثة.

لا أعتبرها شتيمة. لا أعتبرها بعبعاً يخيف.

بل أقولها ببساطة: أنا علمانية.

علمانية.

ثم أضيف عبارة: علمانية مدعمة باحترام حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين، كي لا

نسقط في الفخ الذي سقطت فيه تركيا بعد أتاتورك. كانت علمانية، لكنها لم تحترم حقوق أقليتها الكردية، وكانت شرسة في العقود الأولى في قمعها لحرية التعبير.

أتاتورك لم يكتفِ بذلك.

زاد على ذلك بأن أدرك، وكان على حق مرة أخرى، أن التغيير إلى الحداثة كي يتجسد يبدأ مع المرأة.

منع النقاب.

وسن القوانين، الواحد تلو الآخر.

منح المرأة حقوقها السياسية، ثم غير قوانين الأسرة، وحولها إلى قوانين مدنية بعد أن كانت مستمدة من قواعد الشريعة الإسلامية، وتبنى القانون السويسري للعائلة، الذي وإن كان أبوياً في رؤيته وقواعده، إلا أنه مهد الطريق لمفهوم المساواة بين الرجل والمرأة في العلاقات العائلية. لم يعد من حق الرجل أن يطلق زوجته بكلمات ثلاث: طالق، طالق، طالق.

بل أصبح من حق الرجل والمرأة الطلاق من خلال تقديم طلب إلى محكمة مدنية محايدة. كمال أتاتورك كان يرى المستقبل بعينه.

يراه.

وكان يدري أن الدولة العصرية تحتاج إلى أسرة مكونة من رجل وامرأة، وعددٍ من الأطفال، حبذا لو كانا طفلين.

الدولة القبلية في المقابل، تحتاج إلى رجل و٤ زوجات وجيش من الأطفال.

لكن دولة القبائل لا تحمي الإنسان فيها.

دولة القبائل تقتل الإنسان فيها.

ولأن المستقبل للحداثة، أرادها أتاتورك معاصرة.

وحسن البنا كان يتابع كل هذا.

من بعيد.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام



من مصر.

يرى العالم كما يتمناه، كما يتصوره، ينهار، يتغير، يتبدل.

وهو لا يريد أن يتغير.

لا يريد المرأة كما أرادها أتاتورك.

لا يريد الدولة كما نظمها أتاتورك.

لا يريد المجتمع والأسرة كما تصورهما أتاتورك.

فخرج علينا بدايات فكر حزب الإخوان المسلمين السياسي.

هو حزب. وسياسي. يستخدم الدين كغطاء. غطاء فقط.

وفكره في الواقع لم يكن أكثر من محاولة يائسة من شخص متدين للوقوف أمام زحف

الحدثة.

لا يريد لها دولة حديثة، لا يريد لها وطناً لمواطنين متساوين أمام القانون، تماماً كما لا يريد لها

امرأة حديثة.

أساس ذلك الفكر، كما روج له حسن البنا، يتلخص ببساطة في كلمات ثلاث: "الشريعة،

الجهاد، الأمة".

■ في المقال القادم سأبدأ بكلمة الشريعة كما وصفها حسن البنا، ثم أعرض لكما موقفي

الذي يتلخص في عبارة "حان الوقت كي نكف عن استخدام الشريعة في تنظيم شؤون الأسرة

والحياة".

● «النداء»، العدد ٢٣٠، الاثنين ٢٩ مارس ٢٠١٠

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

الشرعة ليست عادلة (٧)

إلهام مانع



إذن.

كان حسن البنا يتابع التغييرات التي تصيب مجتمعه... خائفاً.

يرى العالم كما يتمناه، كما يتصوره، ينهار، يتغير يتبدل.

ولأنه لا يريد لعالمه أن يتغير، لا يريد المرأة كما أرادها أتاتورك، سافرة مستقلة متحررة، ولا يريد الدولة كما نظمها أتاتورك، دولة حديثة تقوم على مفهوم المواطنة لا الدين، لكل هذا خرج علينا بفكر حزبه السياسي. حزب الإخوان المسلمين.

شخص متدين يحاول أن يقف أمام زحف الحداثة، فقرر أن يواجهها بفكر جوهري بسيط، إن لم يكن ساذجاً.

وأكد أجزم أنه لولا الخواء الفكري الذي عاشته مجتمعاتنا في نهاية الستينيات والسبعينيات بسبب قمع الدولة وبطشها، لما قُدر لهذا الفكر أن ينتشر كما نراه اليوم.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام



الجوهر كان بسيطاً: "علينا أن نطبق الشريعة في حياتنا".

هذه الفكرة ابتكرها حزب الإخوان المسلمين.

أقول ابتكرها لأن حسن البنا حوّل "مجموعة من القوانين" كانت تتطور مع الزمن إلى "فكرة مقدسة"، تطبيقها يجعلنا "أشخاصاً أفضل"، والمس بها يصبح "مساً بالإيمان ذاته".

لاحظ أنه قبل ذلك لم يفكر أحد في "تطبيق الشريعة" كهدف أسمى للدولة.

كانت الدولة العثمانية ومصر وتونس (باعتبار أن مصر وتونس حازتا على تجربة راسخة في سيطرة الدولة المركزية) تطبقان هجيناً من القوانين، بعضها مستمد من القوانين الرومانية والفرنسية والبريطانية، والبعض الآخر من الفقه الإسلامي، وكانت كل منها تطور فيها بما يتماشى مع الزمن والحاجة.

وهو أمر منطقي. فالقوانين إنما توجد كي تنظم بيئة وواقع الإنسان، ولذا يجب تطويرها وتغييرها بما يتماشى مع ذلك الواقع. ليست مسبوبة من الحجر الصلد، لا يمكن مسها. بل قواعد الهدف منها تنظيم حياتنا بما يتلاءم مع العصر الذي نعيش فيه.

الدولة العثمانية بدأت عملياً في علمنة قوانينها قبل انهيارها بعقود طويلة في ما عُرف بحركة التنظيمات الإصلاحية، ومصر مهدت لتطبيق المساواة بين أبنائها بغض النظر عن الدين بسبب القوانين العلمانية التي بدأت في تطبيقها مع حركة محمد علي باشا النهضة، وباي تونس كان أول من أخرج دستوراً في منتصف القرن التاسع عشر؛ في ١٨٦١، قن فيه مفهوم المواطنة والمساواة.

فكرة حسن البنا أرادت أن تتجاهل هذه الحقائق، وكل الأفكار الشعبية ظلت بسيطة.

يقول في مذكرات الدعوة والداعية: "إن ما في المجتمع من فساد وشر وسوء، ناتج من تركنا لأحكام الإسلام، وإلى وجوب الدعوة إلى تصحيح هذا الوضع، وإلا كنا آثمين. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل التضحية فريضة وواجب. وإن الطريقة الفردية وحدها لا تكفي".

الفساد والشر والسوء الذي عناه حسن البنا كان يتعلق بتغييرات اجتماعية تلحق بعالمه، المرأة تخرج إلى الحياة من شرنقة الحرملك، وتنزع عنها السواد، والأسر تنتزه في الحدائق،

والمقاهي تفتح أبوابها للجمهور، والشباب يقبلون على السينما والموسيقى.

بكلمات أخرى، كل ما له علاقة بالمدنية والجمال والحياة كان مغضوباً عليه من قبل حسن البنا. وفي الواقع، كان الرجل أميناً مع فكره، فالفكر الديني عندما يتطرف يكره الحياة والجمال والألوان، ويريدها سوداء، حالكة، مكفهرة، غاضبة، متجهمة.

هل نسيتم وجوه علمائنا السلفيين ونظرائهم في إيران؟

حسن البنا كان مقتنعاً أن ما يصفه بالفساد، وأصفه أنا ببهجة الحياة الحلوة، تجب مواجهته من خلال العودة إلى أحكام الإسلام.

كأن الناس حينها لم يكونوا مسلمين كفاية!

وفي الواقع كانوا مسلمين، وربما عايشوا روحانية لا نعرفها اليوم رغم هوجة التأسلم الشعبي الشرسة التي نشاهدها في كل أنحاء البلدان العربية، ونراها في مظاهر، مظاهر، لا تعني في الواقع شيئاً.

لكنه لم يكن يريدها روحانية.

المسألة بالنسبة له لا علاقة لها بالإيمان بالله من عدمه. كانت فكرة سياسية، يريد منها وحزبه الوصول إلى السلطة.

ما أراداه هو وحزب الإخوان المسلمين من بعده هو دولة دينية، تستبد بالكهنوت، ولذلك كان طبيعياً أن يكمل عبارته أعلاه بالقول إن "الطريقة الفردية في الإيمان لا تكفي". لا تكفي لأنه لا يتحدث عن إيمان بالله. ما يريده هو السلطة والحكم من خلال ما اعتبره هو أحكام الله.

لكنه في كل أحاديثه ورسائله ظل غامضاً عندما يتصل الأمر بما يعنيه بـ "أحكام الله" هذه.

يقول في مذكراته: "نحن مسلمون وكفى، ومنهاجنا منهاج رسول الله وكفى، وعقيدتنا مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله وكفى".

لم يستطع يوماً أن يعرف لنا ما يعنيه بالشرعية.

هل هي كل الأحكام الفقهية التي تطورت عبر القرون الأربعة عشر الماضية؟ هل هي الأحكام الواردة في القرآن والسنة والإجماع والقياس؟ وإذا كان الأمر كذلك، فوفقاً لأي مذهب؟ هل هي سنية أم شيعية أم زيدية؟ هل تدخل فيها الأحكام الصوفية؟ وإذا كانت سنية فوفقاً لأية مدرسة فقهية؟ الحنبلي، الشافعي، الحنفي، أم المالكي؟

لا.

حسن البناء لم يكن يعرف في الواقع عمّ يتحدث. فالرجل كما قلت لكما لم يكن متبحراً في علوم الدين ولا الدنيا. كان شاباً حاز على دبلوم تعليم متوسط. لكنه كان يؤمن بفكرته البسيطة، واستطاع أن يجمع حوله مريدين، مثله، يؤمنون بالأفكار البسيطة طالما ظلت عامة. عامة.

إذا تمعنتما في فكر حسن البناء، وفكر الإخوان المسلمين تحديداً، ثم فكر الإسلام السياسي عموماً، ستلاحظان دوماً أن فكرهم يتحدث بصورة عامة، عامة، عامة. عامة.

وهو عام عمداً. لأن العموم قادر على دغدغة العواطف الدينية. وقلت سابقاً وأكرها من جديد إن شعوبنا طيبة. تحب الله. وتصدق من يحدثها باسم الله. وتنسى دوماً أن من يحدثها يحدثها بلسانه، وأن الله لا علاقة له بطموح هؤلاء إلى السلطة.

فكرة حسن البناء كانت عامة: "منهاجنا منهاج رسول الله وكفى".

من يجرواً على الاعتراض على منهاج الرسول الكريم؟

لكن انظرا إلى الكيفية التي تم بها تحديد هذه الفكرة العامة في الواقع من خلال إجراءات وقواعد مفصلة، وسيتبدى لكما على الفور القيود الصارخة التي تفرضها أفكار حسن البناء العامة والإسلام السياسي على حياة الإنسان، حريته، وعلى مفهوم المساواة والعدالة.

تذكرا ما حدث في غزة بعد وصول حماس إلى السلطة. في البداية كان الناس متحمسين لوصول هذه الحركة بسبب شعاراتها البراقة وفساد حركة فتح. لكن عندما خلت الساحة لحماس في غزة وبدأت في فرض رؤيتها الدينية، أدرك الجميع مدى جبروت الحكم الديني، وكيف يزرع الخوف في قلوب الناس، ويخنق حريتهم.

غابت الألوان.

وعندما اختارت الحركة أن تحارب فكرة، انقضت على عيد الحب.

أليس غريباً أن يخاف هذا الفكر من الحب إلى هذه الدرجة؟

لا. ليس غريباً.

فهو يدرك أنه والحب نقيضان.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

حسن البنا اختصر كل التاريخ الغني الثري لقواعد الفقه الإسلامي في كلمة واحدة أسماها "شريعة". ومن بعده حمل لواء الشعار كل الحركات الإسلامية وبعض الدول الإسلامية. لكن الشريعة كما يراها وكما تطبقها كل الأنظمة الدينية الإسلامية اليوم، ليست عادلة. الشريعة، أكرر، ليست عادلة.

أقولها بلا مواربة لأنني على قناعة بأن الطريقة المباشرة في التعبير تصل بالمعنى إلى مبتغاه. وأقولها بلا مواربة لأن طريقتنا غير المباشرة في التعبير والرقص حول الحقائق أوصلتنا إلى حالنا اليوم: هوس ديني لا يؤمن بالله، بل بالطقوس والشكليات.

وأقولها بلا مواربة لأنه حان الوقت أن نضع النقاط على الحروف: الدولة الدينية التي تطبق مفاهيم الشريعة على أفراد مجتمعها اليوم تنتهك حريات أفرادها، وتتميز في معاملتها بين مواطنيها، وتقهقر المرأة والأقليات الدينية فيها. هذه الدولة ليست عادلة. ومنهجها ليس عادلاً.

الشريعة ليست عادلة لأنها تقدم مفهوماً دينياً لقواعد قانونية تعكس واقعها الاجتماعي الذي انبثقت منه، أي في الأغلب القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الدولة الإسلامية، لكنها اليوم لا تتماشى مع واقع القرن الحادي والعشرين.

ليس من العدالة اليوم أن نقطع يد السارق، وأن نلحق به عاهة مستديمة.

هذا العقاب يتماشى مع مجتمع القرن السابع الميلادي، لكنه بالتأكيد عقاب بشع اليوم.

وتمازاً كما كففنا عن استخدام الجمال في تنقلاتنا وسفرياتنا بين عواصم الدول، ولجأنا إلى استخدام الطائرات ووسائل النقل الحديثة دون أن نجد غضاضة في ذلك، حري بنا أن نصل إلى قناعة أن عقاب السارق هو السجن، وأن الأفضل بعد ذلك إعادة تأهيله كي يتمكن من الاندماج في المجتمع كعضو نافع من جديد.

قطع يده سيلحق به عاهة مستديمة، لن تمكنه من العمل، وتحوله إلى عالة على المجتمع. ولأن الأمر كذلك، فيجب ببساطة القول إنه ليس من المنطقي الدعوة إلى تطبيق مثل هذه العقوبات البدنية.

مثل هذه العقوبات عفا عليها الزمان. والكف عن تطبيقها ليس رديفاً للكف عن الإيمان بالله

تعالى.في الواقع لا توجد علاقة بين الأمرين.

ألم نكف عن الحديث عن التسري بالجواري وتملك العبيد، رغم أن هذا الحديث موجود في القرآن نفسه؟ اليوم لن يجرو شخص، إذا تجاهلنا المهووسين من السلفيين ممن يعيشون في القرون الوسطى، على الدعوة إلى تملك العبيد.

لا أرى ما يمنع من تبني قوانين وقواعد مدنية تنظم حياتنا بصورة تعكس مفاهيم اليوم للحقوق والحريات.

أكره أن يكون حديثي عامًا هو الآخر.

قلت لكما إن قواعد الشريعة المعمول بها اليوم، حسب رأيي، ليست عادلة.

وكي أوضح موقفي سأضرب لكما مثالاً.

في المقال القادم سأعقد لكما مقارنة بين قواعد الشريعة الخاصة بالمرأة في الأسرة، والقواعد المعمول بها في القانون السويسري للأحوال الشخصية، وهو القانون الذي عدل في ١٩٨٨ كي يتماشى مع اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة الأممية.

بعدها سأسألكما: أيهما أعدل؟

وإلى ذلك الحين، أسألكما الثاني في تكفيري.

● «النداء»، العدد ٢٣٣، الاثنين ١٩ أبريل ٢٠١٠

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

قانون مدني علماني عادل

إلهام مانع



قلت لكما في المقال السابق إن قوانين الشريعة ليست عادلة.

لكني أكدت في الوقت ذاته أن قلبي هذا لا يعني أنني أتحدث من خارج دائرة الإسلام، بل أتحدث من داخلها.

وقلت لكما أيضاً إنني لا أريد أن أتحدث بصفة العموم، تلك التي يتقن صناعتها أتباع حزب الإخوان المسلمين، وأقرانهم من السلفيين أو المتحزبين باسم الله.

وأفضل لذلك أن أقدم لكما مثلاً واضحاً محدداً، وأن أقارن بين قانون الأسرة السويسري لعام ١٩٨٨ وقوانين الشريعة الإسلامية الخاصة بالعلاقة بين الرجل والمرأة داخل العائلة.

أقارن بينهما لأنني أتعامل مع قوانين الشريعة الإسلامية على أنها منظومة قانونية... إنسانية. منظومة قانونية وضعها بشر.

وفقاً لهذه الرؤية فإن الشريعة الإسلامية عبارة عن قوانين، مجرد قوانين، صاغها علماءنا

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

الأفاضل على مدى القرون الماضية، لتنظيم شؤون المجتمع الذي كانوا يخاطبونه. وكما أن المجتمعات والعادات والتقاليد تتغير مع تغير الزمن، كذلك يتوجب تغيير القوانين بما يتماشى مع العصر الذي ينظمونه. الشريعة ليست استثناء.

ورغم أن أحد مصادر الشريعة الإسلامية هو القرآن الكريم، فإنها تظل إنسانية. نظم قوانينها بشر.

لا أضفي صفة القداسة على الشريعة الإسلامية. لأنها ببساطة ليست مقدسة.

فكر الإسلام السياسي هو الذي أضفى هذه القداسة على الشريعة الإسلامية، هو الذي ظل يتحدث عن الشريعة كما لو كان تطبيقها سيخرجنا من كل المآزق السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها مجتمعاتنا. وكل ما نجح فيه هو إعادتنا قروناً إلى الوراء.

أصبح من مطالبهم اليوم اغتصاب الطفلة باسم الشريعة. ويتعمدون استخدام الشريعة كبديل لاسم الله. باسم الله نغتصب الأطفال؟ أي عار هذا يا رحمن.

آخر مثال على ذلك الحملة التي يشنها شيخنا الزنداني ضد قانون يمنع زواج الطفلات في اليمن. يريد للطفلات، بنت الثامنة، بنت التاسعة، بنت العاشرة، أن يُغتصبن.

لا يريدهن طفلات. يأبى عليهن أن يعشن طفولتهن، أن يلعبن، أن يتعلمن، وأن يكن.

يريدهن دمي، يستغلن جنسياً، كأنهن أشياء، لا روح لهن، لا إحساس.

أشياء يضاجعها ولا يخجل.

أين الحياء يا شيخنا؟

فكر الإسلام السياسي هو الذي أضفى صفة القداسة على الشريعة، يشبع بها خيالاته المريضة، ويستخدمها في الوقت ذاته كشماعة لتحقيق مأربه السياسي، كي يحوز على السلطة والقوة.

ولنا في شيخنا مثال. فهو يهدد الحكومة اليمنية بمسيرة مليونية إذا صدر قانون يمنع زواج الطفلات، ويلمح لها في الوقت ذاته "حذار من الاقتراب من تيارنا الديني الداعم للفكر الجهادي".

لا تنسيا اسم الجهاد الحقيقي، اسمه إرهاب.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

ما علينا.

لنبدأ إذن هذه المقارنة.

سأستخدم ثلاثة محاور للمقارنة: الزواج، الطلاق، ثم الإرث. وسأركز في هذا المقال على القانون السويسري، على أن أعود إلى قوانين الشريعة الإسلامية في المقال القادم. قانون الأحوال الشخصية السويسري لا يستخدم كلمة ذكر أو أنثى، رجل أو امرأة، في بنوده.

لا يستخدمها.

يشير دائماً إليهما بصيغة الزوجين، أو طرفي العلاقة. بكلمات أخرى، هو يستخدم لغة محايدة، لا ترى أن هناك فرقاً بين الذكر والأنثى في الحقوق والواجبات.

لا فرق بين الذكر والأنثى في الحقوق والواجبات.

هذا لا يعني أنه لا يرى بوجود فروقات بيولوجية بين الذكر والأنثى. هذه الفروقات طبيعية، لكنها لا تعني كما لا تبرر أية تفرقة عنصرية تمييزية بينهما بسبب نوع أحدهما. فكون المرأة خلقت امرأة ليس نقصاً في كيانها. ليست أدنى. بل هي إنسان كامل الصفات والخصائص والقدرات. والرجل أيضاً مثلها. هو إنسان. كامل الصفات والخصائص والقدرات.

كلاهما إنسان. ولذا هما متساويان.

بكلمات أخرى، هو يتعامل مع الرجل والمرأة على أنهما شخصان بالغان عاقلان يتحملان مسؤولية نفسيهما، لا يخضعان لوصاية، ولذلك هما متساويان. على هذا الأساس يبنى القانون بنوده.

ولذلك يمهد لهذه الرؤية في المادة ٨، البند الثالث، عندما يقول إن "الرجل والمرأة متساويان، وعلى القانون مسؤولية توفير المساواة القانونية والفعلية لهما..."

ليست مساواة قانونية فقط تلك التي نسعى إليها، بل نريدها أيضاً فعلية، ولذا يجب أيضاً تطبيقها على أرض الواقع. أمر أدركه القانون السويسري عام ١٩٨٨.

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

عندما يتعلق الأمر بالزواج، ينص القانون في المادة ٩٤ "كي يتم الزواج، يتوجب أن يكون العروسان قد أتما السنة الثامنة عشرة من عمرهما، وأن يتمتعا بالمقدرة على التمييز". لا توجد وصاية هنا على العروسين، رجلاً كان أو امرأة. مادام الشخصان، الرجل والمرأة، بالغين، واختارا الزواج، فإنهما قادران على فعل ذلك. المرأة والرجل وفقاً لهذه الرؤية مستقلان لا يحتاجان إلى وصاية أو ولاية. وهما قادران على الاختيار، لأنهما ولداً أحراراً. ولد الإنسان حرّاً. وحرية تستلزم حقه في اختيار شريك حياته. رجلاً كان أو امرأة. دون وصاية. دون قهر. لكن كي يفعل ذلك، عليه أن يكون بالغاً. الأطفال لا يتزوجون. الأطفال يلعبون. هكذا يفكر أصحاب العقول. ونحن لنا عقول. حبذا لو استخدمناها.

على صعيد آخر، لا يضع القانون السويسري معوقات أمام زواج الأفراد بسبب اختلاف الدين. في الواقع لا يضع القانون السويسري أية معوقات أمام زواج شخصين مادام الاثنان غير متزوجين، ولا تجمع بينهما صلة قرابة عائلية. من حق المسيحية أن تتزوج من المسلم، أو من البوذي أو اليهودي أو الملحد. والعكس صحيح. مادام الاثنان ينتميان إلى النوع البشري، يمكنهما الزواج. اختلاف الدين ليس سبباً لمنع الزواج. هذه الرؤية أخذت وقتها حتى قبل بها المجتمع السويسري. ففي الماضي، تماماً كما اليوم لدينا، كان من الصعب على فتاة تنتمي إلى الديانة الكاثوليكية المسيحية الزواج من شاب مسيحي بروتستانتي، ناهيك إذا كان ينتمي إلى ديانة أخرى. المجتمع نفسه كان يرفض ذلك.

لكن المجتمعات تتطور، ولذا عكس القانون السويسري عام ١٩٨٨ هذا التطور في الرؤية:
"مادام الاثنان ينتميان إلى النوع البشري، يمكنهما الزواج".
والمسألة لدينا ستأخذ أيضًا وقتها.
لكنها ستتغير.

سيأتي يوم يمكن فيه للمسلمة أن تتزوج من أي رجل كان، إذا أرادت، إذا رغبت، طالما ينتمي
إلى النوع البشري.
لأن المجتمعات تتطور.
ونحن شعوب قادرة على التطور.

في حالة الطلاق لا يفضل القانون الرجل على المرأة، أو العكس، بل يلتزم بوعده: كلاهما
متساويان. ولذلك كي يتم الطلاق يجب أن تنظر فيه محكمة. الطلاق هنا ليس حقًا للرجل.
ليس لعنة أو سلاحًا يسلطه على المرأة كي يروعها.
الطلاق هو "حل"، "حل مر"، "حل مؤلم"، يلجأ إليه الطرفان إذا لم يتمكنوا من الحياة معًا
كزوجين.

وهنا يوجد نوعان من الطلاق: النوع الأول هو الذي يمكن البت فيه سريعًا إذا اتفق
الزوجان على الطلاق.

مادام قرر الزوجان أن استمرار الحياة الزوجية مستحيل، فإن المحكمة ستحترم قرارهما
وتصدر قرار الطلاق. هما بالغان. عاقلان. كلاهما إنسان. وإذا اتفقا على الافتراق فإن من
واجب القانون أن يحترم هذا القرار.

لكن إذا رفض أحدهما الطلاق، رجلاً كان أو امرأة، فإن المحكمة هنا ستصدر حكم الطلاق
بعد فترة انفصال بين الطرفين مدتها عامان، أو إذا تقدم أحدهما بطلب يؤكد فيه استحالة
الحياة الزوجية لعدم اتفاق الشريكين. الافتراق ممكن إذا تعسف أحدهما، رجلاً كان أو امرأة،
لكن له شروطًا، يمكن الإيفاء بها.

ما الذي يحدث بعد الطلاق؟ ما هي الحقوق المالية للطرفين؟ كل ما بناه الزوجان وجمعهما معاً في فترة حياتهما الزوجية، يتم اقتسامه بينهما بالمساواة، حتى لو كان أحد طرفي العلاقة لا يعمل.

بالمساواة.

فالحياة الزوجية هي تعاون مشترك بين طرفين، وبقاء أحدهما في المنزل لرعاية الأطفال، هو أيضاً عمل. وعمل مهم.

ولذلك الثروة التي جمعاها، أو البيت الذي بنياه، أو، أو، يتم اقتسامه بينهما.

بالمساواة.

مبدأ عادل.

إذا كان هناك أطفال فإن الوصاية يمكن أن يتمتع بها الأب والأم معاً، بالمناصفة.

لكن القانون يحبذ بقاء الأطفال لدى الأم. رؤية عادلة لتحيز لاحتياجات الطفل.

وفي كل الأحوال فإن الوصي على الأطفال، أي الأب أو الأم، أو الاثنان معاً، يتمتع بحق تولي الشؤون القانونية للطفل وتمثيله. لا فرق هنا بين رجل وامرأة.

والحك في كل هذا هو مصلحة الطفل. كل ما يصب في مصلحة الطفل سيكون المعيار الذي تستخدمه المحكمة كي تصدر قرارها. هكذا ينص القانون. هكذا يُطبّق القانون.

وبنفس النسق، فإن الشخص الذي يعمل في العلاقة الزوجية هو الذي يتوجب عليه أن يدفع مبلغاً شهرياً لإعالة أطفاله.

أقول الشخص، لأن هذا يعني أنه إذا كان الرجل لا يعمل والزوجة تعمل فهي التي ستدفع المبلغ.

هنا لا يميز القانون فعلاً بين الرجل والمرأة، كما لا يتعامل مع المرأة على أنها كائن ضعيف. في الواقع، هي كائن قوي، قادرة على الاعتماد على نفسها، وعلى إعالة نفسها وغيرها.

من جديد، هذه الرؤية في القانون السويسري تعكس التغير الذي حدث في المجتمع، وتغير رؤيته للمرأة. ليست كائناً ضعيفاً مسكيناً. بل إنسان. إنسان بالغ راشد قادر على الاعتماد على نفسه.

إلهام مانع

من أجل هوية المرأة

ماذا عن الإرث؟

ماذا يحدث إذا مات أحد الزوجين؟

القانون هنا يعتبر أن لأسرة المتوفى المباشرة الحق في الإرث.

هذا يعني، أن الزوجة (أو الزوج إذا كانت المتوفية هي الزوجة) تحصل على نصف الإرث. والنصف الثاني من الإرث يتم اقتسامه بين الأطفال بالمساواة، دون تمييز بسبب النوع.

لا فرق بين ذكر أو أنثى في الإرث.

كلاهما يحصلان على حصة متساوية.

في حالة لم يكن للزوجين أطفال، فإن طرف العلاقة المتبقي على قيد الحياة يحصل على ثلاثة أرباع الإرث، والرابع الأخير لوالدي المتوفى.

إذا كان والدا المتوفى متوفيين هما أيضاً، فإن طرف العلاقة المتبقي على قيد الحياة يحصل على كل الإرث.

القانون يحمي أيضاً أطفال المتوفى (أو المتوفاة) وشريكته (شريكة) في الحياة. بكلمات أخرى، حتى لو كتب المتوفى وصية يحرم فيها أطفاله أو شريك حياته من إرثه، أو يميز بين أحدهم، فإن القانون لا يقبل بمثل هذه الوصية.

حق هؤلاء في إرث الشخص، ذكرًا كان أو أنثى، مصون.

مبدأ عادل. لا يقبل التعسف أو التمييز في الحقوق.

القانون السويسري ببساطة لا يميز بين الرجل والمرأة في العلاقات الأسرية. لا يتحيز لطرف ضد آخر. يتعامل معهما على أنهما بالغان راشدان متساويان.

هو قانون مدني إنساني عادل.

قانون عادل.

"هذا كل ما نطالب به. أن تكون قوانيننا عادلة".

وهذه الرؤية لم تأت بين ليلة وضحاها. فكما قلت لكما هذا القانون صدر عام ١٩٨٨. قبل ذلك كان القانون السويسري يميز ضد المرأة، ويعتبر الرجل وصياً على المرأة. قبل ذلك كان

إلهام مانع

من أجل هوية النساء

المجتمع يتعامل من منظور أبوي ذكوري مع المرأة. حتى في هذه كلنا بشر.
لكن لأن المجتمع تغير، فإنه أدرك أن التمييز ظلم يقع على المرأة، وأن هذا الظلم انتهاك
لأدميتها وحقوقها الإنسانية، ولذا تغير القانون ليعكس التطور الذي حدث، وليعبر عن مبدأ
المساواة بين الرجل والمرأة.
مبدأ إنساني. مبدأ عالمي.
ولد الإنسان حرًا.
رجلاً كان أو امرأة.
وحريتهما تستلزم تمتعهما بالإرادة.
دون وصاية.
حريتهما تستلزم أيضًا مساواتهما.

هذه الرؤية، التي تحترم الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، وتتعامل معه على أنه بالغ راشد
عاقِل، لا يحتاج إلى وصاية، غائبة في قوانين الشريعة الإسلامية.
أعود إليها بالتفصيل في المقال القادم.

● «النداء»، العدد ٢٣٦، الاثنين ١٧ مايو ٢٠١٠



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام

الشرعية تنتهك حقوق المرأة (٩)

إلهام مانع



القانون يجب أن يكون عادلاً.
وعندما لا يكون عادلاً، يتوجب تغييره.
هذا كل ما أطلب به.

أكاد أجزم أننا كففنا عن الإيمان بالله.
وأننا استبدلنا هذا الإيمان بأصنام صنعناها
لأنفسنا.
نعبد هذه الأصنام بدلاً من الخالق، أو
الصانع.

نعبد أصناماً جلبناها من أفكارنا.
وعندما يأتي من يقول "لكنها أصنام، نحن
من وضعها"، ينقلبون عليه أو عليها ويقولون
"كفر هذا الفاسق/ الفاسقة".

مسكين أيها العقل. كم تعاني.

الصنم الذي وضعه الإسلام السياسي اسمه "الشرعية": "هذه هي الشرعية، نطبقها أو لا
نؤمن". كأن "الرحمن" هو "الشرعية".

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

والدول العربية لأنها مأزومة بغياب شرعيتها، تجاري مد الإسلام السياسي والتأسلم الشعبي، تحني رأسها، ثم تشيح بوجهها، وتصمت.

ونحن أبناء وبنات هذه المجتمعات نخاف أن نفتح أفواهنا.

نخاف أن نشير إلى التناقضات التي نراها، إلى غياب مفهوم العدالة واحترام معايير حقوق الإنسان والمساواة في الشريعة الإسلامية، وإلى ضرورة استبدالها بقوانين وضعية مدنية علمانية عادلة.

نخاف أن نفتح أفواهنا، لأن من يطلق لسانه بكلمة الحق يواجه التسفيه ثم التكفير. فنقرر أن الأسلم أن نصمت.

وهذا بالتحديد ما يراهن عليه تيار الإسلام السياسي.

هذا بالتحديد ما يريده. أن نخاف، ثم نبحت عن السلامة في الصمت، وبعده الموت.

أفضل مثال على ذلك قوانين الشريعة الإسلامية في تعاملها مع المرأة. في الحلقة الماضية وضعت إطاراً للمبادئ التي يقوم عليها القانون السويسري للعائلة. وكان واضحاً أنه قانون مدني علماني عادل.

قانون لا يفرق بين الذكر والأنثى، يحترم كيانهما كبالغين راشدين، ويحترم حقهما في المساواة في الحقوق والواجبات.

واختياري للقانون السويسري لم يأت اعتباراً.

لم أختره كما أشارت قارئة كريمة، غاضبة، كي أدلل على تخلفنا. بل اخترته عامدة متمعمة لأن سويسرا لم تكن إلى عهد قريب النموذج الذي يحتذى به في قضية المساواة بين الرجل والمرأة. هي الدولة الأوروبية الوحيدة التي لم تبادر إلى منح المرأة حقوقها السياسية في التصويت والترشيح إلا عام ١٩٧١. واضطرت المحكمة السويسرية الدستورية أن تجبر كانتون أبزلر إنترهودن عام ١٩٩٠ على السماح للمرأة بالدخول في العمل السياسي، لأن هذا الكانتون (أو الولاية) ظل مصمماً على رفض مبدأ حق المرأة في المشاركة السياسية.

نفس النسق نجده عندما يتعلق الأمر بقانون الأسرة السويسري قبل تعديله. قبل تعديله كان القانون متحيزاً ضد المرأة. كان لا يسمح للمرأة بالعمل إلا بموافقة زوجها. وكان الرجل

هو الذي يحدد مكان إقامة زوجته. كان الرجل بكلمات أخرى هو الوصي.

لكن لأن القوانين تتغير مع تغير رؤية الإنسان وطبيعة المجتمع، وصل المشرع والمشرعة السويسريان إلى قناعة أن مثل هذه الوصاية تنتهك آدمية المرأة. تتعامل معها على أنها قاصر. ولذلك تغير القانون عام ١٩٨٨.

أنا إذن على قناعة أن مسألة حقوق المرأة مسألة إنسانية، وانتهاك هذه الحقوق متواجد في كل الثقافات والأديان والمجتمعات.

مشكلتنا في ثقافتنا العربية الإسلامية هي إصرارنا على التمسك بقواعد تنتهك حقوق الإنسان، ونبرر هذا الإصرار بالدين.

ثم نزيد على ذلك بالقول "الله يريد هذا".

الله بعزته هو الذي يريدنا أن ننتهك آدميتنا؟

بل هم رجال ونساء، تشربوا بثقافة تمييزية، من يريدون.

الله لا دخل له في الموضوع.

أقول إن قوانين الشريعة الإسلامية تنتهك حقوق المرأة. وأدري أن قولي هذا يصدد الكثيرين. وبعضكن سيصرخ في وجهي أنني جانية، عميلة، أخدم مصالح "الأجانب"، وأني جزء من مؤامرة لتدمير مجتمعاتنا العربية الإسلامية.

كل هذا قيل لي في الرسائل الإلكترونية التي تلقيتها منذ بدئي لهذه السلسلة عن الإسلام الإنساني. كل يوم.

أقرأها ولا أغضب، رغم ألمي. فأنا أدرك أننا اعتدنا منذ تفتحت أعيننا على الحياة على ثقافة تصر على أن "الشريعة" رديفة "للعدالة".

وعندما نستمتع إلى هذا القول ليل نهار، ليل نهار، سيكون من الصعب علينا أن نستمتع لرأي مغاير. سيكون من الصعب علينا أن نستمتع إلى جملة "الشريعة ليست رديفة للعدالة".

رأي لا يعتمد على صفة العموم، الصفة العزيزة على قلب مروجي الإسلام السياسي أو الداعمين لرؤية كلاسيكية أرثوذكسية لمفاهيم الإسلام الحنيف.

لو نظرنا إلى الكيفية التي تتعامل بها آيات القرآن الكريم مع المرأة، يمكننا أن نحدد مستويين. الأول يشير إلى أن المرأة والرجل يقفان متساويين أمام الخالق عز وجل. وهو اتجاه برز واضحاً عندما بدأت بعض النساء في عهد الرسول الكريم في التساؤل عن سبب تخصيص القرآن خطابه للذكور من أتباع النبي، فجاءت آيات قرآنية تطمئنهن بأن عملهن مساو لعمل الرجل، وأن هذه المساواة ستكون في الآخرة. لن أتطرق إلى أن كثيراً من الآيات القرآنية في أحاديثها عن متع الجنة كانت موجهة للذكور، هذا موضوع آخر. المهم، أن هناك مستوى يمكن تحديده يقول إن المرأة مساوية للرجل أمام الله عز وجل.

المستوى الثاني في الآيات القرآنية في المقابل يرى أن المرأة غير متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات أمام القانون. عدم المساواة هذه تتبدى في قواعد الطلاق، في قضية تمتع الرجل بالمرأة جنسياً "أينما شاء"، وفي الزواج بأكثر من امرأة (٤ إضافة إلى الجاريات، أي العبيد، لا تنسيا عبارة "ما ملكت أيمانكم")، في الميراث، في شهادة المرأة، وفي استخدام الضرب لتأديب المرأة "الناشز"... الخ. هذا مستوى يعكس واقع القرن السابع الميلادي لشبه الجزيرة العربية، وبالتحديد المناطق التي صيغت فيها آيات القرآن. لا يتعامل مع المرأة على أنها والرجل متساويان أمام القانون في الكرامة والحقوق، وهو التعبير الذي نستخدمه اليوم عند حديثنا عن حقوق الإنسان. بل رفع الرجل درجات درجات. وجعل المرأة في مرتبة اجتماعية أدنى.

والمشكلة أن الاتجاه العام للفقهاء المسلمين على مدى القرون الـ ١٤ الماضية، مع بعض الاستثناءات، عمد إلى ترسيخ المستوى الثاني لعدم المساواة بين الرجل والمرأة.

تجاهل المستوى الأول كأنه لم يكن، ثم عمد إلى تعميق الهوة بينه وبين المستوى الثاني. لأن الفقهاء، وأنتم أدرى، يتحدثون بلغة مجتمعهم، مجتمع قبلي، تسود فيه عادات وتقاليد ذكورية أبوية تكاد لا ترى للمرأة دوراً سوى كونها بضاعة متعة، ثم زوجة وأماً.

النتيجة هي قواعد وقوانين تتعامل مع المرأة على أنها قاصر تحتاج إلى الحماية... من يوم مولدها إلى يوم دفنها.

سأخذ من جديد محاور الزواج والطلاق والميراث في قواعد الشريعة الإسلامية أساساً

الرؤية الفقهية للزواج تتعامل معه على أنه عقد بين رجل وولي أمر المرأة (باستثناء المذهب الحنفي المعمول به في مصر) يحل به للرجل ممارسة الجنس مع المرأة. رؤية تحول الزواج، الذي يفترض فيه أن يكون علاقة مودة ورحمة وشراكة بين شخصين، إلى عقد بيع وشراء، يتمتع فيه الرجل بالمرأة. لم أسمع تعريفاً للزواج يحدده بعقد تتمتع فيه المرأة بالرجل. ولاحظ أن مجرد طرح الموضوع بهذه الصياغة سيثير الكثير من صرخات الانزعاج والغضب والإدانة، لأن المسألة مقلوبة. الرجل هو من يتمتع بالمرأة. هكذا هي القناعة السائدة. أما المرأة فعليها أن تلبي طلبات زوجها الجنسية، متى شاء، أينما شاء، أرادت هي أم لم ترد.

والرؤية الفقهية للزواج تجعل من موافقة ولي الأمر محوراً وشرطاً جوهرياً لزواج المرأة. المرأة هنا ليست شخصاً بالغاً قادراً على اختيار شريك حياته دون وصاية. بل قاصر. قاصر يتوجب عليها الحصول على موافقة ولي أمرها كي تتزوج. وإذا لم تحصل على هذه الموافقة ستواجه الكثير من المشاكل والعراقيل، وستضطر إلى اللجوء للقضاء كي تثبت أن ولي أمرها يعضلها، كي يزوجها القاضي.

هل هذا عدل؟

موافقة الفتاة أو المرأة على الزواج في المقابل تم تحديدها وفقاً للشرعية بصمت الفتاة إذا لم يسبق لها الزواج (وهي ستصمت فعلاً إذا كانت خائفة)، لكنها اشترطت موافقة المرأة قولاً إذا كانت ثيباً، أي سبق لها الزواج.

لكن موافقة الفتاة أو المرأة لا تعني في الواقع شيئاً إذا لم يكن ولي الأمر راضياً عن زواجها. لأنه إذا أراد ولي الأمر تزويج الفتاة غصباً عنها، فإنه قادر على فعل ذلك. هذه هي المشكلة، في الواقع هذه هي الطامة. فمعظم المذاهب الإسلامية (باستثناء المذهب الحنفي) عندما ترجمت هذه القواعد على أرض الواقع، خاصة في بلدان شبه الجزيرة العربية، تركت المجال لولي الأمر كي يزوج الفتاة حتى دون علمها. قانون الأسرة الكويتي -على سبيل المثال- لا يشترط وجود الفتاة عند عقد الزواج. كل ما يطالب به هو وجود الزوج وولي الأمر. كأن الفتاة لا علاقة لها بالأمر. بضاعة تتحول ملكيتها من الأب إلى الزوج.

أليس هذا ظلماً؟

ولهذا نسمع كثيراً عن حالات مفجعة يتم فيها تزويج فتيات في اليمن والسعودية والكويت، دون علمهن، ليكتشفن بعد عدة سنوات أنهن متزوجات! تزوجن غيابياً! هل هذا عدل؟

لن أسهب كثيراً في اشتراط أن يكون زوج المرأة المسلمة مسلماً، ومنعها من الزواج من أهل الكتاب. فهذا الشرط، الذي لم يرد في القرآن، أجمع عليه الفقهاء بسبب بسيط: هو إجماع يعكس رؤية أغلبية مسلمة ترغب في تزويج كل الأقليات الدينية المتواجدة في مجتمعاتها. ولذلك لا يجد الفقهاء مانعاً من تزويج المسلم من غير المسلمة. فقناعتهم أن المرأة ستتبّع رجلها في الدين في كل الأحوال، تماماً كما يتصورون أن المرأة هي تبع للرجل.

كما لن أتحدث عن مبدأ "الكفاءة" الذي خرج به علينا الفقهاء، كي يلتفوا على حق المرأة في اختيار شريك حياتها. إذا كان هذا الشريك "غير كفء"، مذهبياً أو قبلياً أو اجتماعياً، يمكن لولي الأمر أن يطالب بفك عقد زواج المرأة.

ولن أتحدث عن ضرورة أن "تطيع" المرأة زوجها. وهي طاعة ربطها الفقهاء بنفقة الزوج على زوجته. كأن المرأة "عاملة" تأخذ "أجرًا"، وعليها لذلك أن "تؤدي واجبات"، منها "الطاعة". و"الطاعة" تشمل الجانب الجنسي. ولم أسمع عن امرأة تطالب زوجها العاقل عن العمل بأن يطيعها جنسياً. أظن، والرحمن أعلم، أن الفقهاء لن يوافقوها على هذا التفسير.

كما لن أتحدث عن سن الزواج، الذي حدده الفقهاء بشرط البلوغ، تاركين المسألة للاعتباط، فلو بلغت المسكينة وهي في التاسعة ستتزوج. طفلة نزوجها، ولا نجد غضاضة في ذلك؟ بل الأغلبية منا ترفض ذلك، لكنها صامئة.

لن أتحدث أكثر عن هذه الجوانب. يكفي فقط القول إن الرؤية الفقهية الشرعية للمرأة لا تعتبر المرأة إنساناً عاقلاً راشداً بالغاً ومستقلاً، مستقلاً، قادراً على اتخاذ قراراته باستقلالية، ثم على تحمل مسؤوليتها.

طفلة. يحملونها من مهدها إلى كفنها. وعندما تصرخ معترضة، يقولون "طفلة تصرخ. كفي عن الصراخ أيتها الطفلة".

ماذا عن الطلاق؟

من جديد يبدو تحيز الشريعة للرجل وظلمها للمرأة واضحاً.

الرجل له الحق في تطليق زوجته بـ ٣ كلمات، طالق طالق طالق.

٣ كلمات ينطق بها، يهدم بها كيان أسرة.

والرجل له الحق في أن يطلق زوجته دون أن يبدي سبباً لذلك. مزاجه أن يطلق. طلق.

كبرت المرأة، هرمت، وتعبت. طلق القديمة.

زوجته الجديدة شابة وملاعبة، تريده لها. طلق القديمة.

"صوتها ارتفع علي". طلق القديمة.

ليس مجبراً على إبداء أي سبب. ولذا إذا أراد أن يطلق سيطلق. الشريعة تقول له "هذا

حقك". والحق إذا جاء مطلقاً يتحول إلى تعسف وجبروت.

أليس هذا ظلماً؟

المرأة في المقابل، كي تحصل على الطلاق، أمامها ٣ خيارات: إما أن يكون الرجل إنساناً

فيوافق على الطلاق، وحينها ستكون المسألة محسومة، أو يتوجب عليها أن تثبت أن زوجها

يسيء معاملتها، وهنا عليها أن تتحول إلى القاضي، الذي قد يكون متعاطفاً معها أو متحيزاً

ضدها، هي وحظها.

هي وحظها.

هل هذا عدل؟

الخيار الثالث، هو الخلع، الذي يعطي للمرأة الحق في طلب الطلاق دون إبداء أسباب، لكن

عليها أن ترد له المهر، وتتنازل عن حقوقها المالية، أي المؤخر. عادة ما تلجأ المرأة إلى هذا

الحق بعد أن تكون قد ذاقت الأمرين، وعندما تلجأ إليه يتوجب عليها أن تتنازل عن الضمانة

المالية الوحيدة التي وفرتها لها الشريعة؟

هل هذا عدل؟

والأدهى أن بعض قوانين الأسرة العربية، كالقانون اليمني على سبيل المثال، يشترط موافقة

الزوج على الخلع، وكأنك يا زيد لا رحت ولا جيت.

هل هذا عدل؟

ما هي الحقوق المالية للمرأة بعد الطلاق؟

٣ أشهر نفقة (لن ننسى نفقة المتعة، تمتع الرجل بالمرأة، كأنها شيء يتم استخدامه، استهلاكه، ثم التعويض عنه)، والمؤخر الذي تم الاتفاق عليه في عقد الزواج. ولن يكون هناك فرق بين ٣ أشهر زواجًا أو ٣٠ عامًا من الزواج. فالمبلغ هو هو، ٣ أشهر نفقة!

مادامت المرأة لم تكن "ذكية" وأقنعت الرجل بكتابة البيت أو نصفه باسمها، فإنها عند الطلاق ستخرج إلى الشارع، أو تعود عالة على أهلها.

هل هذا عدل؟

تكون المرأة محظوظة إذا كان لديها أطفال، لأن على الرجل أن يدفع نفقة لأطفاله، إذا كانوا يعيشون لديها. لكن الوصاية تظل دائمًا للرجل، حتى لو كان الأطفال لديها. ولذلك نسمع عن حالات ترفض فيها مستشفيات دخول الطفل إليها دون وجود إذن من الأب المطلق، حتى لو كان مسافرًا في الخارج.

كان الأم لا شيء.

شيء لا يُعتد بوجوده.

حق المرأة في الميراث يظهر من جديد الرؤية القبلية العشائرية للمرأة في الشريعة الإسلامية.

آيات القرآن الكريم في مسألة الميراث جاءت لتعكس رؤية قبلية عشائرية للمرأة تفترض أن الرجل هو من سيتحمل مسؤولية النساء في عائلته/ قبيلته. وهي رؤية متطورة في وقتها، لأن النساء في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية (وليس كلها) كن لا يرثن أزواجهن، والفتاة لا ترث أباهن. لكنها اليوم لا تعبر عن عدالة، بل عن تمييز لصالح الذكر في الأسرة. الذكر يرث ضعف ما ترثه أخته، والزوجة ترث الثمن من زوجها. وافترض أن الأخ أو الابن سيعيلهن لم يعد مقنعًا اليوم. لأن المسألة في النهاية ستتحوّل إلى منة يقدمها الذكر أو يمنعها، فتضطر المرأة إلى اللجوء إلى القضاء.

هل هذا عدل؟

الشريعة تنتهك حقوق المرأة لأنها ترفض مبدأ حق المرأة في التمتع بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الرجل أمام القانون. هكذا، دون شروط. دون شروط.

بل تتعامل دائماً من منطلق يصر على أن المرأة مساوية للرجل في الكرامة وليس في الحقوق. انتبها، في الكرامة وليس في الحقوق. رغم أن الاثنين يأتيان معاً، الكرامة والحقوق. إذا تغاضينا عن واحدة دون الأخرى، انتهكنا حقوق الإنسان. الاثنين يأتيان معاً: ولد الإنسان حراً في الكرامة والحقوق. الإنسان. رجلاً كان أو امرأة. متساويان في الكرامة والحقوق. ولأن الشريعة لا تقر بهذا المبدأ، فإنها غير عادلة. والقانون يجب أن يكون عادلاً. وعندما لا يكون عادلاً، يتوجب تغييره. هذا كل ما أطالب به.

■ في المقال القادم من هذه السلسلة أقدم لكما مثلاً آخر عن الكيفية التي تتعامل بها الشريعة الإسلامية مع الأقليات الدينية.

● «النداء»، العدد ٢٣٩، الاثنين ٧ يونيو ٢٠١٠

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

مواطنون لا ذميون (١٠)

إلهام مانع

مشادة كلامية عنيفة على الهواء مباشرة على قناة NTV المصرية، جسدت دون لبس جوهر المعضلة التي ما فتئت أحدثكم عنها. معضلة التمسك بتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية في عصرنا الحالي. معضلة رفض فكرة الفصل بين الدين والدولة.

جرت المشادة بين الدكتورة سعاد صالح، أستاذ الفقه المقارن وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، التي انضمت لحزب الوفد قبل يوم من المقابلة، وبين القيادي في حزب الوفد المصري صلاح سليمان وعدد من المشاهدين الذين اعترضوا على رأيها "الديني".

ردت الدكتورة سعاد صالح على سؤال المذيع جابر القرموطي في برنامج "مانشيت" عن حق المصري المسيحي في تولي رئاسة الدولة، بالقول إنه لا يجوز دينيا وسياسيا أن

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

يكون في يوم من الأيام الرئيس المصري مسيحياً، ولكي تدعم رأيها بالحجة أشارت إلى الآية القرآنية: "لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً".

أرادت أن تكملها فعمتها.

لم تكتف بذلك، بل تابعت قائلة: "لا بد أن تكون الولاية من المسلم على الكافر وليس العكس، لذلك أباح الله زواج المسلم من غير المسلمة وليس العكس، لأن الولاية في الزواج تكون للرجل، كما أن القوامة تكون للدين الأعلى وليس الأدنى"، مؤكدة أن "شهادة غير المسلم على المسلم غير جائزة بالإجماع لأنه أقل ديناً، إلا أن أبا حنيفة أباحها".

رد الدكتورة آنذاك كان واضحاً لا لبس فيه. هي تصف المسيحيين بالكافرين. تعتبر أن الإسلام هو دين "أعلى" من الدين المسيحي "الأدنى"، ولذلك فإن الولاية هي للمسلمين (الأعلى) على المسيحيين (الأدنى).

المشادة الكلامية التي حدثت بعد ذلك أظهرت الهوة الفاصلة بين رؤية "دينية" تصر على تصنيف البشر حسب انتماءاتهم الدينية، تضعهم في درجات، لا تعترف بحقوقهم إلا من زاوية هذا الانتماء الديني، وفي الواقع لا تعترف أن هناك شيئاً اسمه الوطن، وبين رؤية علمانية تصر على أن المواطنة هي المحك في تعامل الدولة مع مواطنيها، بغض النظر عن الانتماء الديني أو النوع.

فالقيادي البارز في حزب الوفد صلاح سليمان اتصل بالبرنامج، وأبدى انزعاجه الشديد من كلام الدكتورة، طلب منها توخي الحذر في ما تقوله من تصريحات تُحسب على حزب الوفد، ثم توجه بحديثه إلى المذيع قائلاً: "الدكتورة سعاد بتتكلم في الدين ومش بتتكلم كقيادة وفدية، لأن حزب الوفد حزب علماني وبيرفض كل الكلام ده، وبيطالب بالمساواة والمواطنة اللي من أهم بنودها حقوق الأقباط والمرأة في الوصول إلى الرئاسة".

فردت الدكتورة قائلة: "إن اللي بيتكلم عنه الأستاذ صلاح أهواء بشرية، وده بيعارض الدين، وأنا موافقش على أهواء البشر.. وموافقش على ولاية لغير المسلم.. وأي حزب يتعارض مع الدين الإسلامي أنا مش هنضم له"، هنا واصل الأستاذ صلاح حديثه قائلاً: "لا يجوز أبداً أن حد شغلته في الدين يطلع يتكلم في السياسة".

بطبيعة الحال اضطرت الدكتورة سعاد بعد يومين من المشادة إلى التراجع عن حديثها، تراجعت لتقول إن ما قالتها كان في معرض تولي الخلافة، وإن نظام الخلافة انقرض وتحول

الأمر إلى دولة مؤسسات، وعليه يصبح للمسيحي حق تولي رئاسة الدولة، بينما يظل التحريم متعلقًا بالخلافة، وإنها لا يمكنها أن تصف المسيحيين بالكافرين!

والله؟

كل هذا، ولم يكن قصدها؟

يالله كم تأرجحت.

يالله كم تذبذبت.

يالله كيف تراجعته؟

تراجعت الدكتوراة عن موقفها رغم وضوحه. فهي طوال حديثها كانت تتكلم عن "رئاسة الدولة" لا "الخلافة"، وعن "الكافرين" في وصفها "للمسيحيين".

لكنها تراجعته. نحمد الله أنها فعلت.

تراجعت، ربما لأن أحد المحامين قرر رفع قضية عليها لإثارتها الفتنة بين المسلمين والمسيحيين. ربما لأن هناك من همس في أذنها من دوائر عليا بأن "الأحرى أن تتحرى الدقة في ما تقول"، وربما لأنها وجدت أن المسألة جادة، وأن ما قالته خطير بالفعل.

ربما. نحن في الواقع لا نعرف دوافعها في التراجع.

كل ما نعرفه هو ما قالته على الهواء مباشرة، فالبرنامج موجود، وما قالته فيه يستحق الإدانة بالفعل.

رأي الدكتوراة سعاد هو رأي "ديني" يعكس بوضوح رأي إجماع الفقهاء المسلمين، وهو رأي "ديني" تصر عليه قوى الإسلام السياسي، وعلى رأسها حزب الإخوان المسلمين، وقبله بالطبع التياران السلفي والشيوعي.

وفي الواقع لن نجد فرقاً بين إجماع الفقهاء، وإجماع حركات الإسلام السياسي في هذا الشأن.

فهما في أحيان كثيرة يبدوان كما لو كانا وجهين لعملة واحدة.

لكن كونهم مجمعين على شيء، لا يعني أنهم على حق.

الإهام مانع

من أجل هوية الإسلام

لمجرد أن جماعة من الفقهاء على مر التاريخ الإسلامي عبرت عن رأي لا يعني أبداً أنها تعبر عن رأي صحيح.

فالفقهاء المسلمون أجمعوا أيضاً على مر القرون على أن استعباد البشر "أمر جائز شرعاً".

وأتساءل، بخبثٍ طبعاً، ماذا لو طرح أحدهم سؤالاً على الدكتوراة سعاد عن "العبودية" هل هي جائزة شرعاً أم لا، هل سترد أيضاً "الدين كده" كما ردت على المهندس نجيب ساويرس؟ فالدين "كده" فعلاً عندما يتعلق بمسألة العبودية.

لم يحرمها، بل أشار إليها في آيات قرآنية كثيرة كواقع اجتماعي قائم.

وأقترح عليكما لذلك أن تقرأ كتاب "هداية المريد في شراء الجوّاري وتقليب العبيد: الأوضاع الاجتماعية للرقيق في مصر"، للناشر محمد مختار، الذي قرر الكتابة في الموضوع عام ١٩٩٦ "دفاعاً عن الإسلام" كما يبدو.

اطلعا على الكتاب كي تريا كيف أجمع الفقهاء على التسري بالجوّاري، واستخدام العبيد، وكيف خرجوا بمجموعة من القواعد، أجمعوا عليها أيضاً، في كيفية التعامل مع من يولد للجوّاري والعبيد من أطفال، يباعون أو يحتفظ بهم أو يُعترف بهم (إذا كان الطفل من مالك الجارية).

الهدف كما اجتهد حتى تعرّق الناشر مختار في التأكيد "هو حفظ الأنساب، وتأمين عدالة التعامل مع العبد والجارية". لكن الناشر اللبيب لم يتساءل قط لِمَ لم يتخذ أحدٌ من هؤلاء الفقهاء موقفاً يقول إن "استعباد البشر لا يجوز شرعاً"؟

السبب بسيط، القرآن لا يدين هذه الممارسة، ولا يدعو إلى إلغائها. آياته كانت تعكس الواقع الاجتماعي للمقرن السابع الميلادي على الأرجح.

ولأن الأمر كذلك، فإن الفقهاء لم يجدوا مفراً من "الإجماع" على أن العبودية، امتلاك البشر، بيعهم وشراءهم، أمر "جائز شرعاً".

وإذا كان القرآن لم يدعُ إلى إلغاء العبودية آنذاك، والفقهاء أجمعوا من بعده على جوازه "شرعاً"، هل نقبل بنتيجة هذا الإجماع؟

هل نقبل باستعباد البشر؟

لا.

لن نقبله.

وبنفس المنطق، حديث الدكتوراة يعكس إجماعاً هو الآخر.

إجماع يقول بأن الوطن لا وجود له، والمساواة بين المواطنين لا وجود لها، بل "الأمة" هي المحك، وهي "أمة من مسلمين"، ومن يتبع ديناً آخر يعيش في هذه الأمة "كذمي"، يعيش في هذه الأمة "بأمان"، ولكن كجزء "دخيل" عليها، "جزء أدنى".

هذا الإجماع يعكس واقع المجتمعات في القرون الوسطى.

يعكس واقعا كان موجوداً.

لكنه لا يعكس واقعنا، في الواقع لا يعكس قوانين الدولة القائمة حالياً.

الدكتوراة سعاد كانت تتحدث كما لو كانت تعيش في المملكة العربية السعودية، لا في مصر. مصر التي ينص دستورها على المساواة بين مواطنيها بغض النظر عن الدين.

ولعلها عبرت في الحقيقة عما هو ممارس فعلاً في الواقع. أليس كذلك؟

الدستور المصري يقول بالمساواة، ثم يخرج علينا في الوقت ذاته بعبارته "دين الدولة الإسلام"، ويضيف عليها أن الشريعة "مصدر أساسي للقانون". وكلاهما يدقان إسفيناً في نعش "الوطن".

والمجتمع تغير، أصبح مسعوراً بموجة التأسلم الشعبي، فنسي أن المصريين تميزوا دائماً عن غيرهم من الشعوب في المنطقة بعشقهم المجنون لأم الدنيا؛ مصر. ولأنهم كانوا كذلك، كانوا دوماً مصريين أولاً.

اليوم، أصبح الانتماء دينياً. ولأن الانتماء أصبح دينياً، اضطرت الأقلية المصرية المسيحية إلى الانكفاء على نفسها، انزوت، تسمع كل من حولها يقول لها إنها "مختلفة"، فبحثت هي الأخرى عن موطن "الاختلاف"، فلجأت إلى "الهوية الدينية" هي الأخرى كَمَخْرَج.

دائرة شرسة.

تعكس في الواقع الأزمة التي نعيشها في دول المنطقة.

أزمة فكر ديني، يرفض أن يخرج من دائرة القرون الوسطى، فتلقفته جماعات الإسلام السياسي، مستخدمة إياه كي تصل إلى "السلطة".

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

وأزمة دولة، لم تتمكن إلى يومنا هذا من التعامل مع مواطنيها على أنهم متساوون أمام قوانينها بغض النظر عن الدين والنوع. دولة لم تنجح إلى يومنا هذا في أن تكون وطنًا لمواطنيها.

دولة تصر على التعامل مع مواطنيها بمعيار "انتماء ما".

فلمن لا يعرف، في مصر هناك قوانين "غير مكتوبة"، يدعمها العرف، تقول بأن المصري المسيحي لا يمكنه أن يصل إلى مناصب "حساسة" أمنية وعسكرية. تمامًا كما أن هناك قوانين "شفهية"، يدعمها الفقه السلفي، تقول بأن المواقع القيادية في الجيش والحرس الوطني ووزارة الخارجية لا يصل إليها المواطنون السعوديون من أتباع المذهب الشيعي.

والمشادة بين الدكتورة سعاد والقيادي في حزب الوفد سليمان، عبرت عن هذه الأزمة بوضوح.

فالخلاف كان بين رؤية دينية قروسطية، أصبحت لها الغلبة في مجتمعاتنا، وبين رؤية حديثة علمانية، تكالبت عليها قوى الإسلام السياسي والفقهاء والفتيات والدولة، فأصبح صوتها ضعيفًا محشرًا.

والأزمة ستستمر ما دمنا نصر على إحقاق هذه الرؤية الدينية في تنظيم حياتنا العامة، ومادامت الدولة تصر على أنها لا تمثل مواطنيها بل هي "حارس شخصي لانتماءات دينية، طائفية، مناطقية، قبلية، أو لمصالح شخصية".

الأزمة ستستمر، مادامنا نصر على أن أبناء وبنات الوطن "ذميون"، نتصدق عليهم بالاعتراف، نمّن عليهم "بحق تولي منصب أو غيره"، كأننا أصحاب الوطن.

بيد أن الوطن ليس ملكًا لفئة دون غيرها من المواطنين. الوطن ملك للجميع.

ونحن جميعًا مواطنون.

مواطنون.

مسيحي يهودي كافر بوذي بهائي، أو مسلم -سني أو شيعي علوي، درزي، ذكر أو أنثى. كلنا مواطنون. مادامنا ننتمي إلى الوطن، فنحن مواطنون.

مواطنون متساوون.

والقانون والدستور (قانون علماني ودستور يحترم حقوق المواطنة والإنسان)، هما، لا

القرآن، المحك.

القرآن ليس المحك.

الدين ليس المحك.

والإنسان، سأكررها مادمت حية، الإنسان لا الإسلام، هو الحل.

■ في الحلقة القادمة، سأبدأ بالحديث عن العناصر الأربعة للإسلام الإنساني.

● «النداء»، العدد ٢٤٢، الاثنين ٥ يوليو ٢٠١٠



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام



بأي كلمات أنعاك؟



لا. لم أبك.

بل كنت أنشج بالدموع.

والحزن، أي حزن؟ حُرقة.

الروح حُرقة.

فقدك ليس خبراً، تناولته وسائل

الإعلام العالمية باهتمام.

إلهام مانع

من أجل هوية الأساقفة

فقدك مصابٌ.

فبأي كلمات أنعاك؟

الكلمات تخجل وتتوارى، لا تدري كيف تنعاك.

ولأنها لا تفي بك، ألجأتني إلى الصمت.

أي والله، ألجمتني. فصمت.

أبكي بصمت، والحزن يرن هو الآخر في نفسي بصمت.

كيف أنعيك، أستاذي؟

هل أقول تركتنا، أستاذي المفكر الجليل نصر حامد أبو زيد، بجسدك. لكن روحك وفكرك، بقيا وسيبقيان معنا.

ابن رشد حاكموه، مثلك، حرقوا كتبه وأهانوه، كما فعلوا معك، لكن فكره انتشر، وأصبح أساساً لمنظومة فكرية جديدة. كذلك فكرك.

ومن أهانه، من تبجح عند موته، لم يحن سوى الخزي. حتى أمام الموت لا يخجل!

من حاكمك، سيدخل التاريخ لا لشيء إلا لأنه أراد أن يحاكمك. لكن التاريخ سينسى أسماءهم. والمفارقة أن رموز محاكم التفتيش أرادت لك أن تصمت. لكنها نجحت فقط في إيصالك إلى العالمية.

عندما وصلني الخبر كنت في تركيا. وعندما طبعت اسمك باللاتينية في جوجل توالت صفحات التأبين من أشهر صحف العالم، وبالعديد من اللغات. العالم كان ولا يزال يعرف قدرك. والحسرة أن كثيراً من أبناء وطنك، ذاك الذي أحببته إلى درجة العشق، لم يعرفوا قدرك إلى يومنا هذا. تماماً كابن رشد.

كل هذا قيل، وسيقال. لكنه لا يفيك. لا يفيك. من عرفك يدري أن هذه الكلمات لا تفيك.

لأنك لم تكن مفكراً فحسب، كنت إنساناً. ولأنك كنت إنساناً، كنت تخطئ

إلهام مانع

من أجل هوية إسلامية

وتصيب، لكنك بقيت دائماً خَيِّراً، طيباً، وبريئاً. طبيبتك كانت عنوانك. وابتسامتك كانت روحها.

ولأنك كنت تؤمن بالإنسان في وطنك، بقيت مثقفاً مستقلاً.

أمنت دوماً بحق هذا الإنسان في الوجود بكرامة. تؤمن بضراوة. ولذا كان وجعه وجعك.

فكان لزاماً أن تكون مستقلاً، كي تكون جديراً باسمك. مستقلاً.

ليس لديك ما تخسره أكثر من مال لا تريده، ومنصب لا يغريك، وجاء لا يضريك الاستغناء عنه.

هل تذكر؟ يوم أصررتُ على دفع حساب العشاء في لوتزن بعد أن أُلقيت محاضرتك في الحلقة الدراسية التي شاركنا فيها عن الإسلام والحداثة في جامعة لوتزن.

غَلَبَتْك، فقلتُ لي مازحاً: "طيب، سأحرمك من الميراث". فرددتُ عليك بلهجة والدتي: "هو أنتَ حيلتك حاجة؟"، فضحكت من قلبك. ضحكة الإنسان الصادق المطمئن.

ولذلك كان صوتك مزعجاً للكثيرين.

صوت ضميرنا.

يدفعنا إلى الخجل من أنفسنا.

صوت ضميرنا، الشاهد على التغيير الذي شهده عصرنا.

الشاهد على عصرنا.

أنت.

موتك كان مفاجئاً. والموت هو الوجه الآخر للحياة. والله إني أعرف ذلك.

لكنه في حالتك أنت، لوعة، فجيرة، وخسارة، أيّة خسارة.

نشيجي أذهل أسرتي. لكن زوجي كان يعرفك هو الآخر، التقاك مرة، وسمع
عك مني ألف مرة. ولذلك كان يعرف قدرك.

والدموع لذلك قليلة عليك.

صمت، دمع، ونشيج.

ثم بصيص.

كلمات زوجتك القديرة الدكتوراة ابتهال يونس، كانت البصيص.

قالت لي وهي تبكي فجيعتها في الرجل الذي كان زوجاً، صديقاً، وحبیباً لها:
"سأحيا كي أجعل اسمه وفكره باقياً".

هي المرأة التي قالت "لا"، لحكم جائر بتطليقها رغمًا عنها وعن زوجها.

وهي الشريكة التي قال عنها زوجها في حديث صحافي: "نحن لسنا فقط
زوجين، هي أستاذة جامعية، هي مثقفة، وهي ليست فقط زوجة تدعم زوجها، بل
هي شريكة تدعم صديقاً لها".

وهي اليوم، تمامًا كيوم صدور الحكم، تُظهر معدنها السامي من جديد.

تقول اليوم "لا" أيضًا.

موتك لن يكون النهاية.

الأمل باقٍ.

لأن الفكر لا يموت.

يبقى.

والفكر مُعدٍ.

فالفكر لا يؤمن بالقيود، بالحدود، أو بالخوف، يخرج عن نطاقها، يقدم نفسه
في حيز الأفكار، فينتشر في العقول، يتوالد، ويمتزج بغيره، ليخرج عنه فكر
جديد، حياة جديدة.

حياتك لذلك تظل، رغم موتك، معنا.

في فكرك.

بيد أن موتك رغم ذلك لا يطاق.

لا يطاق.

فبأي كلمات أنعاك؟



الصمت يأس.

وخلصنا في كسره، والنطق بالفكر كما نؤمن به.

هذا هو طريقنا.

أعود إليكما في المقال القادم.

إلهام مانع

● «التداء»، العدد ٢٤٥، الاثنين ٩ أغسطس ٢٠١٠

كيف أؤمن بالله؟

إلهام مانع

أردت الاستهلال فجاءني الخبر، فقدُ جديد: وفاة المفكر
الجليل الدكتور أحمد البغدادي.

يا الله، كأن المصائب تتلاحق، نختنق بالأسى ونحن
نلهث وراءها.

"أبواب الحزن مشرعة"، قالها لي الصديق.

ومعه حق.

لكن سفينة التنوير تمضي. تحمل فكر هؤلاء
الأجلاء، نصر حامد أبو زيد وأحمد البغدادي،
ثم تمضي إلى الأمام. فلا يأس حتى مع هذا
الحزن الذي ينز من قلوبنا.

تعلمت على يد الدكتور أحمد البغدادي
في جامعة الكويت.

معه ترسخت الكثير من المبادئ التي ترعرعت
عليها في كنف أبي: "ولد الإنسان حرّاً، وحرّيته في قدرته على
الاختيار".

أذكر أول عبارة قالها لنا -نحن طلابه وطالباته في مادة الفكر السياسي الإسلامي: "هذه
المادة تهدف إلى إيصال المعلومة التالية: أنه لا وجود لفكرٍ سياسيٍ إسلامي!".





● البغدادي

نظرت إليه يومها مندهشة متفكرة، وقلت لنفسي مبتسمة: "هذه بدايةً مختلفة".
وكان مختلفاً بالتأكيد. وكم هو فخر أن يكون الإنسان مختلفاً في زمننا هذا.
أحببت هذا الأستاذ الجليل، فكره العقلاني المتمرد، وطريقته الحرة في التعليم والتدريس.
واحترمته. وأدين له بالكثير.
فعزائي لأسرته أولاً، وللعقلاء في الكويت ثانياً. لأن غيرهم سيشمتون، وهو متوقع منهم.
فمن آمن بالكراهية لا يعرف المحبة، يدلف إلى الظلام، خوفاً من النور، ومن جوفه يصرخ
بالمقت. وعن هذا الفكر أتحدث طوال الوقت. وفي مواجهته أطرح فكرة الإسلام الإنساني.

الله المحبة. قللتها لكما مرة.
هكذا أستشعر وجوده، في، في داخل الإنسان، محبة.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

نور ومحبة.

ولذا تجدانني أنفر من صورة الله التي يروج لها فكر الإسلام السياسي والإسلام الأرثوذكسي بشقيه السني والشيوعي. أنفر من هذه الصورة، لا بل أرفضها.

فالرب الذي يدعو إلى القتل، الذي يزرع الرعب في قلبي كي أؤمن به، الذي يبطش بالبشر، والذي يميز بين البشر، يفضل مجموعة على أخرى، الله الذي يعدل عندما يريد، والذي ينتظر الزلة منا كي ينزل علينا أشد أنواع العقاب، ليس رباً. ليس رباً.

بل تجسيد لخيال بشرٍ مريض، بشر يكره نفسه وواقعه، فيدعو إلى كراهية غيره، ثم يقول الله يكره.

ولذلك، لو كان الله هكذا فعلاً لما أمنت به.

دعوني أكرر هذه العبارة لأنني قصدتها كما قلتها: "لو كان الله هكذا فعلاً، لن أؤمن به، بل سأكفر به".

لأن الصفات التي نلحقها بالرحمن يجب، أقول يجب لا حبذا، يجب أن تكون خيرة، محبة، عادلة، منصفة.

الرحمن لذلك هو المحبة، الخير، وهو عادل، لا يميز بين خلقه، ويحبهم.

أتذكر حكاية قصتها عليّ سيدة كويتية تعرفت عليها خلال رحلة بحث ميدانية قمت بها في الكويت عام ٢٠٠٨.

كانت تحيا حينها مع أسرتها بعد انفصالها عن زوجها، هي وابنها.

قالت لابنها يوماً أمام أفراد من عائلتها: "لا أريدك أن تخاف من الله، أريدك أن تحبه". فتعرضت إلى انتقاد شديد من أسرتها: "ما هذا الذي تقولينه لابنك؟"، جاءت ردة فعلهم عنيفة.

السيدة تنتمي إلى أسرة شيعية. وأنا أشير إلى انتمائها المذهبي لا شيء إلا للتدليل على أنني لا أقصد مذهباً محدداً عندما أنتقد الفكر الديني في صوره المتعددة التي نراها اليوم، وتعامله مع الله، الكون، والحياة من بعده.

تساءلت وأنا أستمع إليها عن سبب انزعاج أفراد أسرتها من رسالة هي في الواقع روح

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

الإيمان.

أين المشكلة في أن يحب ابنها الله، وألا يخافه؟ أين المشكلة فعلاً؟

أنا أحب الله.

ولا أخافه.

كيف أخافه وأنا أحبه؟

ثم كيف أخافه وهو، لأنه رب، لا محالة سيحب خلقه، أيًا كان هذا الخلق.

لكن ليس هذا هدف فكر الإسلام الأرثوذكسي بشقيه السني والشيوعي، أو فكر الإسلام السياسي. ليست المحبة هدفهما. أليس كذلك؟

دققا قليلاً وستجدان أن هدف هذين النوعين من الفكر الديني لا علاقة له من قريب أو بعيد بفكرة أن نؤمن بخالق أو قوة أسمى.

ليس الإيمان هو الهدف. والمحبة أبعد ما تكون عن هذا الإيمان.

بل الطاعة.

الطاعة.

يريدان منكما أن تتعلما كيف تسمعان وتطيعان ولا تناقشان. كي يخلقا منكما شخصاً مستنسخة تتحرك وفقاً لأهوائهما، وفي أوقات الضرورة تدفعكما إلى الكراهية، إلى الإقصاء، ثم العنف والقتل.

"لا تحبا بل اكرها. لا تبتسما بل تجهما. لا تفرحا بل احزنا". ثم "أحقدا، وحبذا لو قتلتما".

القتل جريمة، لكن معهما نسمي القتل جهاداً. فتدبرا.

الطريقة التي يُروج فيها للدين اليوم تعتمد لذلك على عنصري الخوف والكراهية.

"إذا لم تغطّ شعرك سيحرقك الله في جهنم".

"إذا لم تصلّ، فأنت كافر، وسيحقّ قتلك".

"إذا لم تتبع هذا المذهب تحديداً، فأنت من أهل النار بالتأكيد".

"إذا لم تؤمن بالجهاد، فقد كفرت".

"وهؤلاء، غيرك، هم كفرة فابتعد عنهم".

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

"هؤلاء لا يصلون كما نصلي، إسلامهم ناقص بالتأكيد".

"وهؤلاء ليسوا مثلنا، ومقتهم في قلوبنا واجب بالتأكيد".

"عليك أن تؤمن هكذا، أن تصلي هكذا، أن تكون هكذا، وغيرك في جهنم وبئس المصير".

زرع الخوف في قلوبكما ضروري، يدفعانكما إلى الرعب وفي الوقت ذاته يؤصلان فيكما إحساساً دائماً بالذنب، بالذنب، لأنكما وفقاً لرؤيتهما تقترفان الكثير الكثير من الذنوب، مجرد إحساسكما بالحياة، فرحتكما بمتعها، يجعلكما مذنبين، تستحقان جهنم.

كل ما له علاقة بالجمال، بالحب، وبالخير يبدو مكروهاً من هذين الفكرين. وإذا أقدمتما على الحياة سيشعرانكما بالذنب من جديد.

ومع الخوف، الرعب، والذنب، يطوعان عقليكما على عدم التفكير، تتعلمان كيف تطيعان، وترددان: "سمعاً وطاعة".

كالبغاوات.

طاعة عمياء.

لا تتفكران في الكلمات، لا تتدبران في معانيها، ولا في دلالاتها.

"عليكما أن تطيعا، ولا تناقشا".

ولذلك ستجدان أن أحد أهم ملامح هذا الفكر هو رفضه للتفكير، رفضه للسؤال والشك:

"أقبل بما نقول كما نقول، ولا تجادل، لا تجادل، عليك اللعنة إن فعلت".

وإذا شككت أو شككت أصبحتا من المنافقين.

هكذا سيقولان لكما.

لكن الحياة دون شك، دون تدقيق، دون تساؤل، هي حياة عمياء، مشوهة لا عقل لها، ولا

إرادة.

فلا تصدقا.

شُكا.

تساءلا.

ثم عيشا الحياة.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

تعلمنا كيف تعيشان الحياة، بقوة، ولا تخافان.

وفي الواقع، عزيزي القارئ عزيزتي القارئة، فكرة الإسلام الإنساني التي أطرحها تقوم جوهرًا على هذه الدوائر المتشابكة: الشك، الحياة، والمحبة.

تتعامل مع الإيمان من منطلق إنساني، من منطلق يشك ولا يقبل بمسلمات قاطعة، كل شيء يخضع للشك بما فيها نصوصنا المقدسة، والقرآن الكريم أولها.

تتعامل مع الدين من منطلق يعيده إلى حيزه الخاص، تؤمن أو لا تؤمن شأنك، ثم تخرجه من الحيز العام، وتقول إن الدين لا يهدف إلى خلق الإنسان بطقوس وشعائر، بل الهدف هو هذا الإنسان نفسه، كرامته وسعادته. ولذا فإن الحياة، التمتع بها، الحب، الجمال، كلها جزء ضروري لحياة إنسانية كريمة.

تتعامل مع الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، على أنه كائن عاقل راشد قادر على الاختيار، وتسيير حياته كما يشاء. كما يشاء. ولذا فإن أساس التعامل بين البشر ليس معايير دينية، بل معايير إنسانية، هو إنسان، هي إنسان، وهذا يكفي. أقبل بهما، كما أقبل بكما، دون شروط.

حديثي معكما لن يكون عاماً. وهو حديث طويل، أحدد ملامحه لكما.

فكرة الإسلام الإنساني كما أطرحها لها عناصر أربعة: أولاً، الهوية -إنسان؛ ثانياً: إسلام يقوم على مبدئي "العقلانية" و"الحرية"؛ ثالثاً، دوائر التفكير المغلقة -الطبيعة البشرية للنصوص المقدسة، ورابعاً، المرأة -إنسان.

الهوية هي الإنسان.

الإنسان أولاً، هو موضوع الحلقة القادمة.

• «النداء»، العدد ٢٤٦، الاثنين ١٦ أغسطس ٢٠١٠

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان

الهوية إنسان (١٢) (i)

إلهام مانع

"إذا كان لمفهوم وجود الله أية صحة أو غاية، فإنه يهدف تحديداً لجعلنا أكبر، أكثر حرية، وأكثر محبة. أما إذا كان الله غير قادر على ذلك، فقد حان الوقت كي نتخلص منه". جايمس بالدوين

قد تكون عبارة بالدوين، الكاتب الأمريكي من أصل أفريقي، صادمة. وهي بالفعل صادمة.

لكن عبارته تحديداً هي الجوهر الذي يقوم عليه مفهوم الإسلام الإنساني.

مفهوم يقول ببساطة إن الإيمان يهدف إلى خلق علاقة بين الإنسان والخالق. لا أكثر ولا أقل.

علاقة روحانية.

وإن هذه العلاقة من الممكن أن تأخذ أشكالاً متعددة.

فأي دين، أيّا كان هذا الدين، ما هو إلا طريق. وسيلة يستخدمها

من يريد أن يؤمن. ولذلك لا توجد تراتبية بين الأديان. ليس هناك دين أفضل من دين آخر. كلها طرق، تصل بنا إلى الهدف نفسه.

بكلمات أوضح، الإيمان يمكن أن يصل إليه الإنسان من خلال الأديان الإبراهيمية الثلاثة؛



إلهام مانع

من أجل هوية إنسان

اليهودية والمسيحية والإسلام، من خلال الأديان الهندوسية والبوذية، تمامًا كما يمكن أن يصل إليه دون دين. الدين ما هو إلا غلاف أو قشرة خارجية. أما المضمون فهو العلاقة الروحانية التي تربط بين الفرد والرحمن. طريقة الإيمان لا تنعكس على طبيعة الإيمان، لا تنقص منها، أو تشوهها. كلها طرق متساوية، تمامًا كالعلاقة التي تجمع من خلالها الإنسان بخالقه.

كوني أقول ذلك يعني بداهة أنني أفترض أنه لا يوجد دينٌ كامل.

وهذه أيضًا عبارة صادمة. فاعذراني إذا كنت قد تسببت فعلاً في صدمكما. لا سيما وأنني سأكررها، كثيراً. ورجوتكما رغم الصدمة أن تتمعنا في هذه العبارة: ليس هناك دينٌ كامل. والإسلام أولها.

مؤيدو فكر الإسلام السياسي هم وأتباع التفسير الكلاسيكي الأرثوذكسي للإسلام بشقيه؛ السني والشيوعي، سيرفضون هذه الرؤية عندما تتصل بالإسلام تحديداً (وفي الواقع سيرفضها أيضاً أتباع الأديان الأخرى المتزمتون، لكن حديثنا في هذا الموقع يركز على أصحابنا هؤلاء).

هم لن يشيروا إلى الأديان البوذية أو الهندوسية من الأساس، باعتبار أنه من تحصيل الحاصل أن هذه الأديان "كفر" و"شرك" و"إلحاد"، ثم سيعرجون على اليهودية والمسيحية، أتباعها "أهل كتاب طبعاً"، لكنها تظل في رأيهم "ناقصة"، "ناقصة"، إنما جاء الإسلام ليكملها. وهو يعني حتماً اقتناعهم أن الإسلام جاء كاملاً جامعاً تاماً، لا تشوبه شائبة.

الإسلام الإنساني يرفض هذه القناعة. ويصر على أن أي دين، بما فيه الإسلام، لا يتصف بالكمال.

الدين ليس حجراً صلباً. لا يتغير، لا يتبدل، لا يتحول.

لو أردتما صورة ذهنية للدين، تخيلا بذرة، نضعها في تربة، فتنمو، وتترعرع، ينبثق منها فروع وأغصان، وثمار أيضاً. لكن كي تنمو، كي تزهر، لا بد من تشذيبها، من قطع بعض أطرافها، من العناية بها.

أعود وأكرر لكما تلك العبارة المزعجة: ليس هناك دين كامل.

لماذا؟

كل دين خرج من ضمن نطاق زمني تاريخي محدد. وهو لذلك ابن زمنه. ولأن كل الأديان

وجدت قبل أكثر من ألف سنة، فإنه من الطبيعي أن يكون فيها الكثير الكثير الذي لا يتماشى مع مفاهيمنا الحديثة العصرية لحقوق الإنسان وكرامته.

هذه الرؤية الإنسانية للإسلام تقول إن الدين، أي دين، ما هو لحظة نشأته إلا نواة، وُضع جذورها من أمن بهذا الدين ونشر رسالته، ثم بنى عليها الناس على مر الأجيال، جيلاً بعد جيل، فإذا بالنواة تتحول، تتغير، تتبدل، ثم تتشكل وفقاً لرؤية ومواقف وأفكار من يؤمنون بهذا الدين.

الأديان تتغير على مر الزمن. وهذا يفسر على سبيل المثال السبب الذي جعل الإسلام الإندونيسي (قبل أن يتأسلم أخيراً) شكلاً مغايراً عن الإسلام النجدي. ويفسر أيضاً سبب تفرع الإسلام إلى مذهب سني وآخر شيعي وثالث صوفي، ثم تحوله إلى شكل آخر مغاير إلى حد كبير في صوره العلوية، الدرزية... وغيرها.

نحن من يصنع الأديان، أعزائي.
نحن.

الإنسان هو من يصنع الدين.

هو من يجبله بطبعه، بروحه، بعقلانيته أو انعدامها، وبالحب أو الكراهية الذي فيه. هذه الرؤية للدين تتطلب حتماً التعامل معه بشكل "نسبي"، فكما أن كل شيء يتغير، يتغير الدين. وطالما أن الهدف هو تنظيم علاقة الإنسان بالخالق (إذا أراد هذا الإنسان أن يؤمن) فإن كل ما عداه يخضع للتغيير.

من هذا المنطلق أتعامل على سبيل المثال مع الحدود التي جاء بها القرآن الكريم أو السنة النبوية.

قطع يد السارق، رجم الزانية (أحدد الضحية بالمؤنث لأنني لم أسمع في عصرنا هذا عن عقوبة استهدفت رجلاً لأنه زنى. هو منطق الكراهية، لا يستهدف إلا الضعيف)، الجلد... وغير هذا من العقوبات البدنية، كلها تنتمي إلى العصر الذي وُضعت فيه، أي القرن السابع الميلادي.

وهي عقوبات لم يبتكرها النبي الكريم.
انتبهوا، فهذا الأمر مهم.

هذه العقوبات لم يبتكرها الرسول الكريم. كانت موجودة قبل أن يولد. وعندما أراد أن ينظم الدولة التي أسسها استخدم أدوات العقاب التي كانت متواجدة حينها. كان ذاك زمانه.

اليوم زمان آخر.

في زماننا هذا، نسمي الأشياء بأسمائها، نسمي هذه العقوبات عقوبات "بشعة"، لأنها "بشعة" بالفعل، لا تنتهك حقوق الإنسان فحسب، بل تنتهك آدميته وكرامته. شاب سرق. انقطع يده ونتسبب له في عاهة تحوله إلى عالة على المجتمع، أم نعاقيه بمدة سجن مناسبة ونؤهله كي يخرج عضواً فاعلاً في المجتمع؟ ثم تخيلاً منظر يده وهي تقطع، أليس هذا منظرًا ينتمي بجدارة إلى القرون الوسطى؟

من يطالب بالعودة إلى تطبيق هذه العقوبات، أقول "العودة" لأن معظم الدول العربية والإسلامية باستثناء تلك الدول الدينية الكهنوتية التي نعرفها ولن نسميها، لا تطبقها؛ أقول من يطالب بالعودة إليها لا يعيش فقط بعقله وروحه في القرن السابع الميلادي، بل نسي أيضاً آدميته.

وكما أن الزمان تغير في ما يتعلق بأساليب العقاب، تغير أيضاً بالنسبة للمغزى من الإيمان بدين ما.

فالهدف، وفقاً لرؤية الإسلام الإنساني، من الإيمان بدين ما، يرتبط حتماً باحتياجات هذا الإنسان.

احتياجات هذا الإنسان الروحانية، لا أقل ولا أكثر.

الهدف هو الإنسان نفسه.

ولذلك، لا أرى أن الإنسان يجب أن يُسخر نفسه وأسرته ثم مجتمعه للدين. العكس هو الصحيح. الدين وسيلة. طريقة. توصلنا إلى الخالق، إذا أردنا أن نصل إليه.

ولذلك لن يضير الله كثيراً لو صليت خمس مرات، أو ثلاث، أو مرة في الأسبوع. في الواقع أنا لا أصلي إلا إذا أحسست بحاجة إلى الصلاة والتأمل.

وإذا قرر إنسان أنه لا يريد أن يصلي، فهذا أمر لا يستحق الإدانة أو النقد أو التجريح. لن

يجعله أفضل أو أسوأ. شأنه.

وفي الواقع، سواء صلى أو لم يصل، صام أو لم يصم، لن يزيد الأمر عن مسألة تخصه. شأنه. الدين ليس فرضاً، وفروضة ليست قهراً.

وعندما نحوله إلى فرض ثم قهر ينتفي الإيمان.

لن يكون إيماناً حراً من شخصٍ اختار، بل قهراً كهنوتياً يتناقض حتماً مع مفهوم "الإيمان".

أن تؤمن يعني أن تكون حراً.

وهذه الحرية تعني أيضاً أن من حَقك ألا تؤمن.

الله ليس في حاجة إلى الإنسان.

ولا أظنه عز وجل سيبالي كثيراً أو قليلاً لو انقرضت الأديان من على وجه الأرض.

وفي الواقع كما قلت مرة لصديق، إنني وصلت إلى قناعة أننا إذا أردنا أن نبحث عن الله، فعلينا أن نبحث عنه فينا، في أنفسنا. نحن.

وأنه إذا كان موجوداً خارج ذواتنا فإنه قد تركنا وشأننا منذ بدء الأزل، وأننا لذلك مطالبون بتحمل مسؤولية أنفسنا والعالم الذي نحيا فيه.

ووالله إنني كثيراً ما شككت في وجوده، بخاصة في أوقات الحروب. عندما رأيت الطفل يُقتل وهو لا يحميه.

أسأله: أين أنت عندما نحتاج إليك؟

وأسمع رداً، هامساً: أنا فيك، ابحتني عني فيك، في الإنسان فيك، وفي الخير الذي في روحك. فكما يصنع الإنسان الحروب ويغرس الكراهية، هو أيضاً من يصنع السلام وينشر المحبة.

سيهزأ مني الكثيرون. ويحزنون غيرهم، وبعضهم سيُكفّر.

وسيقولون مارقة، كفرت وخرجت عن الإسلام. ولهم أن يقولوا ما شاؤوا، فلن يغير من إصراري أنني في كل ما أقوله، أقوله من داخل دائرة الإسلام.

أصر على أن أقول إن الدين الذي اخترته لنفسه هو الإسلام.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

لكنني في الوقت ذاته أرفض مقولة "هذا هو الإسلام، إما أن تقبلوا به كما هو أو تخرجوا منه".

فأنا في الواقع، أخوي، لا أقبل به كما هو، لكنني لن أتركه، وفي الوقت ذاته سأسعى إلى تقديم رؤية مغايرة، تمكّني من الإيمان لكن بصورة تحترم آدميتي، عقلي، وكرامتي. بصورة تحترم مفاهيم حقوق الإنسان في صورتها الحديثة اليوم.

وبصورة تجعل من هوية الإنسان هي المعنى الأشمل لمفهوم الإيمان. ولذلك، لو لاحظتما، في الفقرة السابقة قلت "أصر على أن أقول إن الدين الذي اخترته لنفسه هو الإسلام"، ولم أقل "إنني مسلمة". لأنني أصر، أذكركما، على أن الدين ليس هوية. الدين ليس هوية. بل اختيار.

والهوية هي الإنسان.

أكمل هذه الفكرة معكما في المقال القادم.

● «النداء»، العدد ٢٤٩، الاثنين ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام



الهوية إنسان (١٢) (ب)

إلهام مانع

ISH كنا نسّميه إش.

هكذا كنا نسّميه.

وكان يكفي أن ننطق بحروفه حتى يتبدى لنا معناه.

الحروف الأولى لمنزل الطلاب الدولي ISH إش.

منزل قضيت فيه سنتين من عمري عندما ارتحلت إلى العاصمة الأمريكية واشنطن لدراسة الماجستير بفضل منحة فولبرايت أمريكية.

منذ وطأت قدمي عتبة باب منزل الطلاب الدولي، أحسست أنني وصلت أخيراً إلى بيتي. فتنفست. أه ما أجمل الهواء عندما يكون نقياً.

أليس ذلك غريباً؟

طوال عمري، وفي كل مكان عشت فيه، كنت أشعر أنني غريبة.

طوال عمري. حتى في وطني الأول اليمن، كنت أشعر أنني غريبة. وغيري كان يصفني بالغريبة.



إلهام مانع

من أجل هوية إنسان

ثم أصل إلى بيتٍ كله غرباء، فأشعر أنني عثرت على ضالتي!
أبي -كما تعرفان- كان دبلوماسياً. ولذلك كنا ننقل من بلدٍ إلى آخر، ونعود إلى اليمن
لفترة سنتين.

في كل بلد ذهبنا إليه كنت شيئاً آخر لغيري. نبتة غريبة تُزرع في أرض بعيدة، تطل برأسها
من بين أوراقها وزهورها، تتأمل ما حولها، تبتسم، قبل أن تخلع جذورها، لترحل إلى أرض
جديدة، ثم تندس في تربته.. إلى حين.

وكان لي هوية واسم جديد في كل مكان.

في اليمن كانوا يعتبرونني نصف نصف. يمنية.. إلى حدٍ.

وعندما عملت في جامعة صنعاء ٣٤ سنوات، بلغني أنهم كانوا يسمونني المصرية الطويلة.
فكنت أبتسم.

غيري يخجل من اختلاط دمه. أما أنا فأفخر به.

في مصر، حيث وُلدت، وتجري في دمي دماء مصرية، كنت لغيري يمنية إلى حدٍ. لهجتي
مصرية إلى حدٍ، ولذلك كان السؤال دائماً يتبدى في أعين محدثي عندما أقول "بل يمنية".

في ألمانيا حيث عشت طفولتي المبكرة، ظننت لفترة أنني ألمانية. ولم أكتشف أنني غير ذلك
إلا عندما ارتحلت من جديد، وكففت عن النطق بالألمانية. فكان انكشافاً عن مستقبل هوياتٍ
متداخلة.

في إيران حيث عشت ٣ سنوات، كنت "العربية" في مقابل "الفارسية". ونطقت رغم ذلك
بالفارسية كي ألعب مع أترابي في حينها. أما أبي، أستاذي، فكان لا يكل حينها عن الغناء لي
وأخي "أنا يماني، فاسأل التاريخ عني، أنا يماني". وأظن أن الدموع تسيل اليوم على وجنتيه
لو سمعني أغنيها معه من جديد.

أه يا أبي. هل ستغنيها لي من جديد اليوم؟ ثم هل ستصدق ما تقوله فعلاً؟

في المغرب حيث عشت لأول مرة في حياتي في بلد ٤ سنوات متصلة، كنت "مشرقية" لا
"مغربية". وفي كل مرة كنت أتحدث فيها مع شخص مغربي، يُغير محدثي أو محدثتي من
لهجته المغربية الدارجة إلى العربية الفصحى. ولم يُجد كثيراً تأكيداً أنني أفهم الدارجة، لكنها
كانت دوماً لفظة كريمة من قبلهما.

هناك درست في مدرسة عراقية، طلابها من أبناء وبنات الجالية العربية الدبلوماسية في المغرب. ورغم أنني تعلمت دوماً (ما عدا في اليمن) في مدارس مختلطة، إلا أنني هناك تحديداً تعلمت أن الفتاة يمكن أن تكون وحدها في مجتمع كله ذكور، ولن يضرها. بل تقف شامخة وعيناها تلمعان. كنت الفتاة الوحيدة في الفصل بين ١١ طالباً في السنة الأولى من الإعدادية.

وهناك تعلمت أيضاً أن الصداقة ممكنة بين فتاة وشاب. ولا زلت أذكر صديقي السعودي عبدالله بيومي والعراقي سعد معاذ، بالمحبة والخير. تماماً كما تعلمت أنه ليس هناك شيء أسطوري أو خارق في الرجال. هم من نفس الطينة. وكنت أعرف ذلك من منزلنا، لكنه تأكد واقعاً ملموساً بالتجربة.

في الكويت، حيث درست البكالوريوس، وعشت للمرة الثانية ٤ سنوات متصلة، كنت نصف نصف، نصف يمنية نصف مصرية. ثم أصبحت في زيارتي الميدانية التي قمت بها عام ٢٠٠٨، سويسرية. عربية لكن سويسرية. وحبذا لو تجاهلنا الموقف اليمني خلال احتلال العراق للكويت.

وفي الولايات المتحدة كنت "غريبة ساحرة"، من بلد يغوص في التاريخ، يبحث محدثي عن موقعه على خارطة العالم، ولا يستطيع. وكان يمكنني أن أكذب وأقول إنها مدينة أمريكية تقع جنوب كاليفورنيا، وكان المسكين سيصدق. لكني أكره الكذب.

واليوم سيصعب ابتلاع الكذبة، خاصة وأنا أصبحنا مصدّرين لبضاعة رعب، اسمها الإرهاب، ويسمّيها شيوخنا الجهاد.

في سويسرا، كنت يمنية، ثم تحولت بفعل قادر بعد أحداث ١١ من سبتمبر الإرهابية، إلى "المسلمة"، واليوم بعد ١٥ عاماً متصلة من الحياة فيها، يعتبرني البعض هنا "سويسرية مسلمة". وأنا سويسرية أيضاً.. إلى حد.

غريبة كنت. أبحث عن مكان أسمىه وطنًا، وكيان أسمىه هوية.

كطائر تائه يبحث عبثاً عن سربه.

إلى أن دخلت باحة ذلك السكن الطلابي. إتش. إنترناشونال ستيودنت هاوس. هناك أحسست

أنني أتنفس من جديد. ولم أعرف مكاناً سواه أحسست فيه أنني جزء منه كذلك البيت. كنت صاحبة البيت منذ دخلته. ولم أكن غريبة البتة.

أليس ذلك عجيبيًا؟

بيت يضم ٨٢ طالبة وطالباً ينتمون إلى ٣٣ دولة من قارات العالم الست، ويمثلون كل أديان العالم.

بيت هو الكرة الأرضية بأسرها بالبشر الذي فيه.

وأحببته كما لم أحب وطناً من قبل. وكان وطني. إلى يومنا هذا.

في إيش، كنا جميعاً غرباء. كل ينتمي إلى دولة ودين ولون وعرق. ولأننا كلنا كنا أجانب، فإن حصيلة جمعنا كانت يا للعجب هوية الإنسان لا غير.

كنا إنساناً أولاً. الهوية كانت إنساناً.

هكذا كنا نتعامل مع بعضنا البعض. وكنا في اختلافنا وتنوعنا متساوين.

ولم يهم كثيراً من أي بلد جئنا، أي دين، أو لون جلدنا. كان المهم في علاقتنا "كيف نتعامل مع غيرنا". "عامل غيرك كما تُحب أن تُعامل"، لم أعرف أفضل من هذه القاعدة في التعامل مع من حولي.

الاختلافات الثقافية والسياسية التي فرقتنا في العالم الخارجي، حملناها معنا بكل تأكيد إلى هذا السكن الطلابي، ومعها الخوف والتحفظ. لكننا تعلمنا مع الوقت كيف نتغلب على اللحظة الأولى من التردد، ثم ننظر إلى ما بعد خوفنا. وكثيراً ما كنا نندهش من الحب والخير الذي في الإنسان.

في إيش تعرفت على أول صديقة يهودية لي. سيلفيا من بيروت. شعلة من الحياة. أحتفظ في درجي بقلادتها... قلادة بسيطة محفور عليها كلمات قصيرة: "ليس هناك أفضل من صديق عزيز".

صديقتي وأحبها.

وفي إيش التقيت بصديقين وفيين، عاشا كما أنا بدويين عالميين، رامين الأمريكي من أصل إيراني، وماركوس الألماني، وكلاهما يعرفان ما تعنيه الهويات المتعددة.

وفي إيش تعرفت على زوجي توماس، وأب ابنتي سلمى. وأذكر كيف نظرت إلى يديه أول

مرة التقينا فيها. يا الله كم أحببت يدك.

ثم رفعت عيني إلى وجهه، تأملته قليلاً، وأدركت لحظتها أنه سيكون نصيبي. هناك من يؤمن بالحب من أول لحظة. أما أنا فأؤمن بالثقة من أول نظرة. وثقت به، وكان كما توقعت. في إش اكتشفت أنني كنت غريبة لأنني في قرارة نفسي لم أتمكن من الانتماء إلى مكان واحد. كنت شجرة تخلع جذورها ولا تتعب من تربتها الجديدة.

كل الدول التي عشت فيها أوطاني... إلى حين. تأتي لحظة، فأحلق بجناحي وأرتحل إلى مكان جديد. فكنت دوماً شيئاً ما إلا قليلاً. ولذا لم أشعر بالاكتمال إلا عندما فهمت من أنا. بدوية تؤمن أن العالم بأسره وطن لها. وتتخذ من الإنسان هوية. أليس هذا كافياً؟

الوطن لذلك كان دوماً في داخلي.

غيري يمكنه أن يسميني كما يشاء، لكني أنا من يحدد من أكون. وأنا هو أنا. وهذا يكفي. الوطن في داخلي. وهذا الوطن أسميه إنسانيتي. ولذا لن تعني الحدود الجغرافية شيئاً بالنسبة لي، ففي كل مكان ذهبت إليه تعرفت على الإنسان فيه، ولم يهم كثيراً من يكون، لونه، عرقه، دينه. في النهاية كان دوماً إنساناً. وكانت إنسانيته اكتشافي ثم كنزي.

إش هو العالم كما يجب أن يكون.

العالم كما يجب أن يكون.

وللحديث بقية.

● «النداء»، العدد ٢٥٣، الاثنين ٢٥ أكتوبر ٢٠١٠

من يُحب اليمن؟

إلهام مانع



اليمن "تشتي" من يحبها! كم مرة قلتها لي يا أبي.
وأنا كنت أسمعك، أبحث معك أيضاً عمن يحبها.
واليوم أقف بجانبك، وغيرنا كثيرون، ننظر إلى اليمن،
أنفاسنا محبوسة في صدورنا، نخشى لو تنهدنا أن
تسمعنا.

ألم نخب أملك فينا يا يمن؟ أبنائك وبناتك؟
نعم. يحق لك أن تبحثي عمن يحبك.
فنحن إلى يومنا هذا لم نعرف كيف نحبك.

تعرفت مؤخراً على شاب سويسري من
أصل عربي.

أسلم.

ثم سافر إلى اليمن.

عاش وعمل فيها.

كان مؤمناً عندما سافر إلى اليمن. قال لي.

وكان على ما يبدو سعيداً لأنه سيتمكن من ممارسة شعائر دينه في بلد مسلم.

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع



• الزنداني

بدأ يتردد على المسجد. كل جمعة. كان مواظباً على الصلاة. كل جمعة.
 وكان يستمع بانتباه إلى خطبة الجمعة. كل أسبوع.
 ولأنه كان يستمع، بدأ يندهش، يستغرب، ثم ينزعج. وأخيراً، قال لي: "شعرت بالقرف". نعم.
 القرف.
 القرف مما كان يتردد على مسامعه في مساجدنا. في اليمن.
 ولأن ما سمعه في تلك المساجد كان "كافياً" على ما يبدو، فقد انسل من الدين الإسلامي. تركه
 وراءه. ولم يندم. فكدت أهنئه.
 هل ألومه؟ أم ألوم ذلك الخطاب الديني في مساجدنا؟



هذا الشاب أعمل عقله وقلبه. ولأن الحب والخير كانا في قلبه لم يحتمل الكراهية.

كان يستمع ويشك. يستمع ويفكر. يستمع ويتساءل: أين الله في كل ما يقال في هذا المسجد؟ أين الحب والخير والجمال؟ أين الروحانية؟ أين كل هذا في خطبة يلعن الأمام فيها الدنيا وما فيها، وتحديداً غير المسلمين، يدعو على الغرب بالدمار، ثم يصف اليهود والمسيحيين بالقردة والخنازير؟ أين الروحانية في مثل هذه الصلاة؟

ثم أين الله في كل هذا؟

لا أرى هنا سوى الكراهية.

نكره واقعنا فنتحول بكراهيتنا إلى الغير، ذلك الآخر، نحمله مسؤولية واقعنا، بدلاً من أن نتحمل مسؤولية أنفسنا. ونقول "نصلي"، والأحرى أن نقول "لنكره".

لم أحكي لكما هذه الحكاية؟

أحكيها لأننا مازلنا نصر على دفن رؤوسنا في الرمال.

فمنذ الكشف عن الخطة الإرهابية الأخيرة، ووسائل إعلامنا الرسمي وشبه الرسمي تبدو "منزعجة" "كثيراً".

تصر على أن ما يقال في وسائل الإعلام الدولي "مجرد تهويل". وغيرها يلجأ إلى المؤامرة كحل سهل جميل: "يريدون أن يحتلونا".

والله؟ وددت لو أعمل صاحب نظرية الاحتلال هذه خلايا عقله الرمادية، ورد على السؤال "لماذا يريدون أن يحتلونا؟"، ما الذي ستكسبه الولايات المتحدة من احتلال بلد فقير معدم؟

كأن الولايات المتحدة ينقصها هم جديد. ألا تكفيها رمال أفغانستان وباكستان المتحركة؟ ندفن رؤوسنا في الرمال. أكرر.

ونصر على أن العيب ليس فينا بل في غيرنا.

وهذه الطريقة، رغم اعتيادنا عليها في مجتمعاتنا العربية باختلافها، إلا أنها في حالتنا نحن في اليمن، ستكلفنا غالياً.

فالموقف لم يعد يحتمل التسويف والمماطلة.

صحيح أنه يحق لنا أن نشعر بالخوف والإحباط ثم اليأس.
محاصرون نحن في اليمن بين خماسية الفقر، الجهل، الفساد، التمزق، والتطرف.
كماشة أطبقت بأطرافها الخمسة على أعناقنا ونهشتها. فتناثرت أنفاسنا هباءً.
وصحيح أنه يحق لنا أن نشعر بالذعر من وسم بلدٍ عريق له تاريخه وحضارته كاليمن
كوكر للإرهاب.

أصبحنا نخجل من أن نقول "يمني".
وتحول جواز سفرنا اليمني إلى "وثيقة اتهام"، لا تعني بالنسبة لحاملها إلا المزيد من
إجراءات التفتيش والمساءلة.
كل هذا صحيح.

لكن الصحيح أيضاً أن هناك بيئة فكرية دينية منتشرة في اليمن تبرر للإرهاب ثم تسعى
إلى نشره وتصديره. وإن تجاهل هذه البيئة لن يزيد الوضع إلا سوءاً.
الصحيح أيضاً أن الحكومة اليمنية ما فتئت تداهن شيوخ السلفية ممن يروجون للفكر
الجهادي (الإرهابي) المتطرف، وعلى رأسهم الشيخ عبدالمجيد الزنداني، تتملقهم، وتسعى إلى
رضاهم.

الشيخ عبدالمجيد الزنداني هو الأب الروحي لأسامة بن لادن.
وهو إلى يومنا هذا يرفض أن يدين أسامة بن لادن. لم لا تدينه يا شيخنا مادمت تقول إنك
"وسطي"؟

وجامعة الإيمان، التي تأسست بتمويل سعودي قطري، ويرأسها الشيخ، درّس فيها أنور
العولقي.

تماماً كما أن الشاب النيجيري عمر الفاروق كان يسكن في السكن الطلابي التابع لجامعة
الإيمان، في عمارة الخولاني في صنعاء.
وقبلهما قتل أحد طلابها ٣ أجنب.

كل هذا، ورغم كل التحذيرات التي تصل إلى الحكومة اليمنية من الحكومات الشقيقة
وغير الشقيقة عن هذه الجامعة والفكر المتطرف الذي "تدرسه"، فإن أبواب الجامعة تظل
مفتوحة. مفتوحة لأكثر من ٧ آلاف شاب وشابة، منهم المئات ممن يفدون إليها من أنحاء

العالم. "تدرسهم" أو "تدربهم"؟

المجتمع الدولي ليس غيباً. يتابع ويراقب. وينتظر المبادرة.

لعل الوقت قد حان لأن تقفل الجامعة أبوابها.

لعل الوقت قد حان أن نعيد النظر في علاقة التحالف بين السلطة و"التيار السلفي".

لعل الوقت قد حان لأن تأخذ السلطة موقفاً حازماً من "ثقافة الكراهية" التي تنشرها رموز التيار السلفي.

ثم تكف عن الرقص على رؤوس الثعابين، الأجدى أن تمسك برؤوسها ثم تخرج السم من بين أنيابها.

فاليمين لم تعد تحتل.

لم تعد تحتل.

حبذا لو تعلمنا كيف نبدأ في حبها.

● «النداء»، العدد ٢٥٦، الاثنين ٦ ديسمبر ٢٠١٠

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع





لا تدعوهم يسرقوا ثورتكم!

إلهام مانع

أردت أن أغني.

أي والله. ولو كنت أعرف كيف يكون العزف على الناي والعود، لعزفت لحناً للخلود.

جاعني الخبر على هاتفي النقال: بن علي يغادر تونس.

خبر امتزج بضوء الفجر. قال الشعب كلمته فأحنى بإرادته وجه الطغيان.

فتلاحقت الأنغام ترقص أمامي، وتغني.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام



ياالله ما أجمل الإنسان عندما يدافع عن حقه في الحياة،
والحرية، والكرامة.

كم مرة جاعني السؤال من طالباتي وطلابي في مادة
"الدمقرطة والمجتمع المدني في الدول العربية" التي
أدرّسها في جامعة زيوريخ: لما لا يثورون؟ كم مرة
جاعني هذا السؤال. "لم لا يعبرون عن غضبهم؟"، "لم
لا يثورون دفاعاً عن حقوقهم؟".

وكنت أرد بالصمت.

أتركهم يبحثون عن الإجابة من معطيات
الواقع في عدد من الدول العربية، ولا أفقد
أمل في الإنسان. الإنسان في الوطن. ذلك
الذي يحلم بحياة أفضل، بدولة تحترم
كرامته، حريته، وحقوقه الإنسانية، ثم تعمل
من أجل مستقبله، لا ينخرها الفساد، ثم لا يتمكن منها
جبروت الاستبداد.

رغم ذلك لم تكن فرحتي ساذجة!

ضياء الفرحة وهي تغمرني لم تعم عيني.

ولذا أتابع ما يجري في تونس ويدي على قلبي.

أتساءل: هل تصبح تونس نموذجاً تحتذي به دول العالم العربي في تأسيس نظام ديمقراطي
مدني يحترم حقوق الإنسان وحياته، أم أنها ستنوء وهي فرحة، فتتلقفها قوى الإسلام
السياسي، لتمسخ ثورتها فتحرك بوصلتها إلى الماضي وتحيلها إلى نظام كهنوتي جديد؟

تونس كانت دوماً تقف على رأس القائمة. قائمة الدول التي سيخرج شعبها إلى الشارع
مطالباً بحقوقه.

تونس.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

لأنها كانت النموذج بين الدول العربية. تونس.

دولة عدد سكانها قليل، شعبها متجانس، حدودها واضحة، تحوز على شريحة واسعة من الطبقة الوسطى، شعبها متعلم، وتاريخها يشهد بتفرداها.

أول من أصدر قانوناً أساسياً يتضمن معنى للحريات ويمنع الرق والعبودية كان الباي أحمد العاشر (١٨٣٧-١٨٥٥). فعل ذلك في القرن التاسع عشر. وكان هو ثم خير الدين من بعده الذي عمل كرئيس للوزراء في الفترة بين ١٨٧٣ و ١٨٧٧، من أدخل إصلاحات واسعة في النظام التعليمي التونسي، بدأت المدارس على إثرها في تعليم العلوم العصرية واللغات، وأسست لمركزية الدولة وقوة مؤسساتها.

تونس.

والأهم أنها الدولة التي تمكنت منذ حصولها على الاستقلال من شق طريقها العقلاني بصورة تختلف عن غيرها من الدول العربية.

هي الدولة العربية الوحيدة التي عمدت إلى فصل الدين عن الدولة، وأصدرت قانوناً للأسرة أعاد ميزان العدل للعلاقة بين الرجل والمرأة. كل هذا حدث بعد وصول الرئيس بورقيبة إلى السلطة، الذي كان يحوز حينها على شعبية واسعة. الرجل الذي ترك السلطة دون أن ينهب ثروات وطنه، وإن أصابه للأسف في أواخر حياته الفيروس العربي للاستبداد بالحكم. كل هذه كانت ومازالت ميزات للدولة القائمة في تونس. لا تخطوها مع ممارسات الدولة البوليسية التي كان بن علي رمزاً لها.

وهي إرث حضاري تاريخي بدأ في القرن التاسع عشر، مهد لمدينة الشعب التونسي وثقافته. فأمنتكم بالله لا تتعاملوا مع ميراثكم الناصع كما لو كان إثماً، ثم لا تتركوا الإسلاميين ينهشوا فيه ويحولوه إلى إثر بعد عين.

لعلكما تشعران الآن، عزيزي القارئ عزيزتي القارئة، بقدر قليل من الامتناع. تتساءلان عن مبرر حديثي هذا الآن؟

وردي يتطلب مني أن أحيلكما إلى الأحاديث التي يدلي بها هذه الأيام بعض قادة الإسلاميين التونسيين ثم شعاراتهم التي رفعوها بعد أن فر بن علي وأسرته، والرسائل التي يتبادلونها. هي التي أثارت قلقي، وهي التي دفعتني إلى كتابة هذا المقال.

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

الأمين العام لحزب النهضة حمادي جبالي أدلى بحديث لصحيفة التاجز أنزايجر السويسرية الناطقة باللغة الألمانية بتاريخ ٢٠ يناير، رفض فيه أن يحدد موقفاً واضحاً من دستور تونس المدني، ثم تحدث بحديث غامض هلامي عن الشريعة. من يقرأ حوار هيدر أن الرجل يريد أن يحول تونس إلى دولة دينية.

ثم عاد وتحدث عن تعددية الزوجات وحقوق المرأة "الإسلامية"، كأن ما تتمتع به المرأة التونسية، والذي تحسدها عليه نساء العالم العربي، ليست حقوقاً؛ أو كأن قانون الأسرة التونسي لا يعتمد على تفسيرات فقهاء متنورين لم يجدوا أي تعارض بين مفهوم العدالة في العلاقة بين الرجل والمرأة في الأسرة وبين الإيمان بالله. اقرأوا تاريخكم حتى لا يأتي مثل هؤلاء ويشكوككم في إرثكم الحضاري.

ثم انتبهوا إلى الشعارات التي خرج بها بعض الإسلاميين إلى الشوارع: "الحجاب والنقاب يا حكومة الذئاب"، "النشيد الوطني حرام"!

هل هذا ما خرجتم رجالاً ونساء إلى الشوارع تطالبون به؟ هل هذا ما خاطرتم بحياتكم من أجله؟ من أجل دولة كهنوتية؟ حكم ديني يسلبكم حرياتكم الشخصية وكرامتكم؟

لم يكن للإسلاميين دور في ثورتكم، لم يكن لهم دور في ثورتكم، فلا تفرطوا في ما حققتموه، لا تدعوه يضع هباء، لا تتركوا الضباع تنهشه.

ثم لا تدعوهم يستحوذوا على الساحة.

كونوا أقوياء، كن قويات.

ارفعوا أصواتكم عالياً.

ارفعن أصواتكن عالياً.

كونهم إسلاميين لا يعني أنهم يتحدثون باسم الله.

أمنتكم بالله أن تدركوا معنى هذه العبارة.

كونهم إسلاميين لا يعني أنهم يتحدثون باسم الله.

الله والدين لا علاقة له بما يقولونه. هم قوى سياسية تطمح إلى الوصول إلى السلطة وتستخدم الدين وسيلة لتحقيق هدفهم.

فأصروا ثم صممن على وجود ضمانات دستورية تحمي ديمقراطية الدولة، الحريات

الشخصية، علمانية الدولة ومدنيتها، وقانون الأسرة.

كي تصونوا ثورتكم عليكم ثم عليكن أن تصرّوا على أن أية مشاركة لأية قوة سياسية، ومنها الإسلامية، يجب أن تتم وفقاً لضمائن دستورية تحدد خطوطاً حمراء لا يمكن المس بها، أهمها التداول السلمي للسلطة، حقوق الإنسان وحريته، علمانية الدولة، وقانون الأسرة.

لا تدعوهم يستخدموا فزاعة الدين ليدفعوكم إلى التراجع عن مكاسب وطنكم.

أنتم وأنتم من صنع هذا الحدث. وتونس هي وطنكم.

فلا تتركوهم يسرقوا ثورتكم كما فعل الخميني في إيران. ثم لا تدعوهم يغتالوا الوطن في قلوبكم.

بل كونوا لنا النموذج في العالم العربي، كي تكون تونس لنا الأمل.

● «النداء»، العدد ٢٦٤، الاثنين ٣١ يناير ٢٠١١



إلهام مانع
من أجل هوية إسلامية



• جزء من الاعتصام السلمي الذي دعت له أحزاب المشترك الخميس قبل الماضي بصنعاء - ت: جميل سبيع

مصر على مفترق الطريق!

إلهام مانع

"الثورات تُسرق! يبدأ بها الحالمون، ثم ينقض عليها المنتهزون، ثم قد تتحول إلى فاشية، فيأتي يوم نتحسر فيه على أيامنا هذه".
قالها لي صديقي المصري العزيز. صديقي وهو شقيقي، ورغم ذلك نختلف أحياناً في

المواقف والآراء. استمعت إليه بتمعن. لا لشيء، إلا لأنه في كثير من المواقف أظهر بُعداً في النظر، وعادة كنت أجد أن ما قاله فيه كثير من الصواب. ما قاله في كثير من الأحيان تحقق.

استمعت إليه لذلك وأنا أختلف معه. وفي الواقع لم أختلف معه في حياتي كما في تلك اللحظة. لكن ما قاله حرك نبضاً في داخلي.

كم منا التفت إلى أعماله في الأيام الماضية؟ عن نفسي، وجدت نفسي روحاً وفكراً في مصر. قلبي معها. وكما قلت لزوجي لم أشعر بالجزء المصري فيّ قوياً كما في هذه الأيام. أدمدم أغنية أم كلثوم "مصر التي في خاطري"، ودموعي تنفر من عيني. ومرت علي لحظات تمنيت فيها لو كنت في ميدان التحرير مع هؤلاء الشباب. والشابات.

من يتابع موقعي على الفيس بوك ورسائل التويتر التي أكتبها يدرك أنني اتخذت موقفاً منذ البداية بدعم ثورة شبان وشابات مصر. لم أتردد لحظة. بل صدقت ومازلت أصدق أن دافعهم هو محبة مصر ورغبتهم في التغيير. يريدون وطناً يستحق أن يحمل اسم مصر. يحترمهم وحقوقهم. مصر، أعرق دولة في التاريخ، وطن لهم ولهن. وطن كل أفراد الشعب، مسلمين مسيحيين يهود بهائيين ملحدين، رجالاً ونساء. وطنهم جميعاً. لا وطن قلة نفعية فاسدة.

وزاد اقتناعي وأنا أرى بعضاً من قبس النور يتوهج ضمن الأحداث. صديقة لي عزيزة شاركت في تظاهرات التحرير المليونية في ٣٠ من يناير الماضي، رسمت هذه الصورة لي: "كنا نمثل كل أطياف مصر، غني وفقير، رجل وامرأة، مسلم ومسيحي وغير ذلك، البواب وخريج الجامعة الأمريكية، وعندما غنينا النشيد الوطني -بلادي بلادي لك حبي وفؤادي- أقشعر بدني، وبكيت، ولم أكن وحدي".

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

ثم صورة قداس الأحد نظمته مصريون مسيحيون في ميدان التحرير، والمصريون الأقباط يحمون ظهور المصريين المسلمين وهم يصلون، ثم نساء ورجال يصلون معاً. لحظة من التاريخ جمعت الإنسان المصري بتعدداته ووحدته على هدف واحد. يريدون تغيير النظام.

ولذلك انبعث الأمل أن يخرج من رحم هذه الثورة تغيير يؤكد على ديمقراطية الدولة، مدنياتها، واحترامها لحقوق المواطنة لكل أفراد شعبها.

أليس هذا ما نريده من أوطاننا؟ أليس هذا ما نكتب وندافع عنه؟

لكن صديقي يتابع ما يحدث بقلق. بتوتر. نعم يتابع ما يحدث وهو وجل.

ورجوتك/ك ألا تفهماه خطأً. لأن صديقي وهو في مصر، هو روح مصر. هل تسمعاني، هو روح مصر. يحبها كما لو كانت هواءه الذي يتنفس. هي دمه الذي يجري في عروقه. مصري معجون بطين مصر.

ورغم ذلك كان متحفظاً.

قال لي: "تمر علي لحظات حاملة، أهرس فيها لنفسي، ياريت، ياريت يخرج من ده كله دولة ديمقراطية، تحاسب الفاسدين، وشرطة تدافع عن الناس... وتلاقيني بأحلم معاهم. ثم بعدها بثانية أتشاهم. التغيير كلنا موافقين عليه. بس تغيير من ماذا وإلى ماذا؟ وإزاي؟ وفين الرؤية لهذا التغيير؟".

صديقي يتساءل كيف يمكن أن يحدث تغيير في غياب قيادة فعلية لهذه الثورة. قيادة تضع مصلحة مصر، ديمقراطيتها ثم مدنياتها والحريات المدنية على رأس أولوياتها، وتفاوض السلطة عليها.

وإذا كنت أنا أرى الومضات من القبس في ما يحدث، يفرع هو من بعض المواقف التي لا تعبر عن بعد رؤية ولا مقدرة على إدارة دولة:

شباب يعتبر أن خراب السياحة المصرية "ليس مهماً" لأنها "لا تفيد سوى فئة قليلة".

"المصدر الثاني لدخل مصر"، يقول صديقي، "ليس مهماً".

آخر يعتبر أن إقفال قناة السويس ممكن "ما هي الناقلات الأمريكية هي التي بتمر فيها". قناة السويس الشريان الحي للنقل البحري!

"التغيير كلنا موافقين عليه" يصر صديقي. "بس كل ما يغذونا به هو شعارات بدون ضمانات.

وإذا كانت الضمانة من الناس. فالناس اللي هايجة هي اللي بتخوفني".

"الناس اللي هايجة هي اللي بتخوفني".

"لأن الهياج لا يمكن أن ينتج عنه دستور يكون مدني ديمقراطي". يقولها وصوته يرتعش.

هل بدأتما تتشاءمان كما أنا من حديث صديقي؟

أنا أغص بالفعل من حديثه. لكني أجد أن ما يقوله فيه منطق. لأن أصعب الأشياء هو أن تدخل قدرًا من العقلانية والمنطق في مسار الأحداث عندما تحدث الثورات. وثورة مصر كانت ضرورية. هذا لا شك فيه.

لأن الأوضاع كان لا يمكن أن تستمر كما كانت عليه. جمود سياسي تشعر به كما لو كان النظام قد تحنط في تابوت، يكذب الكذبة ويصدقها، ثم يستغرب أن أبنائه وبناته لا يصدقون. وتفاوت في توزيع الثروات ثم فساد وبطش بالحريات ورغبة في فرعنة النظام وتوريث السلطة. كل هذا كان يجب أن يتوقف. وقد تمكنت الثورة من إيقاف توريث السلطة فعلاً. لكن هل ستمكن من تغيير النظام وبصورة تتوافق مع تطلعات من أطلقوا ثورة الفيس بوك؟

صديقي يقول لي "إن مأساة الشعارات الجميلة أنها لا تؤكل عيش". وأنا أرد عليه "إن الإنسان إذا لم يحلم بالتغيير سيختنق ثم يموت".

وكلانا متفقان على أن الهدف هو مصر، أن تكون وطنًا لأبنائها وبناتها. ثم نبراسًا للتنوير من جديد.

ولأننا متفقان على الهدف اتفقنا أيضًا على العبارة التالية: "كي يحدث التغيير نحتاج إلى العقلاء من شعب مصر، كي تصبح الثورة فجر مصر الجديد".

● «النداء»، العدد ٢٦٥، الاثنين ١٤ فبراير ٢٠١١

الإهام مانع

من أجل هوية الإسلام



صباح الخير يا يمن، صباح الخير يا وطن!

إلهام مانع

اتصل بي أخي. سألني: "ماذا كتبت عن اليمن؟" فحرت جواباً. لم أكتب عن اليمن حتى الآن. لا لعدم رغبة، بل لأن الكلمات تأتي أن تطيعني. ألجأ إلى الكمبيوتر، أضع أصابعي على لوحة المفاتيح، ثم أنتظر. أصابعي تنظر إليّ من خلف، تنتظر هي الأخرى، لكنني أتجمد. فتكف هي عن التوقع، ثم تهمد. فأعود لأتابع الأخبار، أقرأ وأسمع وأشاهد.

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

رأسي حبلى بالأفكار، لكنها ترفض أن تلدها في كلمات.
كانها تغیظني.

مخاض. مخاض. مخاض.

ولست وحدي في هذا المخاض.

اليمن أيضا تعيش واقعا قد يتمخض عن جديد.

شيء ما يتبدل، شيء ما يتغير، شيء ما ينبثق

من ظلام دامس. لكني أخشى أن أصدق. أخاف

أن أصدق كي لا تطعنني الخيبة من جديد. وأنا

تعبت من الخيبات. وتعبت أكثر من اليأس.

هل تريدون الحق؟ كنت قد فقدت الأمل.

منذ زمن. فقدت الأمل في اليمن. قراري

بالهجرة من اليمن كان مؤشرا على فقدان

الأمل.

بحثت دوماً عن الوطن في اليمن، لكن وطني كان يخنقني

بمرضه. لأن وطني مريض، مريض.

ولذا قلت لنفسي يوماً "كفى"، "كفى"، ما فائدة أن تحرثي في أرض بور. ستنهال عليك

السكاكين، وسيكون عليك أن تقرري إما أن تكوني جزءاً من النظام أو ضده". فقررت أن أغادر

ولا أعود. سافرت وأنا أدري أنني لن أعود: "وداعاً يا وطن، وداعاً بلا رجعة".

ولم أشعر يوماً أن قراري كان خاطئاً. لم أشعر بالندم. لأنني تمكنت من التنفس كما أريد،

وأن أحيا بتعمد، أكون، ولا أساوم. أضع رأسي على الوسادة وأنا مملء أجفاني، مطمئنة

الضمير. وفي الواقع اشتريت نفسي وراحة بالي بالرحيل. لأنني لو كنت بقيت كنت سأكون

جزءاً من النظام، ولكي تكون جزءاً من النظام عليك أن تكون فاسداً. أو على الأقل أن تكون

فاسداً "إلى حد ما". وإلى "حد ما" هذه كانت تقتلني. لا أحتملها. أو كنت سأقلب ضد النظام،

وحينها كنت سأحيا والجمر وسادي. ولحمي كان حينها غضاً، لا يبحث عن العراك.

هذه الأيام بدأت أكتشف أن هناك طريقاً ثالثاً يمكن للإنسان أن يختاره. ليس أقل صعوبة

من الخيار الثاني.



إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام

طريق اختاره شبابنا، طريق اختارته شاباتنا.

طريق "أن تبقى وتبحث عن وطنك في وطنك".

طريق "أن تصر على استرداد وطنك ممن استلبه وحوّله إلى إرث يستبد به".

وطريق "ألا تقبل بأنصاف الحلول".

"سنكون" قالها لي أحد هؤلاء الشباب.

"سنكون".

ولم أفرح يوماً بكلمة مثل هذه الكلمة التي خرجت من رحم الأمل. فرح أغرق عيني بالدموع، لأنها لخصت برونق بديع ما يريده شباب وشابات اليمن.

شبابك يا وطن كف عن اليأس. شاباتك قررن أن يحلمن. يريدون وطنًا يكون لهن وطنًا. يريدون أن يكونوا، أن يكن.

فأخجلونا نحن من بدأ الشيب يتسلل إلى قلوبنا. أخجلونا نحن من ركنا إلى التحسر. أخجلونا نحن من وجد الأمل مذبوحًا في صدره.

اليمن ليست تونس ولا مصر.

الكثيرون يرددون هذه العبارة، وأنا لن أجادل فيها. فهي موضوعيًا صحيحة.

اليمن كدولة مازالت في حالة "تجربة"، وهي إلى يومنا هذا "لم تتبلور بعد". ليس لديها تاريخ في الحكم المركزي، ومنقسمة مناطقياً وطائفيًا. وتحكمها أقلية قبلية عشائرية.

ولذلك فإن المطالبة بإسقاط النظام قد تتمخض عن عدة سيناريوهات محتملة. أولها انقسام اليمن، ثانيها حرب أهلية، وثالثها "أو".

انقسام اليمن وارد. لأنه إذا كان مطلب إسقاط النظام قادرًا على أن يوحد القوى المعارضة على المدى القصير، فإن أهداف هذه القوى من إسقاط النظام قد تختلف. وبعض هذه القوى قد لا يرضى بأقل من الانفصال.

والحرب الأهلية واردة هي الأخرى، لأن اليمن مدجج بالسلاح حتى العنق، والدولة طابعها قبلي، والانقسام القائم بين صفوف الأقلية الحاكمة كلها عوامل يسهل أن تشعل فتيل أزمة سرعان ما تتفجر إلى حرب أهلية.

السيناريو الثالث هو "أو".

و"أو" هذه يؤمن بها شبابنا وشاباتنا.

"أو ننسى انفسامنا، ونقرر أن نبني وطناً موحداً، يحمي أبنائه وبناته، يكون لهم ولهن وطناً. ونؤسس لدولة، دولة مدنية ديمقراطية عادلة، تخلو من الفساد، تقوم على مفاهيم المواطنة وتحترم حقوق الإنسان. دولة مؤسسات يقف فيها الجميع متساوين أمام القانون".

"أو" هذه هي سيناريو "الحلم".

شبابنا يحلم. شاباتنا يحلمن.

يؤمنون ويؤمنن بهذا الحلم.

ويريدون أن يبعثوه حياً في الوطن.

وأن تحلم يعني أن تصمم على الحياة.

غيري كثيرون سيسخرون من سيناريو الحلم هذه.

من "أو".

ولعلمهم على حق!

لكني تعبت من اليأس كما قلت لكم. وأريد أنا الأخرى أن أحلم. أحلم بوطني من جديد.

ولذا سأضع مخاوفي جانباً، وأسكت عقلي قليلاً، وأقف مع شباب وشابات اليمن، أحلم مع

المستقبل، ولن أقول أكثر من جملتين: "صباح الخير يا يمن، صباح الخير يا وطن".

● «النداء»، العدد ٢٦٧، الاثنين ٢٨ فبراير ٢٠١١

إلهام مانع

من أجل هوية الإسلام



اليمن.. أمام مُفترق الطريق من جديد!

إلهام مانع

لا مفر من التاريخ، نعود إليه كي نستقرئ وقائع الحاضر! قبل نحو ٤٠ عاماً، وقفت اليمن على مفترق طريق، وتحديداً عام ١٩٦٢ في اليمن الشمالي. حينها، حدث انقلاب عسكري أطاح بنظام إمامي، كان قد أبقى اليمن رهينة في غياهب القرون الوسطى، وأقام بدلاً منه نظاماً جمهورياً.

إلهام مانع

من أجل هوية الأساقفة



ولأن اليمن ظلت، مثلما هو الحال اليوم، مسرحاً لتلاعب القوى الإقليمية ومناوراتها، فقد تحولت إلى ساحة لحرب بديلة بين المملكة العربية السعودية ومصر الناصرية. الرياض، المتحالفة مع الولايات المتحدة، كانت تخشى يومها من انتشار رياح الفكر الثوري الناصري إلى أراضيها، فدعمت القوى الملكية بالمال والسلاح. أما القاهرة، التي دأبت على تصدير فكرها القومي العربي، متحالفة في ذلك مع الاتحاد السوفييتي، فقد سارعت إلى تأييد الانقلاب، الذي تم في الواقع بمباركتها.

وكلاهما، السعودية ومصر، كانا جوهر وجهين لعملة واحدة. صحيح أن الأولى كانت تدعم فكرة أمة إسلامية، والثانية تروج لفكرة أمة عربية، لكن طبيعة النظام فيهما كانت متشابهة ومستبدة، لا تقوم على أسس ديمقراطية أو على مفاهيم المواطنة المتساوية. ولذا، فإن الدعم الذي قدماه كان يشبه نظامهما، لا يؤمن بالتعددية الحزبية ولا بمفاهيم الديمقراطية.

واليمن، التي استيقظت للتو من سبات طويل، كان عليها أن تبحث عن طريقها، ولم تجده. القوى الجمهورية كانت منقسمة على نفسها، لكنها اتفقت -على اختلاف مشاربها- حينها على الهدف. والهدف يومذاك، كان الإطاحة بالنظام الإمامي: "نقضي عليه ثم نرى ما سيكون". صمدت تلك القوى أمام حصار شرس للقوى الملكية عام ١٩٦٧ ثم تمكنت من حسم المعركة لصالحها (رغم توقف الدعم المصري)، التي انكسر دورها بعد هزيمة ١٩٦٧ أمام إسرائيل. ولأن الانتصار أدى إلى غياب الهدف المشترك، برز الانقسام الداخلي بين صفوف القوى الجمهورية واضحاً.

انقسمت القوى الجمهورية إلى تيارين رئيسيين: التيار الأول، تمثل في مشايخ القبائل الزيدية الهمدانية والقوى الإسلامية وقيادات



عسكرية، إضافة إلى قوى إصلاحية تقف متشككة من "المشروع الناصري القومي" ومضمونه الاشتراكي. دعا هذا التيار إلى تسوية مع القوى الملكية بمباركة الرياض وتأسيس جمهورية عربية يمنية "إسلامية عسكرية قبلية".

التيار الثاني تمثل في القوى المؤمنة باليسار الاشتراكي أو القومية العربية، لكن المُلَفَّت هو أنه عندما ينزع المرء الغطاء الأيديولوجي عن هذا التيار، يجده ممثلاً في الواقع للقوى الاجتماعية والمناطق اليمنية التي هُمِّشَتْ على مَرِّ التاريخ الحديث للبلاد، بخاصة أتباع سكان المناطق الوسطى اليمنية، التي يدين أغلبها بالمذهب السُني الشافعي. وقد أراد هذا التيار بناءً دولة حديثة "قومية"، لا طائفية فيها ولا مناطقية. ورغم غياب مفاهيم الديمقراطية عن هذه الرؤية للدولة، إلا أن المؤكد أن مركزية الدولة وقوة مؤسساتها في مواجهة القبائل، كانت محورية فيها.

تحول الانقسام إلى مواجهة عسكرية حاسمة في شهر مارس ١٩٦٨، آلت فيها الغلبة إلى التيار الأول. ومع انتصاره، تبلورت ملامح الجمهورية العربية اليمنية الجديدة - دولة ضعيفة، مؤسساتها هشّة - حافظت على الهيمنة السياسية التاريخية للقبائل الزيدية الهمدانية، وتحولت مع مرور الوقت إلى استحواذ لفئة قليلة من قبيلة سنحان الحاشدية على مقاليد السلطة، في ظل تهميش لفئات وشرائح المجتمع اليمني الأخرى.

ما أشبه اليوم بالبارحة!

كان من الضروري استحضار هذا المفصل من التاريخ اليمني الحديث، لأن اليمن الموحد، يقف اليوم كما الأمس، أمام مفترق طريق جديد، وخياره كما البارحة يتعلق جوهرًا بطبيعة الدولة التي ستتشكل في ما بعد.

نقطة الانطلاق تختلف بالطبع. فاليمن بعد أكثر من ٤٠ عامًا تحول إلى دولة فاشلة وضعيفة المؤسسات، نسبة البطالة فيه تصل إلى أكثر من ٣٥٪، والفساد فيه وبائي، وموارده النفطية والمائية شحيحة، ويواجه حركة شعبية تطالب بانفصال الجنوب من الشمال وتمردًا مسلحًا في الشمال، ذا طابع مذهبي قبلي.

والقوة المحركة للتغيير، اختلفت هذه المرة. شبان وشابات استنشقوا رياح التغيير والحرية

القادمة من تونس ومصر، فقرّروا أن يصنعوا التاريخ في وطنهم. انتفاضة الشباب جاءت مفاجئة لكل القوى السياسية التقليدية اليمنية. مفاجئة بسبب قوتها ثم بسبب تزايد الدعم الشعبي لها، وهو ما سحب البساط من تحت أقدام تلك القوى العتيقة.

المعارضة الممثلة في أحزاب اللقاء المشترك، تذبذبت مواقفها في البداية، ثم اضطرت في النهاية أن تعلن دعمها لمطالب الشباب. والحراك الجنوبي، تفاجأ هو الآخر بالتفاف الكثير من الشبان والشابات من المحافظات الجنوبية حول الانتفاضة، فاضطر إلى إعلان دعمه هو الآخر لها، وإن كانت بعض رموزه تظل متحفظة ومصرّة على هدف الانفصال. أما الحركة الحوثية، فقد سارعت إلى إعلان دعمها ومشاركتها في الانتفاضة.

لكن، إذا كانت الانتفاضة مفاجئة، فإن الشيء المؤكد أن هدفها المعلن، الدّاعي إلى إسقاط نظام علي عبدالله صالح، كان قادراً على توحيد كل هذه الأطياف المتنافرة، تماماً كما في الستينيات من القرن الماضي: "يرحل ثم نرى ما يحدث بعد ذلك"، وتحديداً، هذه العبارة "ما يحدث بعد ذلك"، تظل هي الشاغل الحقيقي للمتابعين للشأن اليمني.

فالحادث هو أن هناك قوى عديدة تسعى إلى توجيه مسار الأحداث الجارية والتأثير فيها بصورة تحدّد مصير وكيان التغيير القادم في اليمن. وكما كان الصراع في ١٩٦٧، فإن الصراع الذي بدأ يتبلور اليوم في اليمن، يتعلق تحديداً بطبيعة الدولة اليمنية الجديدة.

الخيارات المستقبلية

أيام الرئيس علي عبدالله صالح أصبحت معدودة. ولعل أكثر من يدرك ذلك، هو الرئيس صالح نفسه، خاصة وأن الطريق أصبح مسدوداً. فآية مبادرة يتقدّم بها، تجابه برفض قاطع من شباب لا يثق بكلمة الرئيس، بخاصة وأن الأخير معروف بوعوده التي لا يفي بها.

لكن انسداد الأفق، لا يرتبط تحديداً بشباب يؤمن بتغيير سلمي مدني. الخوف في الواقع يمتزج بدوافع من بدأوا يقفزون من القارب بعد أن كانوا جزءاً من مكنونه، بدءاً بأبناء شيخ مشايخ حاشد الأحمر، مروراً بالشيخ السلفي عبد المجيد الزنداني، وانتهاءً بالجنرال علي محسن الأحمر، الأخ غير الشقيق للرئيس صالح.

دعم هؤلاء "السريع" لانتفاضة الشباب، لا يأتي مفاجئاً لمن يتابع الشأن اليمني، لأنه يأتي

متسقاً مع التقارير التي أشارت إلى وجود صراع شرس حول السلطة بين أركان النخبة الحاكمة، كان مستعرا خلف الكواليس. انتفاضة الشباب لم تفعل أكثر من أن أخرجتها إلى العلن. وهي وإن أخرجتها إلى العلن، فإنها أظهرت في الوقت ذاته التباين في الرؤى بين التيارات التي تحالفت من أجل إسقاط الرئيس، وتصوّراتها المستقبلية لما يجب أن تكون عليه اليمن.

التيار الأول، ممثلاً في الأحمرين والزندان، عسكري قبلي سلفي، يدعو إلى إسقاط الرئيس، لكنه في الوقت ذاته لا يدعو بالضرورة إلى تغيير النظام نفسه، بما يعني ذلك استمرار هيمنة شرائح قبلية عسكرية دينية على الدولة وغياب دور المؤسسات فيها. أما التيار الثاني ممثلاً في الشباب أنفسهم، الذين أطلقوا شرارة التغيير، والكتلة المدنية التي انضمت إليهم، تدعو كما أشارت في مؤتمرها الصحفي الذي انعقد يوم ٢٤ مارس في صنعاء، إلى قيام "دولة مدنية حديثة ديمقراطية، قائمة على مبادئ العدالة والمواطنة المتساوية، تضمن التمثيل الوطني لكافة اليمنيين واليمنيات، مع احترام تعدديتهم الدينية والمذهبية والثقافية والاجتماعية والسياسية، والتأكيد على مبدأ الفصل بين السلطات واستقلالية القضاء وسيادة القانون". وأما التيار الثالث، فيرتبط ببعض القوى المعارضة التي انضمت إلى الانتفاضة، بهدف إسقاط علي عبدالله صالح، وإن كانت تعوّل في الواقع على شق طريقها المستقل بعد حدوث ذلك.

حالياً يراقب الكثير من اليمنيين الوضع، متسائلين عما إذا كانت البلاد ستدخل في حرب أهلية جديدة. لكن الحرب التي يتحدثون عنها الآن، ليست بين المحافظات الشمالية والجنوبية أو مع الحركة الحوثية. الخوف من حرب تندلع بين أركان السلطة، يسعى من خلالها الأخ غير الشقيق للرئيس متحالفًا مع التيار السلفي، إلى حسم المعركة لصالحه.

المملكة العربية السعودية في المقابل، تسعى إلى "تسوية" تحافظ على طبيعة النظام القائم في اليمن، وبالتأكيد لن تشجع تغييراً ديمقراطياً مدنياً فعلياً يوقظ مواطنيها من سباتهم. أما الولايات المتحدة، فإن هاجسها هو "تأمين الانتقال السلمي للسلطة"، خوفاً من دخول البلاد إلى حالة عدم استقرار تحولها إلى بؤرة جديدة لتنظيم القاعدة، وهو ما يعني أنها ستقبل بأية "تسوية" تضمن "استقرار" الأوضاع في اليمن.

أما شبان وشابات اليمن ومن يدعمهم من الكتلة المدنية، فيُصرون على إمكانية إحداث تغيير سلمي في اليمن. يحلمون بوطن ديمقراطي مدني، وطن يمنحهم مستقبلاً.

يُعلمنا التاريخ أن الثورات عادة ما تأكل أبناءها. وسيكون من السّذاجة أن يتوقع المرء مساراً مختلفاً في اليمن، بخاصة مع طبيعة تكوينها القبلي المناطقي المذهبي المتنافر. بيد أن التاريخ نفسه يقول لنا إن المعجزات ممكنة، لكنها لا تتحقق بالتمني، بل بالتخطيط المنسّق لها. وطريق اليمن إلى دولة مدنية ذات مؤسسات، سيكون شاقاً وطويلاً، لكنه يبدو اليوم ممكناً بهذا الجيل الشاب.

لذلك، فإن السؤال المطروح اليوم: هل ستتاح لهم فرصة التجربة والاختبار في ظل الصراع الشرس بين أركان السلطة العسكرية، القبلية والدينية؟

● «النداء»، العدد ٢٧١، الاثنين ٤ أبريل ٢٠١١



إلهام مانع
من أجل هوية الإسلام



لا صوت يعلو فوق صوت الثورة! حقاً؟

إلهام مانع

أكره أن أكون الصوت الناقع ضمن سرب يغني. ورغم جمال صوت أغنية السرب، وإيماني بهدفها، لأبد من الإصرار على التوقف. نتمهل. لحظة. نتأمل. ندقق. نتفكر، ثم نخطط، كي يكون المستقبل لكَ ولكِ، ولنا جميعاً.

تقول لي، وهي الناشطة المعروفة: "كلما حاولت أن أنبه إلى تجاوزات سافرة في العمل

إلهام مانع

من أجل هوية الأسابيع

الميداني، ترتفع الأصوات: لا تشقي الصف. كل هذا سنجد له حلاً بعد أن يرحل".

ويقول لي، وهو القائد الشاب في الميدان: "كلما حاولت أن ألفت الانتباه إلى أن لباس الأطفال قمصاناً عليها عبارة "مشروع شهيد" لا يعبر عن مشروع الحياة الذي نسعى إليه، ترتفع الأصوات مؤنبه، ثم يتهمني البعض بأنني "علماني، ليبرالي، متغرب"...".

وأنا عزيزي وعزيزتي، كما تعرفان، علمانية حتى النخاع وأفخر، لكن لأن ثقافة التطرف ظلت تضرب على نفس الوتيرة لأكثر من نصف قرن، تحول مصطلح هو في الواقع النقيض لحكم الكهنوت الديني، إلى شتيمة.

الملفت في حديثهما اتفاقيهما على أنهما يقفان وحدهما رغم أن الكثيرين والكثيرات ممن حولهما يؤيدون مواقفهما. لكن هؤلاء الكثيرين صامتون! هؤلاء الكثيرات صامتات! الصمتُ يمتعض... همساً... في الأنفُس!

والصمت، خاصة عندما يكون هامساً، يُغري الجبروت. فيبدأ في بسط جناحيه، حتى يستفرد بالساحة، فإذا بالثورة تتحول عن مسارها، وتعود بنا إلى مربع الصفر من جديد. فهل هذا ما نريده؟

الناشطة المعروفة والقائد الشاب لم ينسيا اللحظة الهدف الذي خرجت من أجله هذه الجموع إلى الشوارع. يطرحان السؤال دائماً: "لماذا خرج شباننا وشاباتنا إلى الشوارع؟". خرج الشبان والشابات بحثاً عن مشروع حياة، عن مشروع مستقبل يُعيد هذه الأوطان إلى أصحابها، لهم، لهن، وللجيل القادم من بعد. وهما كما هو واضح مدركان أن مشروع الحياة هذا يجب أن يختلف عن ثورات الخمسينيات



والستينيات من القرن الماضي، وأن يتعلم من أخطاء الماضي.

قديمًا قيل لجيل أبي: "لا شيء يعلو فوق صوت الثورة".

والثورة كانت تعدُّ أبناءها (لا بناتها) بالتنمية، بالتقدم، بالعدالة، والاشتراكية في صورها المتعددة.

قيل لجيل أبي: "لا شيء يعلو فوق صوت المعركة".

والمعركة حينها كانت ضد دولة إسرائيل.

وقيل لجيل أبي: "الوقت ليس مناسباً لترف الديمقراطية، وخلافات الأحزاب. الوقت وقت تنمية، الوقت وقت معركة".

وجيل أبي كان حالمًا محبًا للوطن هو الآخر. فصدق، وليته لم يصدق.

أبي مات قبل شهر وهو في انتظار أن تأتي تلك التنمية. في انتظار أن تُحسم تلك المعركة، وفي انتظار أن يرى تلك العدالة والتقدم. وكان من زمان بعيد قد فقد إيمانه بالاشتراكية العلمية بعد أن رآها مطبقة في ألمانيا الشرقية.

مات الرجل محسورًا، لأنه آمن بالوطن، ثم رآه منحورًا أمامه. فانسحب من الحياة، لكنه غرس بذرتها في نفسي وأخي، ولم ييأس. بقي الحلم نابضًا في قلبينا من بعده.

اليوم نقف من جديد أمام مفترق طريق. علينا أيضًا أن نختار.

هذه المرة لم تكن الثورات نتيجة انقلاب عسكري.

هذه المرة خرجت الشعوب إلى الشوارع تطالب بالتغيير.

تبحث عن أوطانها. تحلم بالحياة، وتغني للمستقبل.

بيد أن الحلم يبقى في السحاب غائمًا إذا لم نُعد ونخطط لترجمته على أرض الواقع.

ولذا علينا أن نتوقف، لحظة. نتمهل. لحظة. ثم نتأمل. ندقق ونتفكر ثم نخطط.

تسألنني كيف؟

حسنًا.

سيكون علينا أولاً أن ندرك أن هناك الكثير من القوى الساعية إلى إجهاض حركة التغيير

الشابة قبل أن تخرج إلى الحياة. وهذه القوى كثير منها داخل الوطن، تلك التي كانت جزءاً من النظام سابقاً، ثم تحولت بقدرة قادر إلى "قوى ثورية"، أو تلك الأصولية المتطرفة، التي وفرت دوماً غطاءً شرعياً للحكم القائم، وقبضت الثمن، ثم اكتشفت فجأة أنها "تكره الفساد".

كلاهما لا يؤمنان بمفاهيم الديمقراطية أو الشفافية، كلاهما على استعداد لركوب الموجة إلى حين، وكلاهما ينتظران الفرصة كي يُعيدا عقارب الساعة إلى الوراء.

وبعض هذه القوى إقليمي، وتحديدًا إيران والسعودية. لأنهما يمثلان مشروع دولة دينية لا تؤمن بالمواطنة المتساوية، أو بمفاهيم الديمقراطية المدنية. ولأن حركة التغيير القائمة تهز أركان نظامهما، فإنه من البديهي أن يقفا في خندق واحد يريدان طمر نداء الحياة، كي لا يصل إلى شعبيهما العريقين.

هذه إذن أولاً.

هناك من يتربص بهذه القوة الخلاقة الدافعة للتغيير. وعلينا ألا نستهن بهذا التربص.

الثانية تدعونا إلى أن نتعلم من أخطاء الماضي. في الماضي استسهلنا الأمور، وتسرعنا، فخرج مشروع الوطن مشوهاً.

وكي نستعيد أوطاننا، علينا ألا نكرر أخطاء الماضي، بل نبنيها على أسس صحيحة: مدنية، ديمقراطية، وتوفر مبدأ المساواة في المواطنة.

الأساس المدني لا يعني أكثر من أن نفصل الدين عن الدولة. والفصل بين الاثنين لا يعني الدعوة إلى تدمير الدين. بل يعني فقط إعادة الدين إلى حيزه الطبيعي، الشخصي. تؤمن أو لا تؤمنين شأنكما الخاص.

وأهمية هذا المبدأ أنه يجعل كل المواطنين والمواطنات في الدولة يقفون على قدم المساواة أمام القانون.

الهوية في الوطن هي المواطنة.

مصري، مصرية.

يمني، يمنية.

تونسي، تونسية.

إلهام مانع
من أجل هوية إسلامية

ليبي، ليبية.

أما القناعات الدينية فهي لله عز وجل.

والدولة يفترض فيها أن تكون وطناً لجميع مواطنيها ومواطناتها، بغض النظر عن الدين، الجنس، اللغة، اللون، أو العرق.
ولكي تكون قادرة على فعل ذلك عليها أن تكون مدنية.
دولة مدنية.

الأساس الديمقراطي في المقابل يعني بناء دولة يتم فيها تداول السلطة بشكل سلمي، تشارك فيها كل القوى السياسية، وتحترم مبدأ حرية الرأي والمشاركة السياسية لمواطنيها، وتوفر مبدأ المحاسبة لمسؤوليها. ولكي يحدث هذا من الضروري التأكيد على حرية العمل الحزبي، لا أن نبداً كما نرى اليوم في اليمن في تعليق شعارات "لا حزبية ولا أحزاب". كيف نطالب بالديمقراطية ندعو في الوقت نفسه إلى القضاء على الحزبية؟

لكي يحدث هذا علينا بناء دولة مؤسسات تقوم على مبدأ الفصل بين السلطات.
ولكي يحدث هذا علينا أن نغير دساتيرنا بصورة تضمن توفير الأساس المدني الديمقراطي للدولة، وتحمي هذا الأساس من خلال مواد دستورية لا يمكن تغييرها بأية أغلبية.
ألمانيا لديها مواد دستورية "دائمة" لا يمكن تغييرها، تتعلق بالأساس المدني الديمقراطي للدولة وبحقوق المواطنة والإنسان. أدخلت هذه المواد على قانونها الأساسي بعد الحرب العالمية الثانية، كي لا تتكرر فظائع المحرقة النازية.

مثل هذه المواد من الضروري إدخالها في دساتيرنا. لأننا ببساطة في حاجة إليها مع وجود أحزاب دينية لا تؤمن بالمواطنة المتساوية أو بحقوق الإنسان كما تُعرفها المواثيق الدولية.
دولة مدنية ديمقراطية.

الأساس الثالث هو المواطنة المتساوية. كل من يولد على أرض الوطن ويحمل جنسيته هو مواطن، له نفس الحقوق والواجبات كغيره من المواطنين والمواطنات. نفس الحقوق والواجبات. بدون تمييز.

إلهام مانع

من أجل هوية الإنسان



لا يمكننا أن نطالب بدولة مدنية ديمقراطية عادلة ثم نقول المسيحيون أهل ذمة. أو نقول اليهودي لا حقوق له. أو نقول إن البهائية ليست ديناً. أو نقول إن الكردي أو الأمازيغي ليسا عرباً ولذا مواطنتهما منقوصة.

كلهم، كلهم مواطنون ومواطنات. يقفون وتقفن، رجالاً ونساءً، متساوين ومتساويات أمام القانون.

وهي ليست مئة. انتبها أيها الأعزاء. ليست مئة منا أن نقول "سنعامل المسيحيين واليهود كمواطنين". هذا حق. حق كل إنسان يحمل جنسية الوطن. أن يكون مواطناً، أن تكون مواطنة.

متساوون ومتساويات أمام القانون.

كما لا يمكن أن نتحدث عن تغيير مدني ديمقراطي عادل فعلاً دون أن نتحدث عن المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات.

إذا لم تكن موجات التغيير القائمة في المنطقة معنية بحقوق المرأة واحترامها، فإنها ببساطة لن تكون إلا تكراراً لثورات الماضي الحزينة، وسنعود من جديد إلى مربع الصفر.

ورجوتكما ألا ترفعا أعينكما إلى السماء، تتأففان، وتقولان "ها هي تتحدث من جديد عن حقوق المرأة. كان هذا وقت هذا الكلام".

في الواقع، الآن تحديداً هو وقت هذا الحديث. ليس غداً. ولا في ما بعد، ولا بعد أن يرحل الآن. كي لا تنمادى الأحزاب الدينية في التكشير عن أنيابها، وكي تكون الثورة ثورتها هي الأخرى، ثورة المرأة وحققها. لأنها كما كانت وتظل شريكة في المظاهرات، فإنها شريكة في المواطنة. وكما وقفت مع الرجل يواجهان معاً الرصاص والقنابل المسيلة للدموع، تقف معه أيضاً متساوية في الحقوق والواجبات. ليس هبة. ليس تصدقاً. بل حقها. لأن حقها كحقه.

إنسان.

كلاهما إنسان.

كل هذا يجب أن نطرحه اليوم. اليوم قبل غد.

لا أن نصمت، ونبتلع أحلامنا، كي يأتي من يتربص بها، ينهشها فتصبح هباء.

لا تدع الصمت يمتعض في نفسيكما همساً.

بل ارفعا صوتيكما. عالياً. يصدق. تواقاً إلى الحياة.

ودافعا عن حلم الإنسان في وطنه: وطن آمن عادل لكل مواطنيه ومواطناته. وعندما يأتي من يقول لكما بأنه لا صوت يعلو فوق صوت الثورة، رداً عليه ببساطة، "بلي: صوت الإنسان".

لأنه لو كان الإنسان غائباً عن روح هذه الثورة، فلا داعي لها.

● «النداء»، العدد ٢٧٢، الاثنين ١١ أبريل ٢٠١١



المحتوى

المحتوى

٣	مقاومة النسيان ونُشْدان الإنسان
٩	إلهام مانع: فوز بن شمالان كان سينتج نسخة من "الحالة الجزائرية" إلهام مانع له النداء: (٢-١)
١١	مستقبل الديمقراطية في اليمن يفترض القطيعة مع نهج الإسلام السياسي إلهام مانع له النداء: (٢-٢)
٢٧	الرئيس والأحمر يسعيان إلى توريث الحكم لأبنائهما، وانتظار اليمن على باب مجلس التعاون الخليجي سيطول
٤٣	امراة ذبابة!
٤٦	مصيرها بيده!
٥١	صور الرئيس
٥٧	"لا تنسينا!" ..
٦٢	هكذا تحدث!
٦٩	امراتنا القوية!
٧٦	طريق التنوير!
٨٢	يا عار اليمن!
٨٧	إصلاح الدين؟
٩٤	مصرية؟
٩٨	لا تعتب علي!



١٠٤	جف القلم
١١٠	جثة طافية! (١)
١١٤	جثة طافية! (٢)
١١٨	جثة طافية! (٣)
١٢٢	جثة طافية! (٤)
١٢٦	جثة طافية! (٥)
١٣٠	جثة طافية! (٦)
	السياسة الخارجية السعودية:
١٣٦	"لا تنسوا، نحن في خندق واحد!"
١٣٨	فتاة القطيف: سأكتب وأنا هادئة!
١٤٥	انتبهوا أيها السادة!
١٤٩	ما الذي يحدث في اليمن؟
١٥٣	سأكسر جدار الصمت!
١٥٦	نعم.. يُغتصبُن!
١٦١	سهل أن تكوني مثلية!
١٦٥	أية فضيلة؟!
١٧٢	لحظة!
١٧٨	سأسافر إلى سوريا وأكلم "ملكها"!
١٨٠	أن تُدفن حيًّا!
١٨٣	جسدها... حقها..!
١٩٠	"سلطان" ليبيا وحلواه!

١٩٤	أوباما!
١٩٨	وُلد الإنسانُ حرّاً
٢٠٣	علام الصمت؟
٢٠٧	أنا "نجود"!
٢١١	حذارِ من التفكير!
٢١٦	تراث التعددية!
٢٢١	يا عيبته!
٢٢٧	دفاعاً عن الإنسان!
٢٣٤	انزعجت!
٢٣٩	وجه الله... وجه غاضب؟
٢٤٤	ولي أمري أدرى؟
٢٤٩	حملة الأربطة السوداء
٢٥٣	ماذا حدث في سويسرا؟
٢٥٩	من يخشى نصر أبو زيد؟
٢٦٤	علينا أن نختار!
٢٦٨	أمة؟
٢٧٢	لأن الأمة لم توجد قط!
٢٧٧	أمةٌ تكره؟
٢٨٥	الوطن.. الإنسان! (٥)
٢٩٠	"معاً مع حسن البنا ضد الحداثة"!
٢٩٧	الشريعة ليست عادلة (٧)



٣٠٣	قانون مدني علماني عادل
٣١١	الشريعة تنتهك حقوق المرأة (٩)
٣٢٠	مواطنون لا ذميون (١٠)
٣٢٧	بأي كلمات أنعاك؟
٣٣٢	كيف أوّمن بالله؟
٣٣٨	الهوية إنسان (١٢) (أ)
٣٤٤	الهوية إنسان (١٢) (ب)
٣٤٩	من يُحب اليمن؟
٣٥٤	لا تدعوهم يسرقوا ثورتكم!
٣٥٩	مصر على مفترق الطريق!
٣٦٣	صباح الخير يا يمن، صباح الخير يا وطن!
٣٦٧	اليمن.. أمام مُفترق الطريق من جديد!
٣٧٣	لا صوت يعلو فوق صوت الثورة! حقاً؟

